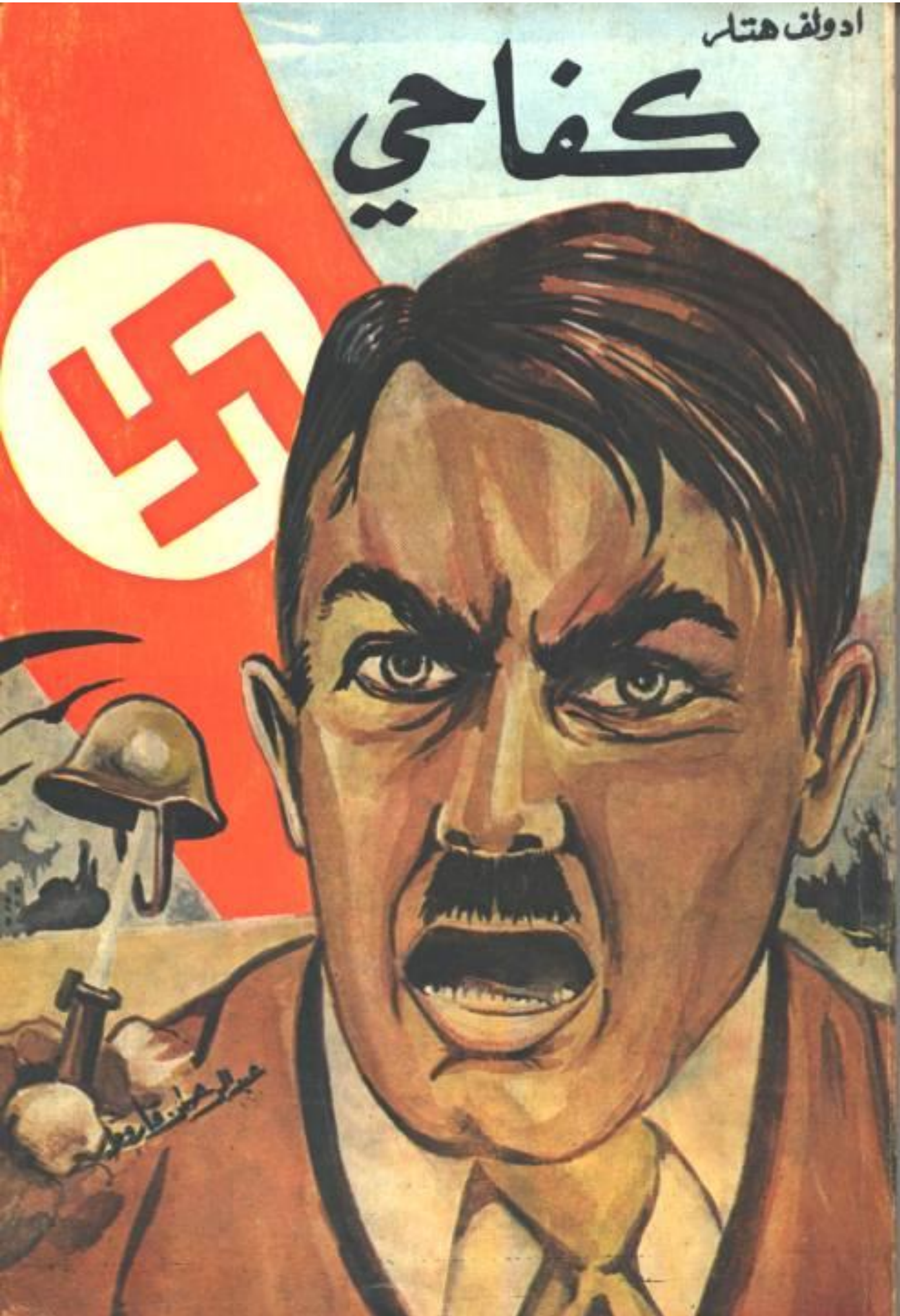
ادولف هتلر

كفاحي



ادولف هتلر

كفاحي

دار الكتب الشعبية
بيروت - لبنان
ص.ب : ٣٨٧٤

تحميل كتب http://abbassa.wordpress.com

حقوق الطبع والاقتباس محفوظة

لدار الكتب الشعبية – بيروت – لبنان
ص.ب. ٣٨٧٤

الطبعة الاولى حزيران – يونيو ١٩٧٤
الطبعة الثانية حزيران – يونيو – ١٩٧٥

- ١ -

هتلر واليهود

ابصرت النور في مدينة صغيرة تدعى برونو ، تقع على الحدود بين المانيا والنمسا الدولتين الالمانيتين اللتين يجب ان يتجدد اتحادهما قبل اي هدف من الاهداف التي نعمل من اجلها في حياتنا .

فالنمسا الالمانية يجب ان ترجع الى حظيرة الوطن الالماني الكبير ، اذ ان همنا الواحد هو ملك لوطننا الواحد . ولن نتمكن شعبنا الالماني من اي نشاط استعماري ما لم ننصهر ابناؤه جميعهم في دولة واحدة ، وحين يحوي الرايخ جميع ابنائه يصبح من حق الشعب في ان يستولي على الاراضي الاجنبية ، اذ يمسي الوطن عاجزا عن اعالة ابنائه .

في عام ١٨٩٠ ابصرت النور وكان والدي موظفا مثاليا في الجمرك . وبعد ان احيل الى التقاعد ذهب بنا الى مدينة لانز مسقط راسه ثم الى قرية لامباخ . حيث انصرف الى اعمال الزراعة في ارضنا ودخلت انا مدرسة لامباخ . وبالرغم من صغر سني كنت افكر في مستقبلي . فلم تستهوني مهنة ولم اكن اميل الى الوظيفة التي كانت تبدو لي كالحبل يشدني الى الاسفل . وكنت اجد في نفسي موهبة القائد ، في كل مرة احاول فيها اقناع رفاقي في المدرسة بوجهة نظري .

وكنت امضي اوقات الفراغ في مكتبة والدي انكب على مطالعة كتب التاريخ والمجلات المصورة ، وفي ذات يوم عثرت على مجلة فيها وصف مدهش للحرب بين بروسيا وفرنسا ، وكنت اتساءل وانا اقرا عن معارك الجيش البروسي المظفر ، اين كان المان النمسا يومئذ ؟ ولماذا تخلف النمسويون عن النصر ؟ وهل هناك من فرق بين الالمان الذين قهروا نابوليون الثالث وبين المان النمسا ؟

لقد كان والدي يعلم ان الدروس الكلاسيكية لا تهمني ، ولكن بالرغم من ذلك ، كان يريد ان ينقلني الى احدى مدارس الفنون ، كي يجعل مني في المستقبل موظفا . ولكنه لم يشك في اني ساقاوم ارادته ، لذلك كانت مفاجأة رفضي شديدة على نفسه ، وعبثا حاول اغرائي بمحاسن الوظيفة التي عاش هو حلوها ومرها . وقد آلمته صراحتي انا الولد الصغير باني لن اصبح كما كان هو موظفا سجين مكتبه . ولكني وافقت على الانتقال الى معهد الفنون الجميلة . وهناك اكتشفت اني املك موهبة في الرسم . ولكن والدي

اكد لي مجددا ، رغبته في ان اكون موظفا ، وكان جوابي اني قررت ان اصبح مصورا او رساما فاغضبه جوابي ، ولكني تشبثت برايي وتشبث هو برايه. فاخرجني من المعهد واعادني الى المدرسة ، وهناك ثابرت على دراسة فن الرسم واهملت دروسي الاخرى ، ولكني كنت متفوقا في مادتي التاريخ والجغرافيا .

واليوم وانا استعيد ذكريات الماضي اشعر باني مدين لوالدي بان اصبحت وطنيا متطرفا ، فقد رسخت في ذهني ملاحظات استاذ التاريخ الدكتور ليوبولد بوتش ـ ان النمسا جزء لا يتجزأ من المانيا وان زوالها كدولة مستقلة امر ضروري للامة الالمانية .

توفي والدي فجاة وانا لا ازال في الثالثة عشرة ، وبدات والدتي تنفذ ما كان والدي يريده وهو ان التحق باحدى الوظائف الحكومية حين اصبح في الثامنة عشرة . ولم اشأ ان ارفض طلبها هذا ، ولكن شاءت الاقدار ان اصاب بنزلة شعبية تطورت بشكل خطير مما دعى الطبيب الى توقيفي عاما كاملا عن الدراسة . وفي هذه المدة التي قضيتها في البيت حدثت والدتي عن هوايتي الجديدة . وطلبت من الطبيب اقناعها بان تسمح بالتحاقي بمعهد الفنون لان هذا لا يتطلب مني اي مجهود مضن ، فاقتنعت . .

توفيت والدتي بعد عامين من عودتي الى معهد الفنون واصبحت وحدي في معترك الحياة وانا لم ازل فتى مراهقا لا املك ما يقيني شر العوز بعد ان تبدد المال الذي خلفه والدي خلال الاربعة اشهر التي قضتها والدتي وهي على فراش المرض .

كان علي ان اعمل لاعيش ، فذهبت الى فينا وكان سلاحي الوحيد الارادة والتصميم على مواجهة المصير . لقد شق والدي طريقه في الحياة ووصل الى القمة التي وضع نصب عينيه وصولها ، وساشق انا طريقي بنفسي ولكني لن اقف عند حد الوظيفة مهما كلفني ذلك . . .

السنوات القاسية

كانت خيبتي كبيرة حين رسبت في امتحان اكاديمية الفنون ، قسم التصوير بالزيت ، ولدى سؤالي عن السبب في رسوبي قال لي عميد الاكاديمية ان الرسوم التي قدمتها تؤهلني الى الدخول لفرع هندسة البناء، وشجعني على الالتحاق بهذا القسم .

وصلت فينا بعد وفاة والدتي وقلبي عامر بالايمان ، وما استسلمت لليأس ، بل صممت وانا ادخل المدينة الكبيرة على الالتحاق بقسم هندسة العمار مهما يكن الثمن . ولكن كان علي ان اعمل لاعيش بالاضافة الى الدرس والتحصيل ، واني لاشكر اليوم العناية الالهية التي وضعتني امام

قسوة الدهر وانا في مستهل عمري ، وجعلتني اذوق مرارة العوز في عالم المحرومين مما اتاح لي انا البورجوازي النشأة ان اعيش مع من ناضلت من اجلهم فيما بعد وفي سبيل رفع مستواهم .

في فينا ، المدينة اللاهية ، قضيت اشقى ايام العمر : فقد عشت خمس سنوات لم اذق خلالها طعما للراحة . فقد بدأت عملي كمعاون بناء ثم كدهان لاحصل قوتي اليومي وآمن شر الجوع ، هذا الزميل الذي كان يلازمني ويشاطرني في كل شيء ، فاذا اشتريت كتابا وقف الجوع ببابي يوما كاملا ، واذا حضرت حفلة موسيقية او شاهدت مسرحية لازمني الجوع يومين ، وكان الكتاب صديقي الوفي ، وبفضل المطالعة توسعت معلوماتي وتبلورت آرائي مع مرور الزمن ، ثم رحت ادون نظرياتي الخاصة التي اتخذت منها في المستقبل اسس العمل .

كانت فينا في مطلع القرن العشرين ، مدينة تمزقها المشاكل الاجتماعية ، فيها يتجاوز الثراء والفقر ، العظمة والضعة ، المعرفة والجهل . وكانت فينا البلد الوحيد الذي يمكن للدارس ان يراقب ويدرس المسالة الاجتماعية .

وككل غريب كنت اسعى في طلب العيش بعرق الجبين ، فقد تحررت من الكبرياء ومركبات النقص والخوف من الشامتين ، يقينا مني بان العمل مهما كان نوعه فانه يشرف العامل . وسرعان ما ادركت ان العثور على عمل اسهل من الاحتفاظ به . وان خيبة الامل تنتظر الذين يهجرون القرية ويهبطون الى العاصمة في طلب العيش الهنيء الهين ، فالقروي يترك قريته الى المدينة ويدخل عالما مجهولا ، وليس لديه من المال غير القليل ــ فاذا وجد عملا فسرعان ما يفقده فيلجأ الى معونة صندوق النقابة لبضعة ايام او بضعة اسابيع ، ومتى تنتهي المدة لا يبقى امامه الا العمل باجر قليل ، او العودة الى قريته ، فاذا ابت عليه كبرياؤه ان يعود الى قريته وسدت بوجهه ابواب العمل ، لا يلبث ان يالف البطالة ويصبح آلة طيعة بايدي المحرضين المشاغبين ، الداعين الى الاضراب وتقويض دعائم الاقتصاد القومي ومعالم الدولة والحضارة .

لقد لمست الاخطار التي كانت تتآمر على الامة الالمانية في النمسا ، وهما خطران كبيران ... الماركسية واليهودية .

لقد روعني البؤس المادي المسيطر على الشعب ، كما روعني انخفاض مستواه الاخلاقي ، فقد لاحظت فقدان الشعور بالواجب بين العمال والصناع ، فرب العائلة يهمل شؤون بيته ولا يعنى بتربية اولاده لينصرف الى البحث عن قوت يومه . وكان انعدام التربية البيتية في مجتمع متفسخ كالمجتمع النمسوي يؤدي بالتالي الى تفكك الروابط بين الاباء والابناء والتي تربط بالتالي العائلة الى الدولة علما ان الفقر يولد الجهل والمرض ، ومتى

اجتمعت هذه العوامل الثلاث يفقد الشعب ثقته بالدولة ويموت الشعور الوطني في نفوس الشعب .

ان تحويل الشعب الى امة خلاقة يفرض قيام مجتمع سليم يعمل على تنشئة المواطن تنشئة وطنية فلا يمكن ان يشعر بالاعتزاز بالوطن من لا يتعلم في البيت او المدرسة حب الوطن ويقدر امجاد وطنه في ميادين الفكر والسياسة والاقتصاد ان الانسان لا يكافح الا من اجل ما يحب ، ولا يحب وطنه ويقدره وهو يجهل تاريخه ولا يشعر بنفس الوقت بالطمأنينة وهناءة العيش .

وفي عام ١٩٠٩ طرا على وضعي بعض التحسن ، فقد اصبحت اعمل لحسابي الخاص كرسام هندسي ، وفي اوقات الفراغ كنت اكب على الدرس والمطالعة وخاصة على دراسة الوضع السياسي في البلاد وما تتركه التيارات العقائدية والفكرية من اثر على مقدرات الدولة النمساوية التي كانت مهددة بالانهيار .

الحزب الاشتراكي الديموقراطي

قبل دراستي للحركة الاشتراكية الديموقراطية ، كان لدي فكرة غامضة عن هذه الحركة ومنشئها واهدافها واساليبها . وكنت اتابع بعطف كفاحها في سبيل الدستور يقينا مني ان تسليم السلطات بهذا الطلب من شأنه ان يضعف من نظام آل هابسبورغ ، ذلك النظام الذي اكرهه كرها شديدا لانه يحاول اخماد الروح الجرمانية في صدور عشرات الملايين من النمساويين . وبزوال هذا النظام يتحرر الشعب النمسوي وتزول العقبات الرئيسية التي تعترض تحقيق الانشلوس وانضمام الشعب الواحد الى الوطن الواحد .

ومما زاد من عطفي على الاشتراكية الديموقراطية اعتقادي بانها تعمل من اجل الطبقة الكادحة كي ترفع من مستواهم . وبقيت على هذا الاعتقاد الى ان بلغت السابعة عشرة وبدات اتفهم خطورة الحركة النقابية في البلاد على ضوء التظاهرات الشعبية والاضرابات ، وقد حضرت اكثر من اجتماع واستمعت الى قادة الحركة يخطبون في الجماهير ، وكان في نيتي الانضمام الى الحزب الاشتراكي الديمقراطي ولكن سرعان ما تكشفت لي حقيقة الاشتراكية الديمقراطية ومراميها البعيدة ، فهي ضد الامة لانها كانت من صنع الطبقات الراسمالية . وضد الوطن لانها اداة البورجوازية لاستغلال الطبقة الكادحة ، وضد الشرائع لانها اداة بيد السلطة الحاكمة تستخدمها لارهاب البروليتاريا ، وضد المدرسة المعدة لتنشئة الارقاء

وضحايا الحروب التي تشنها الراسمالية ؛ وضد الدين لانه وسيلة لتخدير الشعب واضعافه ليستعبده المستغلين الى الابد ...

وكنت اثناء حضوري لهذه الاجتماعات احاول ان لا اتكلم . ولكن استرسال الخطباء في تهديم كل ما هو سام ونبيل اخرجني عن صمتي ، فاصبحت ادخل معهم في جدل طويل لم تتسع لهم صدورهم . فحرضوا علي نفر من المتعصبين . فآثرت عدم الحضور الى اجتماعاتهم وانا اشفق لحال الجمهور الذي يتلاعبون به ويتصرفون بمقدراته حسب ما يتفق مع مصالحهم .

لقد ادركت وانا اتابع الحركة الاشتراكية الديمقراطية ان زمام الامر هو في متناول القوي وادركت كذلك ان العنف والارهاب هو سلاح الاشتراكية الديمقراطية وان طريقها في محاربة خصومها تقوم على تشويه سمعتهم بحملة من التشنيع تحطم اعصابهم . وقد عجبت لعدم وجود حزب يتبع نفس الاساليب من العنف والارهاب وبذلك يقطع الطريق على الاشتراكية الديمقراطية .

اما موقف البورجوازية فقد كان موقفا لا مباليا من مطالب العمال التي كانت مطالب معقولة ومشروعة ؛ مما جعل الحركة الاشتراكية الديمقراطية تستغل نقمة البروليتاريا على الاوضاع الراهنة . وتستغله كسلاح ماض تشهره في وجه خصومها ...

في البداية كانت الحركة النقابية تهدف الى تنظيم جهود العمال للمطالبة بحقوقهم ورفع مستواهم ؛ وبقيت بعيدة عن السياسة والاحزاب الى ان دفعت بها البورجوازية الى المعترك السياسي برفضها الاستجابة الى مطالب العمال الحق ؛ وفي هذا الوقت كانت الاشتراكية الديمقراطية بانتظار الفرصة المناسبة ، فتبنت مطالب العمال والنقابات ؛ بينما كانت البورجوازية على العكس تعمل على حمل السلطات على حل النقابات بحجة عدم شرعيتها وتنافيها مع فكرة الوطن .

كانت افدح اخطاء البورجوازية عندما اعتبرت الحركة النقابية منافية لفكرة الوطن . ان حركة نقابية اهدافها الدفاع عن مصالح العمال لا تكون الا حركة وطنية يجب تشجيعها ما دام هناك ارباب عمل لا يعرفون العدل والانصاف . ولا يجوز ان تنكر على عمالهم ومستخدميهم حق الدفاع عن حقوقهم ؛ ولا يمكن للعامل منفردا الوقوف في وجه رب العمل ؛ فالنقابة هي التي تتولى رعاية مصلحته والدفاع عن حقوقه .

بدات الحركة النقابية تتحول عن اهدافها الاساسية في اواخر القرن الماضي ؛ فاحتضنتها الاشتراكية الديمقراطية لتحولها الى اداة ضغط في نضالها الطبقي وبذلك يتم لها تقويض دعائم الاقتصاد وبالتالي تقويض دعائم

الدولة . فلما اصبحت النقابات في قبضة الاشتراكيين زال اهتمامهم برفع مستوى البروليتاريا ، لانهم اكتشفوا انهم لو استمروا بذلك فان انتهاء بؤس الطبقة الكادحة لن يكون في مصلحتهم ، لان زوال اسباب التذمر سيبعدهم عن السياسة ، فيفقد الاشتراكيون بذلك جماهير المناضلين الذين عودوهم الرضوخ والانقياد لهم .

مفتاح الاشتراكية

بعد ان تكشفت لي حقيقة الاشتراكية الديمقراطية ، انكببت على درس نظريات قادة هذه الحركة ، فوجدت نفسي امام عقيدة مبنية على الحقد والانانية ، عقيدة يعني انتصارها هزيمة للبشرية ، وما لبثت ان اكتشفت الصلات الوثيقة بين هذه العقيدة الخطرة والمبادىء التي يدعو اليها اليهود . وادركت مع الايام ان اهداف الحركة الاشتراكية الديمقراطية هي نفسها اهداف اليهود كشعب ، واليهودية كدين ، والصهيونية كحركة سياسية قومية . ففي حداثتي كنت اعتبر يهود بلادي مواطنين . وكنت لا اعتبر الخلاف في الدين ، حتى اني وبخت صديقا لي لاهانته احد التلاميذ اليهود . وظلت هذه نظرتي الى اليهود الى ان انتقلت الى فيينا ، فبرزت امامي المسألة اليهودية في زحمة المسائل التي كانت تواجه النمسا حكومة وشعبا . وقد تبينت لي هذه المسألة من خلال حملات الصحف المعادية للسامية ، وكنت اعتقد ان هذه الحملات كانت نتيجة التعصب الاعمى ، وكانت الصحف التي تهاجم اليهود قليلة الانتشار ، والصحف التي تتولى الرد عليها كانت من الصحف الكبرى ، وكان اسلوبها الرصين يلاقي في نفسي وقعا حسنا . ولكن سرعان ما ضايقني تزلفها الشديد للسلطات وحملاتها العنيفة على الرايخ والامبراطور غليوم الثاني الذي كنت معجبا به لتزويده المانيا باسطول بحري من الطراز الاول ، كما امضني من الصحافة الكبرى عطفها على فرنسا واعجابها بها ونعتها اياها « بالامة المتمدنة » وكنت اتساءل لمصلحة من تعمل هذه الصحف ومن هم موجهيها ؟ فجاء الجواب في الوقت الذي تكشفت لي فيه اليهودية على حقيقتها .

كنت اعتبر اليهود مواطنين لهم ما لنا وعليهم ما علينا ، ولكن اختلاطي باعداء السامية من مفكرين وساسة جعلني اتحفظ في الحكم على اعداء اليهود ، وما لبثت ان اصبحت من المهتمين بالمسألة اليهودية بعد ان لمست بنفسي تكتل الاسرائيليين وتجمعهم في حي واحد من احياء فيينا ، ومحافظتهم الشديدة على تقاليدهم وعاداتهم وطقوسهم . ومما زاد اهتمامي بمسألتهم ظهور الحركة الصهيونية وانقسام يهود فيينا الى قسمين : قسم يؤيد

الحركة الجديدة ويدعو لها ، وقسم يشجبها . وقد اطلق خصوم الصهيونية على انفسهم اسم « اليهود الاحرار » الا ان انقسامهم هذا لم يكن الا من باب التمويه . فتأكدت ان انقسامهم مصطنع وانهم يلعبون لعبتهم في النمسا وفي العالم كله . وهي لعبة قذرة تعتمد الكذب والرياء مما يتنافى والطهارة الخلقية . طهارة الذيل التي يدعيها اليهود .

وطهارة الذيل هذه ، وكل طهارة اخرى يدعيها اليهود هي ذات طابع خاص . فقذارتهم كانت تصدم النظر منذ ان تقع العين على يهودي ، وكنت اضطر الى سد انفي كل مرة التقي باحد لابسي القفطان ، لان الرائحة التي تنبعث منهم تبعث على القرف . ولكن قذارتهم الجسدية ليست شيئا يذكر بالنسبة الى قذارة نفوسهم . فقد اثبتت لي الايام ان ما من عمل مخالف للاخلاق وما من جريمة بحق المجتمع الا ولليهود فيها يد . واستطعت ان المس مدى تأثير هذا « الشعب المختار » في تسميم افكار الشعب وتخديره وشل حيويته . فقد امتدت اصابع الاخطبوط اليهودي الى جميع الميادين وفرض سيطرته عليها . واصبح هذا التغلغل كالطاعون الاسود بل اشد منه فتكا ، اذ ان تسعة اعشار المؤلفات والنشرات والمسرحيات واللوحات الفنية التي تدعو للاباحية المطلقة وللماركسية هي من صنع اليهود . اما الصحف الكبرى التي اعجبت بها وبرصانتها فكان معظم محرريها وموجهيها من ابناء هذا « الشعب المختار » . وشعرت بعد معرفتي بالحقيقة مدى تأثير اليهود في توجيه الراي العام وذلك بالنظريات التي تتناسب ومصالحهم الشخصية البعيدة الهدف . فالنقد المسرحي في الصحف التي كان يهيمن عليها او حتى يشارك في تحريرها يهود ، يرفع من شأن الممثلين اليهود والمؤلفين المسرحيين ويحط بالتالي من قدر زملائهم الالمان . والمقالات السياسية التي كانت تمجد بآل هابسبورغ وتكيل المديح لفرنسا ، كانت بنفس الوقت تهاجم غليوم الثاني وحكومته .

ومما زاد في نقمتي على اليهود تكالبهم على جمع المال بجميع السبل الملتوية ، وقد لمست الحقائق التي لا تخطر ببال للدور الذي يمثله اليهود في ترويج سوق الدعارة والاتجار بالرقيق الابيض . هذا الدور الذي يؤديه اليهود بمهارة لم ينتبه الى خطورته الشعب الالماني الا في الحرب العالمية الكبرى . اما انا فقد شعرت بالقرف حين اكتشفت ان اليهودي ، هذا المخلوق الوديع ، هو الذي يستثمر البغاء السري والعلني ويحوله الى تجارة رابحة .

انصرفت منذ ذلك الحين الى جمع المعلومات والادلة على جرائم اليهود بحق الوطن والمجتمع . وكنت اتابع نشاطاتهم في شتى الميادين ، وقد اصطدمت بهم في امكنة لم يخطر لي انهم فيها ، فقد ظهر لي ان اليهود

يتزعمون الحركة الاشتراكية الديمقراطية ، ويسيطرون على صحفها ، ويوجهون نقاباتها ، وكان معظم النواب الاشتراكيين الديمقراطيين يهود ورؤساء النقابات جميعهم من اليهود ، بما فيهم قادة ومدبري المؤامرات ورؤساء تحرير الصحف التابعة للحزب .

وهكذا اصبح الحزب الكبير الذي يسيطر على مقدرات البلاد العوبة بيدي شعب اجنبي ، لان اليهودي لا يمكن بحال من الاحوال ان يكون المانيا.

واخيرا وضعت يدي على الروح الشريرة التي تقعد بشعبنا عن التقدم.

كانت الفترة القصيرة التي امضيتها في فينا كافية لاقناعي انه مهما استبدت الاوهام بالعمال وضللتهم الدعايات المغرضة ، فانهم سيقتنعون مستقبلا ، لو قدر لرجل مخلص ان يأخذ على عاتقه مهمة تحريرهم من المستثمرين ، وهذا ما بدأته ووفقت به الى حد كبير . وعلى العكس لم اوفق ولو مرة واحدة لاقناع يهودي واحد بانه على خطأ . وقد كنت من السذاجة بحيث رحت احاول اقناع بني صهيون بسخف المبادىء الماركسية . وسرعان ما ادركت ان اسلوبهم في الجدل يقوم على قواعد خاصة بهم ، وهو اعتمادهم في اول الجدال على بلاهة خصمهم ، فاذا لم يتمكنوا منه تظاهروا هم بالغباء ، فيستحيل على خصمهم ان يأخذ منهم اجوبة واضحة . اما اذا اضطر احدهم الى التسليم بوجهة نظر خصمه بوجود بعض الشهود فانه يتجاهل في اليوم التالي ما كان من امره ويتظاهر بالدهشة اذا ما جوبه بالشهود ويسترسل بالكذب ويزعم انه افحم خصمه بحججه الدامغة في اليوم الاسبق .

لم يكن العمال مسؤولين عن ما تعانيه البلاد من اضطرابات ، بل كانت المسؤولية ملقاة على عاتق الحكام الذين لم يكلفوا انفسهم عناء الاهتمام بمشاكل الشعب ووضع الحلول اللازمة لازالة تلك المسببات . وقد عكفت على درس العقيدة الماركسية والبحث عن مصادرها وجذورها ، وتتبع تطوراتها ، وقد تساءلت مرارا : هل كان اصحاب هذه العقيدة يتوقعون لها هذا النجاح ؟ وهل كانت لديهم فكرة عن نتائج نجاح الماركسية على المدى البعيد ؟ ام كانوا ضحية الخطأ في التقدير ؟ فاذا كان الامر الثاني فانه يجب على كل رجل ان يقف في وجه هذه الحركة المخيفة ويمنع تطورها . واذا كان الامر الاول فلا بد ان يكون زعماء هذا الوباء الذي يهدد الشعوب ابالسة حقيقيين ، لان العقل الذي تمكن من ان يضع تصميم فكرة لا بد ان يؤدي انتشارها في المستقبل الى تدهور الحضارة وانهيارها وتحويل العالم الى قفر ، هذا العقل ليس بعقل انسان ولكن عقل مسخ .

في هذه الحالة يجب ان نكافح كفاحا مريرا ، وبجميع الاسلحة التي يمكن للعقل البشري ان يصنعها بالاضافة الى الذكاء والارادة الحديدية .

وقد توصلت لنتيجة دراستي للمسألة اليهودية الى تفهم الحركة الماركسية دون عناء ، ذلك ان اليهود هم الذين وضعوا مبادئها وتولوا الدعاية لها . وعرفوا كيف يستغلون جهود الذين كانوا ضحيتها .. كذلك رجعت الى تاريخ الشعب اليهودي عبر الاجيال وما كان له من تأثير في توجيه البشر ، فهالتني شدة التأثيرات وتساءلت بقلق : هل يقضي القدر بأن يكون لليهود النصر النهائي ؟

ان العقيدة اليهودية المعبر عنها في التعاليم الماركسية لا تعترف بالمبدأ الارستقراطي وتضع التفوق العددي محل القوة والمقدرة ، وبالتالي تنكر قيمة الانسان الفردية كما تنكر اهمية الكيان القومي والعنصري ، مجردة البشرية من العناصر التي لا بد من وجودها لاستمرارها وبقاء حضارتها . فاذا اعتمدت هذه العقيدة كأساس للحياة فانها ستقوض كل نظام وتعود بالجنس البشري الى عهد الفوضى واختلاط العناصر مما سيؤدي الى انقراض البشر . واذا قدر لليهودي من خلال ايمانه الماركسي ان يتغلب على شعوب هذا العالم ، فلن يبقى للبشر من اثر على سطح الارض .

ان الابدية ستنتقم من الذين يخالفون احكامها ، ولذلك سأتصرف حسب مشيئة الخالق ، لاني بدفاعي عن نفسي ضد اليهودي انما اناضل للدفاع عن مشيئة الخالق وعمله .

– ٢ –

ميونيخ

غادرت فينا في ربيع عام ١٩١٢ قاصداً ميونيخ . فقد كنت اعرف تلك المدينة كما لو كنت ساكناً فيها ، وذلك بسبب دراستي للفن الالماني . ان من يزور المانيا ولا يرى ميونيخ لن يعرف شيئاً عن الفن الالماني ، فقد كانت الفترة التي امضيتها في ميونيخ من اسعد ايام حياتي مع ان تحصيلي من عملي كان متواضعاً ، ولكن ما كنت اعمل لاعيش بل لاتابع دراستي وتحصيلي وانا متأكد من بلوغي الهدف الذي رسمته لنفسي .

لقد تعلقت كثيراً بهذه البلدة الجميلة وشعرت بالفرق العظيم بينها وبين فينا ، ومما زادني تعلقاً بها ما رأيته من مظاهر الحيوية الدافقة في جميع الميادين ومن روائع الفن الناطقة بعظمة الفن الالماني ، ولا شك ان تعلقي بميونيخ هو انها مرتبطة بتطوري ونمو مداركي ارتباطاً شديداً لا يمكن فصله ، بالاضافة الى تأثير جمالها في كل رجل مرهف الحس محب للجمال .

لم يصرفني انكبابي على الدرس عن متابعة الاحداث السياسية ؛ وكنت المس من سياسة المانيا الخارجية انها مبنية على اسس غير سليمة . وذلك من خلال المخالفات التي انشأتها ؛ ولكني كنت اظن ان الساسة في برلين على علم بحالة الضعف التي وصلت اليها النمسا ؛ وبنفس الوقت يكتمون هذه الحقيقة عن الشعب تجنبا لنقمته . وبنفس الوقت كانوا يحرصون على الحفاظ على سياسة المحالفات التي رسمها ووضع اسسها بسمارك .

ولكن مع الاسف فقد كانت الفكرة لدى الالمان عن النمسا خاطئة ؛ والوهم كان سائدا بان النمسا لا تزال قوية يمكن الاعتماد عليها كحليف قوي . اما انا فكنت على علم تام بمشاكل النمسا ، بينما كانت الدبلوماسية الرسمية تجهل تلك المشاكل الخطيرة ؛ حتى ان الراي العام ظل على اعتقاده الخاطىء بقوة النمسا وجيشها وخاصة انها لا تزال المانية . وبلغ بهم حسن الظن حدا اصبحت فيه ادعاءات فيينا من امانة للتحالف الثلاثي مثارا للسخرية من الصحف في عواصم الولايات السلافية لاسيما براغ التي كانت تعتبر هذا التحالف مسرحية مضحكة ومبكية معا . وكان الراي السائد في ايام السلم ان هذه المحالفات ستنقض عند اول تجربة قاسية . .

وقد صدق الحدس ورأينا ايطاليا وفي الوقت الذي كان التحالف يمر في تجربته القاسية الاولى ، تنكر لحلفاءها المانيا والنمسا وتقف مع اعدائهما .

عندما كنت في فينا لاحظت الحماس البالغ من قبل انصار الوحدة الجرمانية للتحالف الثلاثي بسبب اعتقادهم ان هذا التحالف سيدعم موقف المانيا في حال نشوب الحرب ، وبذلك يرتبط مصير النمسا بمصير الرايخ . وقد فاتهم ان هذا الحلف سيحمل الرايخ حملا ثقيلا ويؤدي بالدولتين الى الهاوية . كما ان تفاؤلهم بالحلف سيضمن تحقيق امانيهم القومية ، ولكن هذا الحلف كان ستارا استخدمته فينا لتغطية تدابيرها الرامية الى ابادة العناصر الجرمانية في البلاد .

لقد اصبح موقف المان النمسا حرجا نتيجة لسياسة الاحلاف ، لانهم لو استمروا في نضالهم لاعتبروا خائنين ، ولم يفت المطلعين منهم ان الحلف الثلاثي قيمته في ابقاء العنصر الالماني متفوقا ، وبالتالي يوم يتغلب الطابع السلافي على البلاد سيصبح لا قيمة له . وقد آلم هذا الفريق من الالمان النمسويين ان تسقط هذه الاعتبارات من حساب الدبلوماسية والراي العام الالماني ، وان يقفا موقفا من مسالة القوميات مجازفين بمقدرات شعب من سبعين مليونا ، وذلك بجعل مستقبله مرتبطا بمعاهدات مع سلطة لا تتورع عن ابادة رعاياها الالمان . أي العنصر الاساسي الذي تعتمد عليه هذه المعاهدة .

ولو رجع المسؤولون الى التاريخ لوجدوا انه لا يمكن للكرينـــال والقصر الامبراطوري ان يحاربا جنبا الى جنب . فالشعب الايطالي لم ينس موقف الهابسبورغيين من وحدة بلاده واستقلالها . ولن تجرؤ الحكومـــة الايطالية الى ارسال جندي واحد الى الحرب ما لم تتاكد من انه سيحارب آل هابسبورغ بالذات . ولئن تكن ايطاليا قد دخلت الحلف الثلاثي فلرغبتها في كسب الوقت والتضليل ، بحيث تركن حلفاءها الى المعاهدات بينمـــا تستعد هي للحرب .

ان سياسة المحالفات التي اعتمدتها المانيا منذ ان ساءت علاقـــات النمسا مع روسيا ، قد بنيت على افتراضات خاطئة .

لقد كانت الرغبة في عقد المحالفات هو الحاجة الملحة الى اصدقاء يمكن الاعتماد عليهم في حالة نشوب حرب لا بد منها . فقد كان على المانيـــا ان تواجه مشكلة تكاثر عدد السكان ففي كل سنة كان يزداد عدد سكان المانيا ٩٠٠ الف شخص ، وهذا التزايد يهدد البلاد بكارثة اذا لم تفكر السلطـــات بتدابير سريعة تقطع الطريق على المجاعة . وكان هناك اربع حلول يمكـــن اعتبارها :

اولا : تحديد النسل منعا لازدياد عدد السكان ، كما هو جار فـــي فرنسا ، ففي الاقطار ذات المناخ الرديء تتولى الطبيعة مهمة الحد مـــن تضخم عدد السكان ، فهي تعترض نمو السكان وتخضعهم الى تجـــارب قاسية فتزيل العناصر الضعيفة وتبقي على الاصلح ، وبذلك يتوصل خفض العدد الى تقوية الفرد وبالتالي النوع ... وعلى العكس من ذلك اذا تولـــى الانسان بنفسه تحديد النسل ، فهو غير الطبيعة ، لا يعترض نمو الفرد ولكنه يتولى الحد من التناسل ، وبذلك يرضي انسانيته لانه لا يرى مـــن الكون الا نفسه ولا يعتبر وزنا للعرق الذي ينتمي اليه .

ان طريقة الانسان وعواقبها هي عكس طريقة وعـواقب الطبيعة . فالطبيعة تفسح المجال للتناسل ولكنها تخضع هذه السلالة الى امتحـــان قاس فتختار الاصلح للحياة وتحتفظ به وتوكله بمهمة حفظ النوع . امـــا الانسان فانه يحد من نسله ويحاول الحفاظ على سلالته سواء كانت صالحة للحياة ام لا . وبذلك يتمكن من الحد من العدد ولكن قيمة الفرد تتضـــاءل كما تتضاءل جودة النوع .

ان سنة الطبيعة تفسح مجال البقاء للاقوى ، اما الحد من التناســـل فلا يستبعد السلالات الضعيفة الغير جديرة بالحياة ، فتؤلف سلالة جديدة اشد ضعفا ، مما يشكل تحديا لسنة الطبيعة . ولكن الطبيعة تثار لنفسها من هذا التحدي ، فتسلط الاقوياء الجديرين بالحياة على الضعفاء الخاملين . وليعلم الذين يدرسون مشكلة تزايد عدد السكان أن الطريقة المتبعة فـــي

فرنسا اي تحديد النسل ، لو اتبعت في المانيا فانها تعني القضاء على مستقبل الشعب الالماني .

ثانيا : الاستعمار الداخلي . هذه الطريقة التي يدافع عنها الذين لا يدركون عواقبها .

ان الاعتماد على زيادة محصول الارض كوسيلة لانقاذ الشعب الالماني من المجاعة ، ممكن كحل مؤقت . ولكن هذه الطريقة لن تحل المشكلة من اساسها حلا نهائيا . باعتبار ان عدد السكان سيزداد بينما قدرة الارض على الانتاج ستتضاءل . ولان متطلبات السكان تاخذ بالتنوع فمثلا كانت متطلبات اجدادنا منذ مئة عام اقل من متطلبات جيلنا الحاضر بنسبة كبيرة جدا . فالارض ، كما قدمنا ، لن تتمكن من العطاء الى الابد ولا بد ان ياتي اليوم الذي ستجف الارض وتصبح عاجزة عن الانتاج والعطاء ، وقد لا تجف الارض الا في سنوات القحط ، ولكنها ومع الاستمرار في ازدياد عدد السكان ستصبح الارض عاجزة تماما ، فتطل المجاعة بوجهها القبيح ، ولا ينقذ الموقف الا تدخل الطبيعة بما تملكه من قوة على اختيار من هم صالحين للبقاء ، وتترك سائر السكان الى مصيرهم المحتوم .

قد يقول قائل ان هذه الاحتمالات ستحصل يوما من الايام وستطال المجاعة البشرية كلها ولن يسلم من خطرها شعب من الشعوب . وهذا القول يبدو وكانه صحيحا . ولكن هذا لا يمنع من النظر الى الامور على حالتها الراهنة فالطبيعة لا تتعرف الى الحدود السياسية ، وهي وضعت المخلوقات الحية على وجه البسيطة ، وبدات تراقب صراع القوى المختلفة وتنظر بعين العطف الى من هو جدير بالحياة والبقاء . وقد تركت الطبيعة اراض شاسعة لا تزال بكرا ، وهي لم تحتفظ بها لجنس من الاجناس ، بل تركتها للشعب الذي يتمكن من امتلاكها ويضع يده عليها .

فالشعب الذي يتعرف الى الاستعمار الداخلي ، بينما تحاول الشعوب الاخرى الامتداد الى مناطق واسعة من الارض ، سيضطر هذا الشعب ان عاجلا او آجلا الى تحديد نسله . ومن الملاحظ ان افضل الامم هي التي لا تطمح الى التوسع وتكتفي بالاستعمار الداخلي ، تاركة التوسع لامم اقل منها جدارة ولكن اكثر منها عزيمة وقوة وحيوية . وفي نفس الوقت تجد الامم الاولى مضطرة الى تحديد النسل لتفادي المجاعة ، بينما تجد الثانية تنمو وتزدهر وتزداد قوة تباعا لازدياد امكاناتها .

ان فكرة الاستعمار الداخلي ستكون وبالا على شعبنا ، فليس اقتل لحيوية شعبنا من القناعة التي لا يبررها الواقع ، فالقناعة ستقعد بنا عن الجهاد في سبيل المستقبل اللائق . ومتى قلنا لشعبنا ان المانيا تكفي نفسها بنفسها ، فلنقل على المانيا السلام .

ان من سخرية القدر ان يكون اليهودي هو الموجه لهذا التوجيه الخطر، وهو المدخل في روعنا ان في امكاننا توفير ما نحتاجه جميعا باستدرار عطف الارض الالمانية .

لن ينقذ المانيا من خطر الجوع الا الاستيلاء على أرض جديدة . والبلاد الصغيرة في مساحتها تبقى معرضة للمفاجآت العسكرية والسياسية، فالمساحة الكبيرة هي بحد نفسها عاملا اساسيا من عوامل الاستقرار ، فكلما امتدت اراضي شعب سهل الدفاع عنه ، فقد رأينا ان الانتصارات السريعة كانت على اراضي شعوب مجالها الحيوي ضيق ، بينما كان على العكس من ذلك بالنسبة للبلدان ذات المساحات الشاسعة ، اذ ان قوة المهاجم تنهار قبل وصوله الى هدفه البعيد .

ان الموجهين الالمان قد رفضوا فكرة الاستعمار الداخلي لاسباب غير التي ذكرناها سابقا فقد اعتبروا الاستعمار الداخلي كهجوم على الاقطاعيات الكبيرة بشكل عام وعلى الملكية الخاصة بشكل خاص . كما رفضوا فكرة تحديد النسل لاسباب دينية بحتة .

ثالثا : تأمين الطعام والاسكان والعمل للسكان الآخذين بالازدياد وذلك بالاستيلاء على اراض جديدة واسكان الالمان فيها .

رابعا : اغراق الاسواق الخارجية بالبضائع الألمانية لتوفير ارباحا كافية تمنع عنا شبح المجاعة .

لقد اصبح على المانيا ان تختار بين الاعتماد على التوسع او الاعتماد على التجارة . وقد اختارت التجارة بعد تردد طويل ، وكان عليها ان تختار التوسع لانها اصلح واسلم . اذ ان كسب اراض جديدة ينتقل اليها الفائض من السكان له ميزات عديدة ، اهمها وجود طبقة سليمة من الفلاحين تعتمد عليهم الامة كلها . فان ما نشكو منه اليوم سببه فقدان التوازن بين ما تقدمه المدن وبين ما تقدمه الارياف ، وقد كان وجود المزارعين الصغار المتوسطي الحال كالدرع الواقي للشعب ضد مشاكله الاجتماعية التي يواجهها الان . باعتبار ان نشاط المزارعين ضمن مجالات الاقتصاد المقفل يجعل نشاطهم يسير جنبا الى جنب مع باقي النشاطات الاقتصادية وبذلك يؤمن التوازن المطلوب بين حاجات السكان وحالة الانتاج .

لكن سياسة التوسع لا يمكن ان تستهدف بلادا بعيدة كالكامرون مثلا ، اذ ان مكانها الوحيد هو اوروبا . وعلينا كألمان ان نعتنق النظرية القائلة ان الله لا يمكن أن يقضي بأن يحصل شعب على خمسين ضعف ما لشعب اخر من الارض ، وانه اذا كانت الارض قادرة على اكفاء الجميع ، فليس من العدالة بشيء ان يفصل بيننا وبين الحصول على المدى الحيوي لنمونا وبقائنا . لذلك يجب على كل فرد ان يكافح ليؤمن ما يكفل له البقاء،

وان لم يتمكن بالمسالمة واللين فعليه بالقوة . ولو ان اجدادنا استسلموا وتخاذلوا ، كما هي عقلية جيلنا اليوم ، لما كان لنا الان تلك اراضي وطننا الالماني ، ولولا نضالهم لما قامت للرايخ اية قائمة .

وهناك اعتبار اخر يجعل من التوسع طريقة مثلى : تشغل بعض الدول الاوروبية مساحة صغيرة جدا بينما تشغل ممتلكاتها خارج القارة مساحات شاسعة فتكون قمة هذه الدولة في اوروبا وقواعدها تمتد الى جميع انحاء العالم ، كالشكل الهندسي للهرم . وهذا عكس ما هو في الولايات المتحدة الاميركية فقاعدتها على ارضها ولا يوجد ارتباط بينها وبين العالم الخارجي الا بواسطة القمة ؛ وهذا مما يجعل للبلاد مركزا داخليا منيعا بينما يسبب العكس ضعف معظم الدول الاستعمارية في القارة الاوروبية .

اما بالنسبة لالمانيا فالطريقة المثالية التي يمكنها اتباعها تقوم على احراز مدى حيوي لها في القارة الاوروبية بالذات ، لان المستعمرات لا تصلح هدفا التوسع ما لم تكن قادرة على استيعاب اكبر عدد ممكن من السكان الاوروبيين ، علما انه ليس بالامكان الاستيلاء على مستعمرات تحوي هذه الميزة الا بواسطة الحروب ، التي يمكن خوضها في اوروبا عوضا عن المجازفة خارجها .

ومتى تقبل شعبنا فكرة الحرب عليه ان يكرس لها جهوده . ولا يمكن بانصاف التدابير والتردد القيام بمهمة تفرض على كل منا اقصى ما يمكن من الجهد والحزم . ولا بد من جعل سياسة الرايخ منسجمة مع هذا الهدف ، لذلك يجب اعادة النظر في جميع المحالفات المعقودة وقيمة كل منها . ولا يغربن عن بالنا ان توسع المانيا في اوروبا يجب ان يتم على حساب روسيا .

ان انكلترا هي التي كان على المانيا ان تحالفها قبل الشروع في نهجها التوسعي . فبعد ان تضمن سلامة مؤخرتها كان بامكان المانيا شن الحملة الصليبية الجرمانية الجديدة ، اذ ان حقنا في حملتنا الصليبية واضح كما كان واضحا حق اجدادنا .

كان على المانيا ان تكسب ود انكلترا مهما كلفها ذلك من تضحيات فمثلا كان علينا ان نكف عن المطالبة بمستعمرات ، وان نتخلى عن فكرة جعل المانيا اكبر دولة بحرية ، وان نكف عن مزاحمة بريطانيا في ميدان الصناعة . وبدلا من ذلك يمكننا تعزيز قوة جيشنا البرية ، ولو ترتب على هذا النهج الاقلال من طموحنا مؤقتا ، مقابل ضمان المستقبل المزدهر لشعبنا الالماني العزيز .

ان حاجة المانيا التي كانت تواجه ازديادا في عدد السكان ، لم يكن خافيا على انكلترا ، فقد كان على المانيا ان تستفيد من هذه المعرفة وتمد يدها الى انكلترا التي كانت ترغب في التقرب منا . ولكن ساستنا لم يقدموا على هذه الخطوة ، مع ان كل محالفة تقوم وتضمن مصلحة الطرفين المشتركين .

لو اعتمدت المانيا في ذلك الوقت النهج السياسي الذي اعتمدته اليابان

عام ١٩٠٤ ، او فعلت ذلك لما كانت الحرب العالمية ، ولما منينا بتلك الهزيمة المنكرة الشنعاء .

ومهما يكن ، فتحالف المانيا والنمسا كان سخيفا . فقد كانت هذه الدولة المومياء حريصة على التحالف معنا ليتيح لساستها فرصة المضي في ابادة العنصر الجرماني . ولو كان ساستنا ابعد ادراكا لعلموا ان قيمة التحالف النمسوي الالماني يكمن في استمرار نفوذ العنصر الجرماني في النمسا ، ومتى زال هذا النفوذ او ضعف لمصلحة السلاف ، زالت بالتالي قيمة التحالف .

لقد كانوا في برلين يخافون النضال ، ولما فرضت عليهم الحرب كانت الظروف غير مناسبة . وقد حاولوا تفادي المقدر ، وحلموا بسلم دائم ولكنهم استيقظوا على اصوات المدافع ..

ان التعلق بالسلام بهذا الشكل اقعد الساسة الالمان عن الاخذ بفكرة التوسع في اوروبا . فقد كانوا يعلمون ان هناك اراض يمكن الاستيلاء عليها في الشرق ، وانهم بحاجة ماسة اليها ، ولكنهم احجموا عن ذلك لانهم يريدون السلام بأي ثمن ، بدلا من ان يضعوا نصب عيونهم توفير اسباب البقاء ومقوماته للشعب الالماني بأي ثمن ! وكانت النتيجة حرب عام ١٩١٤ — ١٩١٨ .

ولم يبق الا سلوك نهج السياسة الاستعمارية والتجارية .

ان طريقة الاستعمار تستلزم وقتا طويلا ، فالاستعمال ليس بالقفزة الفورية ، انه دفعة تدريجية عميقة ولكنها مستمرة . فعندما سلكت المانيا هذا السبيل كان عليها أن تدرك ان هذه السياسة ستقودهم في النهاية الى الحرب التي ارادوا تجنبها ، مع انهم كانوا يؤكدوا نياتهم السلمية .

وقد ادى هذا السلوك المتناقض الى توتر العلاقات مع انكلترا التي وقفت ضدنا في جميع الميادين . وقد سهى عن بال زعمائنا ان التوسع في اوروبا يفرض التحالف مع انكلترا ضد روسيا ، فالتوسع خارج أوروبا يفرض محاربة روسيا ضد انكلترا . وفي هذه الحالة لا بد من تبديل المحالفات وذلك بالتخلي عن النمسا . ولكن برلين لم تفكر بالتحالف مع روسيا ، ضد انكلترا ولا العكس بالعكس ، لاعتقادها ان هذا سيؤدي الى الحرب ، ولتلافي النزاعات المسلحة لجأت الى سياسة الانتاج كطريقة مثلى لاستعمار العالم بطريقة سلمية .

لقد كان باعتقاد ساستنا ان استعمار العالم اقتصاديا وسلميا سيضع حدا لسياسة العنف ، وما ان شعروا بعداء انكلترا الصريح حتى قرروا بناء اسطول لم يكن الغرض منه الهجوم على انكلترا وسحقها ، بل كان الغرض منه الدفاع عن « السلم العالمي » وقد حرصت المانيا على ان يكون هذا

الاسطول متواضعا من حيث السلاح ، وبذلك تؤكد رغبتها في السلام والمحافظة عليه .

كانت سياسة الفتح الاقتصادي السلمي سياسة سخيفة لا تليق بدول عظمى . فقد بلغ الهوس ببعض المتعصبين لهذه السياسة حدا جعلهم يزعمون ان انكلترا سبقت المانيا في هذا الميدان واصابت نجاحا باهرا . حقا ان بعض الناس يقرأون التاريخ ولا يعرفون منه شيئا .

لم تنشىء الامبراطورية البريطانية بالاستعمار السلمي : فالوحشية التي اعتمدها الانكليز كانت مضرب الامثال . ان السر في السياسة الانكليزية هو في استخدام القوة السياسية لتحقيق الفتوحات الاقتصادية : كما انها تعرف كيف تحول نجاحها الاقتصادي الى قوة سياسية . وانه لمن السخف ان نعتقد ان انكلترا كانت لا تهرق دماء ابناءها في سبيل التوسع الاقتصادي . فقد كانت انكلترا تستخدم المرتزقة لكسب الحروب وبذل الدماء ، ولكنها في نفس الوقت كانت تجود بدم ابناءها في الحالات التي لم يكن فيها بدا من التضحية .

ولكنا في المانيا ، كنا نعتقد ان الرجل الانكليزي رجل اعمال وتجارة ، واسع الحيلة ، بليد وجبان . ولم يخطر في بالنا ان امبراطورية واسعة كالامبراطورية البريطانية لا يمكن ان تكتسب بالخداع واللين . اما الالمان القلائل الذين وقفوا ليحذروا مواطنيهم من قوة الانكليز كشعب مقاتل ، فقد اعتبروهم انهزاميين ولم يأخذ برأيهم .

ما زلت اذكر الدهشة التي كانت تستحوذ على رفاقي في جبهة الفلاندر ، عندما جابهنا الانكليز في احدى الملاحم القاسية ، فقد ادركنا جميعا ان هؤلاء الاسكتلنديين محاربون اقوياء . وان الصحف والبلاغات كانت تخدعنا حين صورتهم لنا بصورة الجبناء .

*

ان تسرع المانيا بالتحالف مع النمسا قد قعد بها عن التوسع في اوروبا معتمدة على صداقتها مع روسيا . وان الاعتماد على دولة مهترئة مفككة كالنمسا للاقدام على التوسع هو ضرب من الجنون .

فقد كان اندلاع الحرب العالمية بسبب النمسا ، من حسن حظ المانيا . فقد حالت الحرب بين آل هابسبورغ وبين التهرب من التزاماتها تجاه المحالفة المعقودة ولو كان الامر على عكس ذلك لما عتمت فيها ان وجدت وسيلة للتهرب من التزامها وتقف على الحياد . وما كان السلاف ليقبلوا بارسال الجيش النمسوي ليحارب اكراما لالمانيا التي تحمي العنصر الجرماني في النمسا .

لقد كان للنمسا اعداء كثيرون يطمعون باقتسامها ، وبالتالي سيناصبوا المانيا العداء باعتبارها تقف حجر عثرة في سبيل مطامعهم . ومن اجل النمسا

ايغض الايطاليون المانيا . وقد كان بالامكان التفاهم مع روسيا ما دام الالمان يريدون التوسع اقتصاديا ، ولكن اليهود والماركسيين جعلوا الحرب محتمة ولولا الحلف الثلاثي لما تمكن اعداء المانيا من حمل دول اوروبا الشرقية وروسيا وايطاليا على خوض الحرب ضد المانيا ، فقد كان امل الطامعين هو اقتسام النمسا بعد تصفية حسابها . ولكن رغبتهم في وجود الحرب هو وجود تركيا في عداد حلفاء المانيا باعتبار ان تركة السلطنة كانت مما تغري ويسيل اللعاب .

ان الرساميل اليهودية كانت وراء هذه الاغراءات التي لوحت بها للطامعين ، على امل الوصول الى هدفها وهو القضاء على المانيا التي لم تكن خاضعة للنفوذ اليهودي المالي والاقتصادي .

*

لنرجع الى السياسة الاقتصادية لالمانيا خلال السنوات التي سبقت نشوب الحرب . فقد كان النجاح الذي اصابته المانيا في ميادين التجارة باهرا لدرجة ان البعض ذهب في غروره للاعتقاد ان وجود الدولة مرهون باستمرار الازدهار الاقتصادي والتجاري ، والدولة هي قبل كل شيء مؤسسة اقتصادية كبرى . علما ان استمرار الازدهار هو رهن بقيام دولة قوية تدعمه . ان الاقتصاد وسيلة من الوسائل الضرورية لتحقيق الفرض من وجود الدولة ، ولكنه ليس سبب وجودها ، فالدولة التي تجعل من الاقتصاد سببا لوجودها ليس لها ما لبقية الدول من مقومات البقاء .

ان في تاريخ المانيا اكثر من دليل على ان المستوى الاقتصادي لالمانيا كان يرتفع بارتفاع وازدياد نفوذها السياسي في المجال الدولي .

ان العقل والادارة والتضحية والمثل العليا هي القوى التي تنشيء الدولة وتصونها . فالانسان لا يقدم على التضحية بنفسه من اجل صفقة تجارية ولكنه يفعل من اجل فكرة او مثل اعلى .

لقد حاربنا في الحرب العالمية من اجل لقمة الخبز ، بينما حاربت انكلترا دفاعا عن الحرية . وقد حارب الانكليز حتى النهاية بقوة واخلاص . اما نحن فقد استبسلنا في بداية الحرب ولم نلبث ان تخاذلنا وانهارت معنوياتنا حين علمنا اننا نحارب من اجل اللقمة .

ان الدول تبقى وليدة غريزة حب البقاء ، بقاء العرق ، سواء كانت هذه الغريزة في ميدان البطولة او ميدان الدسائس . فاذا تجلت في الميدان الاول نشأت دولا آرية يسودها العمل الجدي . اما اذا تجلت في الثاني فانها تنشيء مستعمرات فضولية لليهود .

لقد ادركت خلال مشاهداتي في فينا والمانيا ان الجمود المميت الذي

سيطر على امتنا كان بسبب جرثومة الماركسية الرهيبة ، والسموم التي كان ينفثها اليهود اساتذة الماركسية وحماتها .

وانكببت ، للمرة الثانية ، على دراسة هذه العقيدة الهدامة على ضوء الاحداث السياسية الجديدة . وقد اطلعت على المحاولات التي حاولها بعض الرجال العظام للحد من انتشار هذا الوباء العالمي الفتاك ، وقد اعجبت بمحاولة بسمارك والتشريعات التي سنها والتي قطعت ذيل الافعى ولكنها لم تقض على رأسها . فقد حارب بسمارك ضحايا الماركسية ولكنه لم يحارب الماركسيين بالذات . فقد حاول ان يقضي على الوباء بقتل المصاب واغفل عن ناشر الجرثومة . ومرة ثانية درست العلاقة بين الماركسية واليهودية، وتأكدت لي حقيقة اليهود ومراميهم في اشاعة الفوضى والخراب في العالم ليتمكن هذا الشعب المختار من استغلال الفوضى وبفرض مشيئته في كل مكان .

كنت انظر الى المانيا حين كنت في فينا نظري الى عملاق جبار ، ولكن بعد انتقالي الى ميونيخ تغيرت نظرتي وصرت اشك في مقدرة هذا العملاق على الصمود في وجه الاعاصير . وصرت انتقد سياسة المانيا الخارجية بشكل ظاهر وعلني وخاصة بما يتعلق بموقفها من خطر الماركسية الذي اخذ بالتفاقم . وقد ادهشني عدم الاكتراث من قبل المسؤولين لهذا الخطر الهدام الذي يوجهه اليهود ، ومما زاد في نقمتي ان فئة من المفكرين قاموا بحملة تخدير للحكام الذين شعروا بخطر الماركسية ، زاعمين ان هذه العقيدة لن تعيش في المانيا لان لشعبنا مناعة طبيعية ضد هذا المرض الفتاك . وقد سها عن بالهم ان هذه العقلية المريضة قد اودت بحياة امبراطورية ضخمة .

واخذت على نفسي منذ عام ١٩١٣ مهمة تحذير الشعب من هذا الخطر ، واوضحت اكثر من مرة ان مستقبل المانيا يتوقف عليه القضاء على الماركسية قبل انتشارها . وقد كان لهذا التحذير صداه المستحب عند المواطنين الذي هم الان جنود الحركة القومية الاشتراكية .

وقد تأكد لي مع الايام ان الاخطاء السياسية التي ارتكبها المسؤولون الالمان منذ اواخر القرن الماضي حتى نشوب الحرب العالمية كان نتيجة الاخذ بنصائح عملاء الماركسية من يهود ومفكرين عديمي الاخلاص لوطنهم . فعندما اقامت المانيا اقتصادها على تلك الاسس الواهية كان اليهود اول المهللين لها ، يقينا منهم ان الاقتصاد الاعوج سيؤدي بالمانيا الى الانهيار ، فتقوم على انقاضها الدولة التي يحلمون بها . دولة تحكمها في الظاهر البروليتاريا وتخضع في نفس الوقت لسيطرة شرذمة من رجال المال اليهود .

وقد لاحظت في الصحف الاشتراكية الديموقراطية المقالات المسمومة والتي كان يحررها يهود جبناء يذيلون مقالاتهم المحشوة بالسموم بتواقيع مستعارة . وهذا لم يكن له وجود في النمسا .

*

- ٣ -

هتلر والشيوعية

في عام ١٩١٤ انقضت صاعقة عظمى على الارض ، واصم الاذان صوت مدافع الحرب العالمية .

عندما اعلن في ميونيخ نبأ مقتل الارشيدوق فرنسوا فرديناند اصابني قلق شديد ، وكنت اتساءل عند وصول الخبر المشؤوم ، هل قتل الارشيدوق برصاص طلبة المان عز عليهم ان يعمل ولي العهد على اكساب النمسا الطابع السلافي ، فقرروا التخلص منه وانقاذ الشعب الالماني من عدو داخلي ؟ واذا كان افتراضي صحيحا فمعنى ذلك أن فيننا ستجد مبررا لزيادة اضطهادها للالمان تجاه العالم كله . ولكن عندما علمت ان الصرب هم المتهمين الرئيسيين بالقتل ، دهشت لسخرية القدر ، فقد سقط اوفى اصدقاء السلاف برصاص اشد المتعصبين للسلاف .

ان من اتيح لهم تفهم موقف النمسا من صربيا علموا انه لا بد للصخرة التي ابتدات بالتدحرج من ان تستقر في قعر الهاوية ..

لا يسعنا مؤاخذة الحكومة النمسوية على الانذار الذي وجهته عقب الاعتداء فقد كان تصرفها سليما . فقد كان على حدود النمسا الجنوبية الشرقية عدوا لدودا ، ما برح يتربص بها . ويتحين الفرصة المناسبة للانقضاض عليها ، ولكن خصوم المملكة كانوا يعتقدون ان زوالها قد اصبح محتوما بعد تواري الامبراطور فرانسوا جوزيف ، فهو الوحيد الذي كان يجسد الامبراطورية في نظر غالبية الشعب وقد عمل الساسة السلاف على ترسيخ هذا الوهم في نفوس الشعوب مدخلين في روعهم ان الدولة مدينة

بوجودها لعبقرية الامبراطور وحسن سياسته . وكان هذا المديح يلاقي وقعا حسنا في نفس الامبراطور فرنسوا جوزيف ورجال حاشيته ، ولكنه في نفس الوقت يحوي في طياته خنجرا مسموما ليكون اداة لتمزيق فريستهم . .

لقد ادى مصرع ولي العهد الى دفع عجلة الحرب الى الامام ، وبالرغم من ان الناقدين قد اتهموا فينا في تسبب الحرب ، الا ان الحرب كانت واقعة لا محالة . فلو عملت حكومتي المانيا والنمسا على تفادي الحرب بعد مقتل الارشيدوق لادى هذا الى تاجيل الكارثة الى ظرف اكثر ملائمة لخصومهما فقط .

ان من يتبجحون بلوم الذين ايقظوا اله الحرب من نومه ، ويسدون النصائح السخيفة ، يجب ان يحملوا وقبل سواهم وزر الحرب وجرائرها. فمنذ عشرات السنين والاشتراكية الديموقراطية الالمانية تحرض على الحرب ضد روسيا ، اما بالنسبة لاحزاب الوسط فقد ساهمت في جعل النمسا حجر الزاوية في محور السياسة الالمانية ، وذلك لاعتبارات دينية بحتة . وقد جنت البلاد ما زرعته الاحزاب السياسية وتحملت اخطاء هذه الاحزاب . اما بالنسبة لالمانيا فقد كان خطاها الوحيد هو حرصها على السلام ، فقد تركت الظروف الملائمة للهجوم تفوتها للحفاظ على السلام التي ذهبت هي ضحيته ، بل ضحية التحالف العالمي لاشعال الحرب العالمية .

ان الانذار الذي صاغته فينا في قالب معتدل قد اثار نقمة الشعب واعتبره انذارا ضعيفا . فالحرب عام ١٩١٤ لم تفرض على الشعب ، فقد ارادها الشعب برمته ، اذ تقدم للجهاد مليوني الماني بين رجل وفتى متاهبين جميعهم للدفاع عن الوطن وبذل دمائهم في سبيله .

اما بالنسبة لي شخصيا فقد حررتني الحرب من جو الكآبة المسيطر علي ، اذ سرعان ما دب في الحماس فجثوت اشكر السماء لانني ولدت في هذا العهد بالذات .

بدأ النضال المرير من اجل الحرية ، فقد ادرك الشعب انه مدعو الى الكفاح والبذل لا من اجل النمسا بل من اجل الامة الالمانية ذات التاريخ المجيد . وهكذا بدأ الشعب يتبين مستقبله بعد سنين من التعامي .

لقد مرت بذاكرتي فكرتان بعد صدور البلاغ الرسمي حول مقتل الارشيدوق أن الحرب باتت محتمة ، وان الظروف ستفرض على النمسا احترام اتفاقاتها المعقودة . فقد كنت اخشى ان تضطر المانيا الى دخول الحرب باسم الحلف الثلاثي دون ان تكون النمسا السبب الرئيسي للحرب، وربما لاعتبارات سياسية داخلية ستجبن فينا عن القيام بواجباتها كحليفة لالمانيا ، ولكن وبما ان الواقعة وقعت بسبب النمسا (في الظاهر على الاقل)

فلم يبق امام النمسا الا ان تضع يدها في يدنا لنواجه الموقف سوية متحملين جميع النتائج .

ان موقفي من النزاع كان واضحا ، فقد علمت منذ اللحظة الاولى ان المسالة بالنسبة لالمانيا كانت اخطر من تاديب صربيا . فقد كانت كفاح الامة الالمانية باسرها في سبيل وجودها وحريتها . ادركت ان المانيا التي حقق لها بسمارك وحدتها ، مدعوة مرة اخرى الى البذل والتضحية ، وان ما قام به اجدادنا من تضحيات وبذل في ميدان المعارك الرهيبة من فيسمبورغ الى سيدان وباريس ، يفرض على الجيل الحاضر ان يحرزه من جديد ، فاذا تمكنا من الكفاح حتى النهاية ، تكون قد حققنا النصر واصبحنا في مصاف الامم الكبرى ، فتصبح الامبراطورية الالمانية من جديد موئلا للسلام دون ان تضطر الى حرمان ابنائها من قوتهم اليومي اكراما للسلام .

وما ان نشبت الحرب ، حتى سارعت لتلبية نداء الواجب فوضعت كتبي على الرف بعد ان قررت ان احمل السلاح لادافع عن وطني ، وفي الثالث من شهر آب ١٩١٤ وجهت رسالة الى جلالة الملك لويس الثالث اطلب قبولي في احدى القطعات العسكرية البافارية ، وكم كان سروري عظيما عندما وصلني في اليوم التالي القبول والموافقة على تطوعي بفيلق بافاري معين . واقمت انتظر بزوغ فجر اليوم التالي لاسافر الى الجبهة ، وقد كان همي الوحيد ان اصل الى ساحة القتال قبل ان تنتهي الحرب ، لان الاخبار كانت تجمع على ان الحرب ستكون قصيرة .

واخيرا سافرنا الى الجبهة ، وابصرت لاول مرة نهر الراين عندما اتجهنا غربا لنسهم في الدفاع عن النهر الالماني العظيم .. وعندما شاهدت تمثال جرمانيا رمز السيطرة الالمانية على رينانيا ، امتلات صدورنا بالفخر والاعتزاز ونشدنا نشيد « الراين » وكلنا حماس وامل بالنصر الكبير ..

وصلنا سهول الفلاندر ، وشرعنا بالزحف تحت ستار الظلام دون ان نلقى اية مقاومة من العدو ، ولكن ما ان بزغ الفجر حتى بدا الرصاص ينهمر علينا ، فتعالى هتافنا ترحيبا بالموت والتحمنا مع العدو وسط حقول اللفوف ، وعلت اصواتنا بالاناشيد الحماسية ، ومشينا الى الموت ننشد « المانيا فوق الجميع » .

بعد اربعة ايام تراجعنا الى حيث بدانا الهجوم ، لكن المدة القصيرة كانت كافية لنصبح رجالا مدربين مكتملي الرجولة . فقد كان فيلقنا ، فيلق « ليست » غير مدرب على القتال كما يجب ، ولكننا على استعداد تام للموت ميتة الابطال العريقين في فنون الجندية والقتال .

توالت السنون ، وانطفات جذوة الحماسة في صدورنا ليدخل مكانها الرعب والخوف من الموت ، وقام في داخلنا صراع عنيف بين الواجب وحب

البقاء . فقد كان الجبن يسيطر علينا محاولا اقناعنا بضرورة التوقف والتمرد والثورة على قادتنا ، ولكن ثباتنا وعنادنا كان يقوى على هذا الشعور المتخاذل الى ان انتهى هذا الصراع الداخلي ، فاستمدت رباطة جاشي خاصة في معارك عام ١٩١٥ ولم يعد يراودني هذا الشعور منذ ذلك الحين . وكان هذا ينطبق على بقية رجالنا ، فقد تمكن الجيش كله من التغلب على الخوف والضعف وجعلته المعارك المتواصلة صلبا فولاذي الاعصاب . فقد اثبت الجيش الالماني ، باعتراف المؤرخين ، انه فريد عصره بما اظهره من شجاعة وجلد في مقارعة خصومه الذين يفوقونه عددا وعدة . ولن ينسى العالم كله ان الجيش الالماني الباسل ضرب اروع الامثلة في التفاني ونكران الذات .

لم يكن لدي الوقت ، في ذلك الحين ، للاهتمام بالسياسة الا ان بعض الصحف المعينة منذ احرازنا اولى انتصاراتنا ، بدأت في تعكير صفو الابتهاج العام باسلوب بارع خبيث استحال معه تبين خطر هذه الالاعيب واهدافها الحقيقية . فقد عارضت الاحتفالات التي كانت تقام ابتهاجا بالانتصارات العسكرية ، بحجة عدم لياقتها بأمة عظيمة كالامة الالمانيـــة . فالشجاعة والاعمال البطولية ، لا يبرران هذا الاسراف في الابتهاج بل على العكس قد يسيء الى المانيا باعتبارها دولة محبة للسلام وهي لم ترد الحرب في الاصل ، بل هي راغبة في التعاون مع الدول على قدم المساواة .

نتيجة لهذه الحملات الخبيثة ، قامت السلطات باتخـاذ الاجراءات الكفيلة بالحد من الابتهاج العام الغير لائق ، بدلا من ان تأخذ بهؤلاء الثرثارين الى ساحة الاعدام وتريح الشعب من فلسفتهم . ولكن السلطات شاءت ان تكبت الحماس وتخنقه في صدور المواطنين ، بدلا من ان تدعهم يواصلون النضال وهم زاخرين بالقوة والحماس .

والشيء الثاني الذي كان يقض مضجعي منذ اشتعال نار الحـرب الكبرى ، هو التغاضي التام عن نشاط الماركسيين ، وكانت حجة السلطات ان المصلحة تقتضي تكاتف جميع الاحزاب ، ولا يجوز استثناء الماركسيين . ولكن الماركسية لم تكن حزبا بل عقيدة يقضي انتشارها الى تغيير المقاييس التي حفظت الكائنات ويترتب على نجاحها القضاء على البشرية قضاء تاما . وقد صرح وزير الداخلية بان حزب الماركسيين قد دلل على صدق وطنيته وعاد الى حظيرة الوطن . . . وهذا هو الجهل بعينه .

لقد كان على السلطات ان تحزم امرها وتتخذ جميع التدابير الكفيلة بالقضاء على المضللين والماركسيين ومن وراءهم اليهود . كان على الحكومة ان تقضي على اعداء المانيا ، على تلك الحثالة الباقية في المؤخرة بينما كانت النخبة في الامام تجود بدمائها في ساحة القتال . لكن جلالة الامبراطور شاء

ان يمد يده الى المجرمين ، فعفا عن مصاصي دماء الشعب ، متيحا لهم فرصة العمل بحذر وحكمة ممهدين الطريق امام الثورة ..

لقد زادت نقمتي على الاوضاع وكنت اتساءل عن السبب الذي دعا المسؤولين الى هذا التسامح بدلا من استعمال الشدة والعنف لتأديبهم ، وهل تتمكن القوة من القضاء على العقيدة ؟ ورجعت الى التاريخ استقرئه ، وخرجت بالمبدا الاساسي التالي :

تصبح العقائد والمبادىء المرتكزة على الفكرة الفلسفية ، بعد ان تبلغ مرحلة معينة ، امتن واقوى من ان يقضى عليها بالقوة المادية الا اذا وجدت هذه القوة المادية لتقديم فكرة او عقيدة جديدة . والا لا يمكن القضاء عليها او منع انتشارها ، اللهم اذا ابيد جميع انصارها ومؤيديها من الوجود ، وهذا يؤدي الى الاطاحة بالدولة لان مذبحة كهذه ستقضي على الفريق الصالح من المواطنين مع غيرهم . فان كل حركة اضطهاد لا ترتكز على اساس فكري تظهر للعالم وكأنها حركة ظالمة ، وتدفعهم الى العطف على المضطهدين ، وبذلك يزداد قوة الانصار تبعا لاتساع حركة الاضطهاد .

ان الشبه لكبير بين العقيدة المحصورة في نطاقها الضيق وبين الكائن الحي وهو لا يزال طفلا . فهو يتعرض للامراض في مرحلة الطفولة ، انما السنين تكسبه مناعة كافية . وهكذا الفكرة او العقيدة يسهل القضاء عليها قبل ان تنمو وتنتشر ، اما اذا جاء التدبير بعد انتشارها ، فان النتائج ستكون مخيبة للآمال للاسباب الآتية :

ان الشرط الاساسي لنجاح فكرة القوة لمكافحة عقيدة ما ، هو الاستمرار في محاربتها بدون هوادة ، اما اذا كان هناك قليلا من التسامح ، فالعقيدة لا تلبث ان تستجمع قواها وتعود الى نشاطها من جديد . لكن الاستمرار في المكافحة يجب ان يقوم على اساس عقيدة اخرى ، والا كان الاستمرار بالقمع يبدو مترددا لافتقاره الى الركائز التي تدعمه ... لهذا نجد ان جميع المحاولات التي بذلت لقمع فكرة الماركسية قد باءت بالفشل .

ان ما اتخذه بسمارك من تدابير ضد الاشتراكيين لم يؤد الى نتيجة مرضية ، وذلك لعدم وجود فكرة او عقيدة مضادة . وقد اضطر في النهاية لا سيما بعد ان جنح الاشتراكيون نحو الماركسية اضطر بسمارك الى الاستعانة بالديمقراطية البورجوازية ، اي بكلمة ثانية بالاشتراكيين المعتدلين لمكافحة الماركسيين ، وكان بعمله هذا كالذي يوصي القط بقطعة الجبنة ...

الحــرب والدعايــة

كانت الدعاية على جانب عظيم من الاهمية ، فهي اداة لتنوير الاذهان من جهة ولخداع من يراد خداعهم من جهة ثانية . وقــد لفــت نظـري ان الاحزاب الاشتراكية والماركسية كانت تتقن هذا الفن الذي لم يتعلمهسواهم من الاحزاب المناوئة عند الحزبالمسيحي الاشتراكيالذي كانت لديهدعايات منظمة في عهد الدكتور لوجر .

وقد لعبت الدعايات دورا بارزا في الحرب ، وكنت وانا اراقب نشاط العدو في هذا الميدان ، اكاد انفجر غيظا لاغفالنا خطــر هذا الفن الفعــال . والأدهى من ذلك ان قادتنا لم يفكروا باللجوء الىهذا السلاح ، معانهملمسوا مدى تأثيره في معنويات الشعب والجيش .

نعم لم تكن لنا دعايات منظمة ، وكانت الدعايــات الممسوخــة التـي نوجهها تعطي نتائج عكسية ، لان الذين اوكل اليهــم تنظيمهــا لم يحملــوا انفســهم عناء تحديد الغرض منها ومعرفة ما اذا كانت وسيلة أم غاية .

لقد كانت غايتنا من انبل الغايات واشرفها . فقد كنا ندافع عن حرية شعبنا واستقلاله وتوفير طعامه وضمان مستقبله . لذلك كان المفــروض في الدعايات ان تركز على هذا الهدف لتذكي روح النضــال في شعبنا لبلــوغ النصر .

عندما نكافح من اجل كياننا ، لا يبقى هناك مجالا للاعتباراتالانسانية، لان هذه الاعتبارات هي من صـنع مخيلة الانسان ، فمتى زال هو زالت معــه اعتبارات الانسانية لان الطبيعة لا تعترف بها .

قال مولكته : « ان أساليب القتال العنيفة هي اكثر اساليب انسانية لانها تعجل في وضع حد للحرب ، والنضال من اجل الكيان ينفي كل اعتبار جمالي ، لانه ليس هناك اقبح من ظلم الاستعباد » .

نعم لقد كان مولكته محقا ، وقوله هذاينطبق على القتال وعلى الدعاية. فالشعب قد حمل السلاح ليدافع عن كيانه ، والدعاية التي تهدف الى اذكاء حماسته الوطنية هي غاية يجب الوصول اليها مهما كانت الوسـائل . فكــل سلاح مهما يكن منافيا لمبادىء الانسانية ، يصبح وسيــلة انسانية مــا دام الغرض من استعماله الدفاع عن حريتها .

هل توجه الدعاية الى المتعلمين ام الى العوام ؟

يجب توجيه الاعلان الى عامة الشعب فالمتعلمين يوجــه لهــم التفسير العلمي للدعايات . لان الدعاية لا تحوي من العلم اكثر مما يحويه الاعلان مــن

عناصر فنية . ففن الاعلان يقوم على براعة الرسام في لفت النظر الى اعلانه الموسوم . فمثلا الاعلان عن معرض فني ، يطلب اولا ابراز الفن في المعرض المعلن عنه ، واعطاء فكرة عن معنى هذا المعرض ؛ اما الفن فلا يمكن للرسام أن يعطي اي فكرة عنه الا بزيارة المعرض والنظر الى كل لوحة على انفراد .

ان الدعايات تهدف الى لفت نظر الجمهور الى وقائع واحداث ، لا على تنوير الشعب على اساس علمي . لذلك وجب التوجه الى قلوب الشعب لا عقله .

يجب ان تكون الدعاية شعبية لتكون في مستوى تفكيره . وكلما كان عدد الذين تنقل لهم الدعاية كبيرا ، كلما وجب خفض مستواها العلمي ؛ ليتسنى لجميع الطبقات تفهمها واستيعاب القصد منها . فالدعاية التي تتوجه الى قلب الجمهور وحواسه قبل عقله هي التي تكون اشد تأثيرا به ؛ شرط ان لا تعتمد التضليل وقلب الحقائق .

لقد ركزت الصحافة الالمانية والنمساوية على السخرية من العدو ؛ واظهاره بمظهر الجبان . ولكن هذه الدعاية كانت تعطي نتائج معكوسة ، لان قراء هذه الصحف كانوا يجدون في ساحات القتال جنودا من الاعداء شجعانا واقوياء لذلك عوضا عن تقوية روح المقاومة في الجنود ، اضعفت من معنوياتهم واثارت نقمتهم . بعكس الدعاية الانكليزية التي كانت تبدو معقولة بارعة ؛ فقد كانت تصور الالمان كقبائل « الهون » البرابرة . فهي كانت تعد الجندي الانكليزي للثبات واليقظة . وعندما يجد في الالمان الشدة في القتال ، يتأكد من ان الدعاية التي زودته بها حكومته لم تكن مضللة ؛ فيقتنع ان الالمان برابرة ...

لذلك كسبت الحكومة ثقة جنودها ، فايقنوا ان حكوماتهم تصارحهم بالحقيقة مهما كانت جارحة . بعكس الجندي الالماني فقد انتهى به العدو الى اعتبار جميع ما تعلنه حكومته تضليلا ونفاقا . وكان فشل الدعاية الالمانية يعود الى اهمال الاعتبارات السيكولوجية ، وعدم ابراز موقف المانيا في شتى الميادين دون اللجوء الى المقارنة بين المانيا والدول الاخرى . اليس من السذاجة ان يعلن احد معامل الصابون عن التاجه الجيد ذاكرا ان الصابون الذي تنتجه المعامل الاخرى جيد ايضا ؟ فقد كانت دعاياتنا تقوم على هذا المنطق الاعوج فالدعاية لا تكون الا لمصلحة الفريق الذي تعمل له .

لقد وقعت الدعاية الالمانية في هذا الخطأ الكبير حينما اكدت انه لا يجوز ان تتحمل المانيا وحدها مسؤولية جر العالم الى الحرب ، وان العدو يجب ان يتحمل قسما من هذه المسؤولية . فهي قد اعترفت ببعض الحق للعدو ، امام شعبها الذي يسوده الشك والارتياب في حكومته ؛ فما لبث هذا الشعب ان وقع في دوامة القلق واصبح عاجزا عن التمييز بين مسؤولية

العدو ومسؤولية وطنه ، وزاده ترددا وتشكيكا دعاية العدو المضادة التي كانت تضع كل المسؤولية على المانيا وحدها وتحملها جميع التبعات، فانتهى به الامر الى الوقوع في حبائل الدعاية المضللة .

لقد أدرك الانكليز ان اكثرية الشعوب في الازمات تأتي آراؤها وتصرفاتها نتيجة المؤثرات لا نتيجة التفكير المجرد . فالتأثير الذي يسيطر على الشعوب ليس الا الشعور بالحب او البغض ، بالصدق او الكذب ، بالقوة او الضعف .

لقد اكتشف الانكليز سر الدعاية ، وعرفوا كيف يستخدمونها كسلاح اساسي . فجندوا لها رجالا اكفاء ، فنجحوا نجاحا باهرا .

اما نحن فقد اعتبرنا الدعاية كسلاح ثانوي ، وعهدنا بها الى نفر من حملة الاقلام البعيدين عن الجمهور ، فكانت النتيجة الفشل . . .

– ٥ –

الثورة

بدات حملة العدو الدعائية عام ١٩١٥ ، وخلال عام ١٩١٨ تدفقت الاشاعات والاكاذيب على المانيا بشكل ظاهر مما اثر تأثيرا مباشرا على الجيش ، وبدأ يحول تفكيره نحو تصديق ما كان يقوله العدو . وفي الصيف وبعد اخلاء الضفة الجنوبية لنهر المارن ، وقفت صحافتنا الالمانية موقفا مخزيا ان لم نقل مجرما ، وقد رحت اسائل نفسي بألم : ماذا تنتظر السلطات لوقف هذه الحملات المسعورة المضعفة لمعنوياتنا .

ماذا صنعت فرنسا عام ١٩١٤ عندما اجتاحت جيوشنا اراضيها ؟ وما هو الموقف الذي وقفته عام ١٩١٨ عندما أوشكت جيوشنا على دخول باريس ؟ لقد قامت الدعاية لتلعب دورها المنظم في الهاب صدور الشعب بالحماس مدخلة في عقولهم ان النصر النهائي سيكون لهم .

كم تألمت لانني لم اكن مكان المسؤولين عن الدعاية الالمانية ، وهم العاجزين او المقصرين . ولكن شاءت الظروف ان اكون في وضع يسمح لاي زنجي أن يصرعني برصاصة ، مع العلم انني لو كلفت بمهمة اخرى لاسديت لبلادي خدمات كثيرة ، ولكن ما حيلتي انا الجندي البسيط بين ثمانية ملايين رجل !

في احد ايام الصيف من عام ١٩١٥ وقعت على احدى النشرات الدعائية التي كان يوجهها العدو ، فقرات فيها أن المجاعة بدات تنتشر في المانيا ،

وان الحرب طويلة ولم يعد هناك من امل لالمانيا في كسب الحرب ، لذلك فان الشعب الماني يريد السلم لكن العسكريين والقيصر لا يريدون له السلم بل الحرب ، واذا كان العالم قد حمل السلاح ، فليس معنى هذا انه يحارب شعب المانيا ، ولكن غاية الحلفاء هي معاقبة المسؤول الوحيد ! القيصر غليوم ، وان تنتهي الخلافات الا بعد اقصاء القيصر عدو البشرية . ومتى انتهت الحرب ستفتح الشعوب الحرة والديمقراطية ذراعيها للشعب الالماني كي تتعاون واياه تحت جناح السلم العالمي الدائم ، هذا السلم الذي ستقوم دعائمه على انقاض الروح العسكرية البروسية ...

كانت هذه النشرات تقابل بالسخرية التامة ، ولكن العدو استمر في ارسالها بواسطة الطائرات . وقد لاحظنا ان النشرات التي كانت تلقى فوق الاراضي التي يسكنها بافاريون تتضمن هجوما عنيفا على بروسيا ، زاعمة انها المسؤولة عن نشوب الحرب ، مع ان الحلفاء لا يريدون الحرب مع بافاريا ، ولكن لا يسعهم ان يساعدوها طالما هي مع البروسيين . ولم تلبث هذه الدعاية المسمومة ان اثرت تأثيرا كبيرا ، فازدادت النقمة على بروسيا خاصة في الجيش دون ان تكترث لها السلطات ، ولما قررت التدخل كان الوضع قد اصبح خطيرا وافلت زمامه من يدها ، ودفع ثمن تهاونها الشعب الالماني كله ...

وقد ساهم في اضعاف معنويات الجنود ، الرسائل التي كانت ترسلها النساء الى ازواجهن يشكون فيها ما يقاسونه من عذاب وحرمان ... وقد حصل العدو على بعض الرسائل مع الاسرى فاستغلها في دعاية احسن استغلال ... وهكذا بدات الازمة تتفاقم ، ولكن بقيت هناك معنويات طيبة بين الجنود ، بحيث انهم كانوا يؤدون واجبهم على اكمل وجه ويدافعوا عن كل شبر من أرض الوطن .

في شهر ايلول عام ١٩١٦ تلقينا الاوامر الالتحاق بالفيالق المقاتلة قرب نهر « السوم » حيث شاركنا في قتال رهيب مع العدو ، وكان سلاحنا جديدا جعل من المعركة جحيما . وفي السابع من تشرين الاول اصبت بشظية ، فنقلت الى المؤخرة حيث اقلني القطار الى المانيا ، وادخلت الى مستشفى بيليتز في ضواحي برلين . وهناك قدر لي ان المس الفرق بين الروح الوطنية المسيطرة في الجبهة وبين المؤخرة . لقد سمعت ما لم اسمعه في ميدان القتال . سمعت جريحا يتحدث ويفاخر بفشله وجبنه ، وسمعت آخرا يقول انه جرح بالاسلاك الشائكة كي ينقلوه الى المستشفى ، وقد لاحظت ان بعض المستمعين كان يصغي اليه مستحسنين ما يقوله ...

ما ان تمكنت من المشي دون تعب ، حتى طلبت الاذن باخراجي من المستشفى حيث انتقلت البرلين التي كانت في حالة غليان شديد ، فالمجاعة

متفشية والامراض تفتك بالناس والنقمة على الاوضاع ظاهرة على وجوه الجميع .

بعد شفائي التام التحقت بفوج الاستيداع في ميونيخ . وهناك كانت الحالة أسوأ من برلين . وقد أدهلتني الروح الانهزامية المستسلمة التي سيطرت على مدينة الفن . وكانت معنويات الجنود في الفوج الذي التحقت به أسوأ من معنويات السكان ، فقد كان مدربي الفوج من الضباط المستجدين الذين لم يذهبوا الى الجبهة قط ، لذلك لم يتمكنوا من تفهم نفسية الجنود الذين قاتلوا واصيبوا ودفعوا ضريبة الدم .

ومن جملة ما لاحظته ان الحالة الروحية اجمالا لم تكن مرضية . فاليهود كانوا يشغلون معظم الوظائف المدنية، والحياة الاقتصادية اصبحت معلقة بيدي اليهود الذين بدأوا بامتصاص دم الشعب الالماني بأسلوبهم الناعم ، فقد وجد اليهود ان حصر الانتاج الحربي هو الأداة الاساسية لضرب الاقتصاد القومي ، وهكذا كان ، اذ لم يأت شتاء ١٩١٧ حتى أصبح الانتاج الحربي بأسره خاضعا للرساميل اليهودية .

وكان الشعب الالماني ، في هذه الاثناء ، يغذي الاحقاد في صدوره . فقد كانت الدعايات تحرض الناس على معاداة البروسيين ، بينما بقيت السلطات على الحياد من هذه الدعايات ، مع العلم انه لو انهارت بروسيا فهذا لن يدعم موقف بافاريا ، بل على العكس فان سقوط احدهما سيؤدي الى سقوط الاثنين معا . وكان اليهود ، كعادتهم ، وراء هذه الدسائس ، فقد شغلوا بروسيا وبافاريا بالخلافات ، بينما راحوا يمتصون دماء الشعب وموارد رزقه . وبينما كان البافاريون يشتمون بروسيا ، كان اليهود يهيئون الثورة فيقوضون دعائم بروسيا وبافاريا معا .

لم أعد احتمل هذه الحالة ، لذلك قررت العودة الى الجبهة ، وغادرت ميونيخ في آذار عام ١٩١٧ . وقد لاحظت ارتفاع معنويات الجيش الالماني ، فقد أنعش الامل في نفسه انهيار المقاومة في روسيا ، وانهزام الايطاليين في خريف عام ١٩١٧ ، فشدد هذا من عزائمهم وزاد من ثقتهم بأنفسهم ، ومر الشتاء عام ١٩١٨ هادئا ، ولكن الهدوء الذي يسبق العاصفة .

فبينما كانت استعدادات الجيش الالماني قائمة على قدم وساق ، استعدادا للهجوم الكبير في الربيع المقبل ، حدثت المفاجأة الغير منتظرة ... فقد لجأ اعداء الامة الى طريقة بدت لهم انها ستوقف هجوم الربيع المنتظر .

فقد هيئوا لاضراب عمال مصانع الذخيرة ...

قدروا ان الاضراب سيترتب عليه شل حركة الجيش في هجومه المنتظر ، مما سيدفع بالحلفاء الى الهجوم وفتح ثغرات عديدة في الجبهة

الالمانية . وبذلك يتفادى اعداء المانيا الهزيمة ، وتسيطر الرساميل الدولية على المانيا وتبلغ الماركسية الخداعة هدفها الرئيسي .

لكن هذا الاضراب المصطنع لم يعط النتائج التي ارادها الاعداء ، لان الاضراب لم يستمر الا وقتا قصيرا ولم تفتقر الجبهة الى الذخيرة . الا ان الاضرار المعنوية كانت كبيرة . فقد بدأ الجنود يفكرون كيف يمكنهم القتال ولاجل من يقاتلون ، طالما ان بلادهم تضرب لتمنع عنهم الذخيرة ؟

ولكن ما كان صدى هذا الاضراب عند اليهود ؟

في شتاء ١٩١٨ خيم التشاؤم على صفوف الحلفاء . فمنذ اربع سنوات والجيوش الحليفة تهاجم العملاق الالماني بدون طائل ، مع العلم ان الجيش الالماني كان يحارب على ثلاث جبهات . اما الآن وبعد ان قضى على الحليف الروسي واطمئن الى مؤخرته ، تفرغ نهائيا لمنازلة اعدائه الباقين . وبذلك اصبح من المتوقع ان يبدأ الجيش الالماني بشن هجومه الكبير .

ساد الصمت الرهيب على طول الجبهة ، وكف العدو عن ثرثرته في ايهام الرأي العام عن انهزام المانيا .

لقد مرت ثلاث سنوات وجنودنا يقارعون العملاق الروسي وكان الرأي السائد في عواصم الدول الحليفة ان النصر سيكون للعملاق الروسي الذي كان يتميز بالتفوق العددي .

بعد معركة تاننبرغ بدأت قوافل الاسرى من الروس تصل الى المانيا ، ولكن كثرة عدد الروس بدت كأنها لن تنفد ، فكل جيش نسحقه كنا نجد مكانه جيشا آخرا يحل محله . ولكن الجبار الروسي سقط ، ولم يبق امامنا الا الهجوم الصاعق بعد توحد شطري جيشنا الباسل .

لقد كان الحلفاء في موقف حرج . فبينما كانوا يقفون بانتظار مصيرهم المحتوم ، وبينما كانت القيادة الالمانية تستعد لاصدار تعليماتها للهجوم ، اعلن الاضراب العام في المانيا . وتنفس العدو الصعداء ، وبدأت دعاياته تنصب على رفع معنويات جيوشهم . محاولة اقناعهم ان مصير الحرب لن يقرره الهجوم الالماني ، بل النصر سيكون حليف الذي يثبت للنهاية .

*

كان لي شرف المشاركة في الهجوم الاول والهجوم الاخير ، ولن يمكنني نسيان تلك التظاهرات الحماسية التي رافقت انتقالنا من الدفاع الى الهجوم ، فعادت كتائبنا المظفرة تهز الويتها وتنشد اناشيدها ، متأكدة ان النصر سيكون حليفها في الغرب كما كان لها في الشرق .

لكن القدر كان يعد مفاجأة لشعبنا . ففي الصيف من عام ١٩١٨ ، ظهرت علامات الاعياء في الجبهة ، بينما بدأ الشقاق يدب بين صفوف المواطنين في المؤخرة ، ولم تلبث الاخبار والاشاعات ان وصلت الى الجبهة ،

فمن قائل ان الشعب يرفض القتال ومن قائل ان النصر قد افلت من يد المانيا ، وان الراسماليين والقيصر غليوم هم اصحاب المصلحة في استمرار الحرب .

في ليل ١٤ تشرين الاول من العام نفسه انصبت المدافع الانكليزية على خطوطنا بامطار من قنابل الغاز المعروف باسم « الغاز ذي الصليب الاصفر » ومن مميزاته ان المرء لا يشعر بوجوده كي يتجنبه . وكانت فرقتنا تعمل على الجبهة جنوب نهر « الايبر » عندما فوجئنا بالغاز ، وفي الليل بدأ نقل المصابين الى المؤخرة وكنت واحدا منهم فنقلت الى مستشفى « باسفلك » حيث شاء سوء حظي ان اشهد هناك الثورة .

لم تكن الثورة مفاجئة لكثيرين منا ، فقد كان منتظرا نشوبها بين يوم وآخر . وفي تشرين الثاني عام ١٩١٨ انطلقت الشرارة الاولى فوصل ذات صباح جمهور من رجال البحرية في كميونات للجيش وبداوا يحرضون الشعب على التظاهر ، تحت راية العمل من اجل حرية شعبنا وكرامته ، وقد لاحظت ان زعماء الحركة كانوا من الشبان اليهود الذين لم يسبق لهم ان حملوا السلاح .

امتدت العدوى الى ميونيخ ، وكنت لا ازال اعتبرها ثورة ضيقة النطاق تقوم بها نفر من رجال البحرية . لكن الايام اظهرت لي ان الثورة قد تفاقمت وعمت البلاد ، حتى انها وصلت الى الجبهة حيث بدأت الاشاعات عن القاء السلاح .

وحدث ان جاء الى المستشفى احد رجال الدين ليلقي فينا موعظة ، ومنه علمت كل شيء . فقد كان يتكلم بصوت متهدج ويقول ان آل هوهنزولرن قد فقدوا حقهم بالعرش ، وان المانيا قد بدلت النظام الملكي بالنظام الجمهوري ، ودعانا الى الصلاة للنظام الجديد ، ثم اخبرنا ان بلادنا خسرت الحرب ، واصبحنا الآن تحت رحمة العدو ، وعلينا ان نقبل بالامر الواقع ونستسلم للشروط المفروضة دون ان نقنط من رحمة العدو وتسامحه .

عندما وصل القسيس الى هذا الحد ، لم اتمالك نفسي فخرجت من الغرفة اتلمس طريقي الى السرير حيث ارتميت عليه ودفنت راسي تحت الغطاء .

لقد خسرنا كل شيء واكثر من ذلك خسرنا مليوني شهيد قتلوا في ساحة الشرف .

كيف سنبرر موقفنا للاجيال المقبلة ؟ وكيف سنكتب غدا تاريخ هذا الحدث ؟

ان الذين تسببوا في وقوع الكارثة ، ولطخوا بالعار تاريخ شعبنا المجيد،

قد جنوا على هذا الشعب دون ان يشعروا .

ان الحقد يغلي في صدري على اولئك الذين سببوا الكارثة . ومرت الايام وايقنت ان الاعتماد على سخاء العدو هو تسامحه ونوع من الجنون بل هو الخيانة بالذات .

قررت الاشتغال بالسياسة واضعا امامي انقاذ المانيا من عدوين : الماركسية واليهودية . ان غليوم الثاني كان اول امبراطور الماني مد يده الى الماركسيين الذين صافحوه وبيدهم الاخرى يخفون الخنجر المسموم . .

- ٦ -

نشاطي السياسي

في شهر تشرين الثاني عام ١٩١٨ رجعت الى ميونيخ لكي انضم الى البقية الباقية من افراد فيلقي في الاستيداع ، وقد وجدت الفيلق تحت عهدة « المجلس العسكري » الذي سرعان ما برمت به وبأساليبه ، فانتقلت الى « ثروتشتين » مع صديقي ارنست شميت ، ولم اعد الى ميونيخ بعد ذلك الا عام ١٩١٩ .

كانت الحالة في المدينة غير مستقرة ، فبعد وفاة « ايزنر » سادت الدكتاتورية السوفياتية وخفت سيطرة اليهود الذين بذروا بذرة الثورة .

لم تمنعني الحوادث الجارية من الجهر بآرائي ، مما حدا بالسوفييت المركزي في ميونيخ على وضع اسمي في اللائحة السوداء ، لائحة اعداء الثورة . وقد اضطررت الى شهر السلاح في وجه ثلاثة رجال جاؤوا لاعتقالي ، فعادوا من حيث اتوا ولم يعاودوا الكرة .

بعد انقاذ ميونيخ انتخبت عضوا في لجنة للتحقيق في حوادث العصيان والثورة التي شطرت فيلق المشاة الثاني الى قسمين . ثم تلقيت امرا بمتابعة دروس خاصة في التنشئة الوطنية التي كانت تلقى على افراد القوى المسلحة . وهناك تعرفت الى رفاق كثيرين يوافقوني الراي على الحالة السياسية وكانوا جميعهم مقتنعين ان الذين ارتكبوا جريمة تشرين الثاني لن يتمكنوا من انقاذ المانيا ، اما بالنسبة للاحزاب البورجوازية القومية فهي عاجزة عن اصلاح ما افسده المفسدون .

وقمنا بوضع الخطوط الاولى لتاليف حزب جديد يقوم على مبادىء تقدمية . وقد قررنا ان نعطي الحزب اسما يروق للجماهير الشعبية كي تلتحق فيه ، فسميناه « الحزب الاجتماعي الثوري » باعتبار المبادىء الاجتماعية لحزبنا الجديد كانت ذات طابع تقدمي ثوري . وقد كان هناك

سببا هاما دفعني على اختيار هذا الاسم ، ذلك ان اهتمامي بالمسالة الاقتصادية لم يتح لي دراسة المشاكل الاجتماعية ، فلما تعمقت بدراستي اتضح لي ان سياسة المحالفات الالمانية كانت نتيجة لتقدير خاطىء لاسس الحياة الاقتصادية . كما اتضح لي ان معرفة المسؤولين عن راس المال كانت ضعيفة وسطحية . فما هو راس المال ؟

انه نتيجة العمل ، وهو غير ثابت لانه خاضع كالعمل نفسه الى العوامل المؤاتية لنشاط البشر او المعرقلة لها . وعلى هذا تبقى اهمية راس المال مرتبطة بقوة الدولة وحريتها . فتوجيه راس المال تمليه مصلحة حرية الدولة واستقلالها بجره بالتالي الى خدمة حرية الدولة وعظمتها . وبذلك يجب على الدولة ابقاء راس المال خاضعا لها بدلا من ان تتركه يطغي على الامة . وهذا لا يتم الا اذا اصبح الاقتصاد القومي مستقلا ، واصبحت حقوق العامل الاجتماعية مضمونة .

لم يكن هناك فرق كبير بين راس المال الذي هو ثمرة العمل المنتج ، وبين راس المال الذي يقوم على المضاربات . وكان الفضل يعود الى الاستاذ فيدر الذي لفت نظري الى اهمية راس المال الذي وجدت فيه الاساس الذي يمكن ان يقوم عليه الحزب الجديد .

كان الاستاذ فيدر يشدد على ضرورة التمييز بين راس المال الدولي الخاضع لسياسة المضاربات ، وراس المال المرتبط بالاقتصاد الشعبي . وقد حاول النقاد ايجاد ثغرات في نظريته لكنهم اعترفوا اخيرا بصحتها ولكن لم يتفقوا بامكانية تطبيقها عمليا .

ان ما ظهر للناقدين ضعيفا في نظرية الاستاذ فيدر ، يشكل بنظري موطنا للقوة . اذ ان ما يجب على صاحب مشروع ما ان يهتم به كغاية قبل الواسطة . وبالتالي ينبغي على من يضع مشروعا لحركة ما ، ان يحدد الغاية منها ، اما تحقيق هذه الغاية فيسلم الى رجل السياسة . فتتجلى عظمة الاول في صحة نظرياته وارائه ، وتظهر عظمة الاخر في تقديره للامور ومعالجته لها واستخدامها على ضوء التشريعات التي حددها رجل الفكر .

ان فكرة مثالية ذات اهداف كبيرة لا يمكن تحقيقها بالطرق والوسائل البشرية المعروفة كما صورها عقل صاحبها . لذلك لا يجوز ان نقيس عظمة صاحبها بمقدار ما تحقق من فكرته ، ولكن بمدى تاثير هذه الفكرة في تقدم البشرية . اما اذا افترضنا ان نجاح الفكرة نجاحا كليا هو المقياس لعظمة موجدها ، فاننا لن نجد مكانا بين العظماء لمؤسسي الاديان السماوية ، لان تطبيق تعاليمهم الروحية بشكل عملي لهو من الامور المستحيلة . وانما اهميته تقوم على الفكرة الموجهة التي اراد مؤسسها ان يصقل الاخلاق والعادات البشرية .

وهذا الفرق الكبير بين مؤسس الفكرة وبين رجل السياسة يجعل من النادر جدا ان يجتمع كلاهما في شخص واحد . وهذا ينطبق على رجال السياسة العاديين الذين مارسوا نشاطهم ضمن نطاق الممكن . وقد اشار بسمارك الى هؤلاء عندما حدد السياسة بقوله انها « فن العمل في حدود الممكن » .

من المؤسف ان نرى مشاريع رجال السياسة البعيدة عن الافكار السامية والواضحة ، تصادف نجاحا كبيرا وبوقت قصير لكن هذه المشاريع تكون قصيرة الاجل ، فانها تموت بموت صاحبها فهي لا تعود باي نفع على الاجيال المقبلة لان نجاحها يقوم على اهمال المشاريع البناءة البعيدة الاثر ، ومن الغريب ان نرى ان متابعة هذا النوع من الاهداف السامية لا يرى تشجيعا من جانب المواطنين فهم يهتمون بالزعماء الذين يؤمنون لهم بطاقات الحليب والبيرة وطعامهم اليومي ، تاركين الذين يفكرون بالمشاريع البعيدة الهدف التي لا يستفيد منها الا الاجيال القادمة .

لهذه الاسباب نرى معظم رجال السياسة ينصرفون عن المشاريع ذات الهدف البعيد ، حرصا منهم على ترضية جمهورهم الذي يهمه الوقت الحاضر .

لقد ادركت على ضوء نظريات الاستاذ « فيدر » ان جهودنا يجب ان توجه ضد فكرة راس المال الدولي ، وقد اثبتت الحوادث صحة هذا الراي، فحتى توابع السياسة البورجوازيين في هذه الايام ادركوا مدى خطورة راس المال الدولي ، فهو لم يكتف باثارة الحرب العالمية ، بل جعل من السلم جحيما لا يطاق . ولم يبق شخص مخلص واحد الا وادرك ان محاربة راس المال المعد للقروض اصبح واجبا وطنيا لانقاذ الامة وانقاذ حريتها واقتصادها .

فالى الذين يتخوفون من هذا الاتجاه ، اطمئنهم ان مخاوفهم ليست في محلها ، فقد جربت المانيا عدة تجارب اقتصادية على غير طائل . ويذكرني تحفظ هؤلاء بتلك الاراء السخيفة التي طلع بها مؤتمر الاطباء البافاريين عندما تنادوا ضد مشروع انشاء السكك الحديدية ، وكانت حجتهم ان المسافرين سيصابون بالدوار وكذلك السكان الذين سيمر بهم القطار ، واوصى المؤتمرون باقامة حواجز من الخشب او غيره يحول دون رؤية الجمهور للقطار وهو يمر بسرعة كي لا يؤثر هذا المشهد على اعصابهم .

فنصيحتي للذين يريدون التطور التدريجي ان يدعوا هذا العمل لغيرهم من المخلصين الذين يقدمون لعرقنا وشعبنا اسباب النمو ، بحيث يمكنه ان يغذي ابناءه ويحفظ دمه نقيا .

عدت الى دراسة نظريات اليهودي كارل ماركس ، فتوضحت لي

هذه المرة اهداف راس المال كما حدده هو ؛ وتبينت بوضوح ما تهدف اليه الاشتراكية الديمقراطية من جراء محاربتها للاقتصاد القومي ، فهي تهدف الى تسخير مالية البلاد واقتصادياتها لخدمة وسيطرة الراسمال اليهودي .... وقد اشتركت في عدة مناقشات حول هذا الموضوع . وفي احد الايام وقف احدهم ليدافع عن اليهود والماركسية بشكل لفت نظر المستمعين ، وقد رددت عليه بشكل عنيف مقنع مما حمل الكثيرين على تبني وجهة نظري .

بعد ايام الحقت باحدى الثكنات العسكرية في ميونيخ بصفة مربي عسكري .

بدات مهمتي الجديدة بحماس شديد ؛ مع ان روح الانضباط كانت ضعيفة فكان علي ان ادرب الجنود على التفكير قوميا ووطنيا مما فتح امامي فرصة صقل موهبتي في الخطابة والتحدث في حفل كبير ، وسرعان ما اصبحت محدثا بارعا وخطيبا قوي الصوت .

لقد تكللت جهودي بالنجاح ؛ فتمكنت من اعادة مئات من الجنود ضحايا الماركسية ، الى فكرة الوطن والشعب ، كما تمكنت من اعادة الانضباط الى عهده السابق .

وخلال هذه الفترة تعرفت الى رفاق تمكنت واياهم فيما بعد من وضع اسس الحركة الجديدة .

- ٧ -

اسباب الانهيار

ان مقياس عمق سقطة جسم ما تقاس بالمسافة بين مكان سقطته والمكان الذي سقط منه ؛ وهذه النظرية يمكن تطبيقها على سقوط الشعوب والدول ...

لقد كان سقوط الامبراطورية من ارتفاع شاهق ؛ فكان الانهيار هائلا. فالامبراطورية لم تبن على ثرثرة البرلمانيين ، بل على سواعد جنودها واعمالهم البطولية الخارقة . ففي الحرب السبعينية وبينما كانت المدافع تقصف باريس ، اختمرت فكرة تأسيس الامبراطورية وجعل التاج الامبراطوري من جديد رمزا للوحدة المقدسة .

لقد نشأت دولة بسمارك على سواعد جنودنا في ساحات القتال واحيطت ولادتها الامبراطورية بهالة من المجد التاريخي ، وعندما بدات

تتسلق درج التقدم ، ايقن العالم انها ستبلغ ذروة المجد . . . وينعم شعبها بالحرية والطمانينة والبحبوحة .

من هذه القمة العالية سقطت الامبراطورية .. وانتاب الذهول شعبها فباتـــوا عاجزين عن تكوين فكرة صحيحة عما كانت عليه بلادهم قبيـــل انهيارها ، فكيف يمكنهم ان يلمسوا العوامل التي ادت الى هذا الانهيار .

ما أقل الذين شعروا باعراض الانحلال ، فالذين كشفوا موطن الداء حاولوا علاجه ، لكن المخلصين منهم خلطوا بين اعراض المرض وعلتـــه . فاليوم نعتبر ان ضعف الجهاز الاقتصادي ، هو السبب المنطقي للهزيمة ، فالمثقفين يعتبرون ان الهزيمة كانت هزيمة اقتصادية قبل أن تكون عسكرية. لذلك يحاولون بناء الامة على اساس اقتصادي سليم .. لكن العامـــل الاقتصادي يأتي في المرتبة الثانية لان اهم سبب ادى الى الانهيار هو عامل السياســـة والمعنويات وعامل الدم . وانطلاقا من هذه الحقيقة يمكننـــا تشخيص المرض وايجاد الدواء الشافي .

ان من الاقوال المنتشرة لتعليل انهيار الامبراطورية : « يجب علينا ان نتحمل نتائج الحرب ، اي الازمة التي نعانيها من جراء الحرب الخاسرة ». وبلا شك هناك من يأخذ بهذا التعليل عن حسن نية .. ولكن هناك مـــن يتعمد تضليل الناس بهذا التعليل ، فنجد قسما كبيرا من هؤلاء الخبثاء في اوساط الحكومة بالذات .

لم ينس المواطنون عتاب دعاة الثورة من ماركسيين ويهود على الشعب لانه لم يلجا الى العصيان حين كانت الحرب في بدايتها ليفوت على الراسماليين لذة النصر وفوائده . الم يؤكد هؤلاء الخونة على وجوب القضاء على روح العسكرية البروسية ، لان هذا باعتقادهم هو الضمان الوحيد للاستقـــرار وللحرية ؟ اما بعد الكارثة فقد رايناهم يلقون تبعة الانهزام علـــى الجيش . وفي نفس الوقت يعللوا متاعب البلاد ومشاكلها الخانقة الى هزيمة الجيش العسكرية . . .

لا انكر ان تأثير الهزيمة كان سيئا على مستقبلنا ، ولكن هذه الهزيمة لم تكن عاملا مسببا ، بل كانت نتيجة عوامل اخرى يعرفها الخونة الـــذين يتجاهلونها اليوم ، لان الهزيمة كانت نتيجة تآمرهم ودسائسهم . ولم تكن الهزيمة كما يدعون بسبب سوء تصرف القيادة العامة . فالكل يعلم اننـــا جابهنا جيوشا تفوقنا بالعدد والعتاد ومع ذلك انتصرنا عليها طوال أربـــع سنوات ، بفضل قيادتنا العسكرية الحكيمة .

ان المحنة الحالية لم يسببها تداعي الجبهة ، بل كانت نتيجة لجرائم اقترفها الذين جعلوا من الجيش كبش الفداء في الوقت الذي ترتفع فيـــه الاصوات المطالبة بتحديد المسؤوليات ومحاكمة المسؤولين . متى كانـــت

الهزيمة العسكرية تسبب انهيارا كاملا للدولة والامة ؟ ومتى كانت خسارة الحرب تحتم هلاك الشعب ؟

ان الشعب الذي يصل الى هذا الدرك هو شعب فاسد وجبان ونذل . اما الشعب الذي يتمتع بمعنويات وفضائل سليمة فان خسارة الحرب تصبح بالنسبة له كالدواء المقوي ليدفع به الى الامام .

كانت الهزيمة العسكرية قصاصا انزلته بنا العدالة السماوية . وهي تشكل ظاهرة ملموسة تنم عن وجود التشقق والتصدع الذي تعامى الشعب عن رؤية عوارضه ، وقد افتضح امره وظهر للعيان بصورته البشعة بالطريقة التي تقبل بها شعبنا الالماني الهزيمة الشنعاء .

الم يتلق الماركسيون واليهود ومن لف حولهم نبأ الهزيمة بالفرح والابتهاج ؟ الم نسمع تشدق البعض بأنهم اصحاب الفضل في هذا الانهيار، وان العدو لم يفعل سوى الاجهاز علينا ؟ الم يحمل فريق منا المانيا تبعة الحرب وما سببته من ويلات ؟ لقد تقبل الشعب الالماني نبأ الهزيمة بطريقة لا تشرفه ، وبذلك يكون قد استحق القصاص الذي انزل به . فلو كانت الاقدار مسؤولة عن الهزيمة لما وجد بيننا من يبتهج للمحنة ، ولما تشدق المتشدقون بأنهم اصحاب الفضل في اضعاف الجبهة ، ولما راح الماركسيون يكرسون الهزيمة ويهينوا الجيش المهزوم ويدوسوا الاعلام بارجلهم . ولما كان لضابط انكليزي ان يقول « بين كل ثلاثة المان تجد واحدا خائنا » .

ان الهزيمة التي لحقت بنا كانت نتيجة الداء الذي اصاب الامة في زمن السلم ، فقضى على مناعتها واضعف معنوياتها وشل منها غريزة حب البقاء . لكن اليهود واتباعهم الماركسيين الذين ينفذوا لهم خططهم ارادوا ان يحددوا المسؤوليات ويحصروها ويلقوا بتبعة الهزيمة على شخص واحد هو لودندورف ... هذا القائد الفذ الذي عمل جاهدا ليجنب الامة الانهيار الكامل .

لقد جردوه من سلاحه المعنوي الوحيد الذي يستطيع ان يشهره في وجه الخونة ، لان « المتهم » لا يصلح كشاهد اثبات يوم يأتي يوم الحساب ويصار الى تحديد المسؤوليات ...

فالماركسيون واساتذتهم اليهود عندما اطلقوا كذبتهم الجديدة ، كانوا يعلمون ان الشعب لن يتبين ما وراء هذه اللعبة ، وهذا كاف لخلق جو من البلبلة يحول الانظار عن المسؤولين الحقيقيين ... ان اتقان الكذب هو فن يجيده اليهود ، لان كيانهم من اساسه يقوم على كذبة ضخمة الا وهي زعمهم انهم طائفة دينية ، مع انهم في الواقع جنس واي جنس ؟

لقد وصف شوبنهور اليهود بانهم اساتذة عظام في فن الكذب . ولا شك ان الرجل لم يظلمهم ...

عندما بدا ازدياد عدد السكان يشكل خطرا على المانيا، اهتم المسؤولون بمسألة تامين القوت اليومي للمواطنين ، فبدلا من ان ينشدوا الخبز مثلا من أوروبا بالذات بسياسة التوسع، اعتمدوا سياسة غزو العالم اقتصاديا. فترتب على هذه السياسة توسع في الانتاج . وكان من نتيجة هذا التوسع، انخفاض مستوى الفلاحين ، وازدياد عدد العمال في المدن الكبرى بشكل كبير ادى الى اختلال التوازن بين عنصري الامة المجيدين . وانقسمت الامة الى قسمين : الاغنياء والفقراء . وقد لفت هذا الانقسام نظر الماركسيين الى ضرورة استغلال الضائقة المسيطرة على العمال ، واستطاعوا بالتالي ان يوسعوا الهوة بين الطبقات .

في الوقت الذي اصبح الاقتصاد فيه كالعمود الفقري للدولة ، ارتكبت غلطة فظيعة ، فقد شجع الامبراطور غليوم النبلاء الى الانصراف للشؤون المالية . فاستهوت الصفقات المالية الضخمة النبلاء ، فانصرفوا عن الاهتمام بالمعارك الحربية ، وبدات المؤامرات تحاك من الداخل والخارج ، بينما ظل النبلاء الذين كانوا خدام الامبراطورية وحراسها في شاغل عنها لان المال اخرجهم من مركزهم النبيل وجعلهم عبيدا لليهود في حقل الصفقات المالية.

وكان من مظاهر انحلال الاقتصاد القومي ، اختفاء الثروة العامة او الدخل الفردي بسبب الاحتكارات الدولية ودسائس الماركسيين . وقد حاولت الصناعة الثقيلة مقاومة هذه الظاهرة لكن الماركسيين وقفوا بوجه محاولاتها هذه خاصة وان ثورتهم نجحت عقب الهزيمة العسكرية ؛ فاستطاع اعداء الوطن ان يدولوا الاقتصاد الالماني . وكان انتقال الخطوط الحديدية من ملكية الدولة الى ملكية حاملي الاسهم اول نجاح لهم في هذا الحقل .

ولما تم لليهود والماركسيين تقويض الاقتصاد القومي، وقفوا بعد انتهاء الحرب يزعمون ان الاقتصاد سينهض بالبلاد وينعشها من جديد . وقد تبنى هذه المزاعم الذين قدر لهم ان يكونوا في سدة الحكم .

من أعراض التفسخ التي ظهرت على الدولة الالمانية قبيل الحرب انعدام الحزم والشجاعة الادبية التي كانت من شيم آبائنا واجدادنا ، وحل محلها التراخي والميوعة والتردد والتزلف . ولا شك ان مناهج التربية كانت المسؤولة عن هذا التفسخ الخلقي لانها اهملت تقوية شخصية الفرد ... وكانت هذه النقائص والعيوب تظهر بشكل واضح في مسلك رجالاتنا تجاه الامبراطور . فكانوا يتقبلون كل شيء يقوله لهم ويعتبرونه مقدسا ، ولم يكن بينهم رجلا واحدا لديه من الشجاعة بأن يقول له لا .. فهذا التزلف هو الذي اوصلنا الى هذا الدرك .

ان الذين يحيطون بالعرش ويستأثرون بعطايا صاحبه ويتظاهروا

بالولاء له ويدعوا انفسهم ملكيين ، هم الذين ينقمون عليه بعد أن تحل بـه كارثة ما ، فتجدهم اول المطالبين بالاقتصاص منه . فهل يرجى من هؤلاء المتزلفين ان يفتدوا ولي نعمتهم بأرواحهم ؟

ان المخلص الحقيقي للعرش هو الذي يقدم النصح لجلالته ويلفت نظره الى مواطن الزلل فينهيه عنها بحكمته وبعد نظره .

فمن تزلف الساسة الى سوء التربية المدنية تولد مركب النقص عند اوساط المهتمين بالشؤون العامة ، فصاروا يتهربون من تحمل المسؤولية ويخافون الاقدام حيث تدعو الحاجة لذلك . وقد ساهم النظام البرلماني على تقوية نزعة التهرب من المسؤولية . فقامت في البلاد حكومات ضعيفة لم تتمكن من معالجة المشاكل المسيطرة .

وقد لعبت الصحافة دورا بارزا في ابعاد التربية المدنية عن اهدافها السامية . فالصحافة هي مدرسة الشعب ومهمتها توجيه الراي العام .
اما قراء الصحف فكانوا ثلاثة اقسام :

١ ـ الذين يصدقون جميع ما تنشره الصحف .
٢ ـ الذين لا يصدقون شيئا مما تنشره الصحف .
٣ ـ الذين يفكروا بما يقراون .

فالقسم الاول من القراء هم الاغلبية الساحقة ، وهم الفئة الغير متعلمة من الشعب التي تعتمد على طبقة المثقفين بالتفكير واعطاءهم الخلاصة ، باعتقادهم ان الذي يقرا ويفكر ويدون اراءه لا بد أن يكون مدركا ادراكا تاما للامور .

ان هذه الفئة التي لا تفكر هي فريسة سهلة للصحافة التي تعتمد تضليل الشعب بحجة تنويره .

والقسم الثاني يضم بعض العناصر من القسم الاول ، انتقلت مع مرور الايام من الايمان المطلق الى الشك المطلق فاصبحت لا تصدق شيئا من ما تكتبه الصحف . وهذا الفريق لا يصلح لاي عمل ايجابي .

امـا القسم الثالث فيضم عددا محدودا من المواطنين المؤهلين لان يفكروا تفكيرا صحيحا فيميزوا بين الصالح والطالح . ولكنهم مع الاسف لا شان لهم او تاثير في مقدرات البلاد .

فالاكثرية الجاهلة هي التي تتحكم بالبلاد وذلك بفضل ما يدعى بنظام الاقتراع العام ، وهذه الاكثرية ارسلت الى البرلمان رجالا مغمورين جعلت منهم الدعايات الصحفية نجوما لامعة . وقد راينا هؤلاء الممثلين للامة يحشون جيوبهم بالمال بينما كان شبابنا يضحي بأرواحه في ساحات القتال.

اليس من واجب الدولة ان تراقب الصحافة نظرا لتاثيرها القوي على الجمهور . ان حرية الصحافة شيء جميل ، ولكن هذه الحرية تصبح عاملا

من عوامل الفساد اذا لم تمارس حريتها في الحدود التي ترسمها مصلحة الدولة والامة . . .

ان الموقف المخزي الذي وقفته الصحافة قبل الحرب لا يمكننا نسيانه . وقد شددت الصحافة اليسارية الى وجوب انقاذ السلام بأي ثمن ، بينما كانت الدول المعادية جادة في اعداد عدة الحرب . الم تدعو صحافتنا الى الديمقراطية الغربية وتمجدها وتطالب بتقوية شخصية الفرد وتدعو الى اضعاف الدولة ؟ الم تسهم في محاربة تقاليد شعبنا العريق مزينة له الانغماس في الملذات التي اضعفت مناعته الخلقية ؟ الم تحارب الصحافة مشروع التجنيد الاجباري ، وتحرض النواب على عدم منح الاعتمادات للجيش ، بينما كانت رائحة الحرب تنتشر في الاجواء ؟ الم تكن مهمة الصحافة الماركسية الكاذبة اضعاف الشعب اجتماعيا وقوميا ليسهل اخضاعه للرساميل الدولية ولليهود اسياد الماركسية ؟

ماذا اعدت الدولة لدفع الخطر عن الامة ؟

ان الدولة لم تفعل شيئا يذكر ، مع ان معاول المفسدين من اليهود كانت تعمل في هدم صرح الدولة فقضوا على حيويتها واخضعوا اقتصادها لرقابة أجنبية . . نعم لم تفعل الدولة شيئا حيال الصحافة الماركسية اليهودية التي كانت تخدر الاعصاب بالدعاية للسلام فتشل حيوية الامة بالدعاية الاباحية الرذيلة . ولم يكن تغاضي الدولة يرجع الى جهلها لخطر هذه الدعايات وضررها بقدر ما كان هذا راجعا الى جبن المسؤولين واحجامهم عن التصدي لها .

لا بد لنا من القول ان اليهود قد اعتمدوا طرقا بارعة تبعد عنهم الشبهات ، فبينما كانت صحفهم الماركسية تمعن في تسميم افكار الشعب وتعمل على استفزاز الطبقات بعضها ضد بعض ، كانت صحافتهم البورجوازية الديمقراطية تعالج القضايا بأسلوب رصين هادىء . ذلك ان اليهود كانوا يعلمون ان العقول الفارغة تحكم على المظاهر ، هذه العقول التي انخدعت بنعومة الشعب المختار وميوله المسالمة ، لن تأخذه بجريرة الاخرين ، لعجزها عن كشف اللعبة المزدوجة . فقد كانت مثلا صحيفة « لاغازيت دو فرانكفورت » نموذجا للاعتدال اليهودي . وشعارها باعتماد المنطق ونبذ العنف اكبر دليل على رصانتها واعتدالها . حتى انها كانت تسدي النصح الى زميلات الماركسيات بوجوب وقف الحملات العنيفة ، وبنفس الوقت كانت تدافع عنها باسم الحرية ، حرية التعبير عن الرأي حين تلجأ السلطات الى استعمال حقها في محاكمة الصحافيين وتعطيل صحفهم .

وكانت السلطات تعفي عنهم كي لا تغضب الصحافة الطيبة ، فتعود

الى نفث سمومها من جديد في جسم الدولة الآخذ بالانحلال . وهكذا نجد ان تفسخ الامبراطورية يرجع الى الاهمال باتخاذ التدابير الكفيلة بصيانتها، والانهيار الخارجي كان نتيجة حتمية للانحلال الداخلي . . .

ان الشواهد على ضعف الحكومة الالمانية كثيرة ، فبعد ان اغفلت امر اليهود والماركسيين وتقاعست عن الاضطلاع بالمهام المنوطة بها ، رأيناها تقف حيال الامراض مكتوفة الايدي ، فتفشى داء الزهري وداء السل بين المواطنين تفشيا هائلا بسبب سوء التغذية ، ووقف الشعب والحكومة من داء الزهري موقف من لا يستطيع شيئا . وقد حاولت الحكومة مكافحة المرض بحصر الداء اولا ولكنها اغفلت مسببات المرض وهو البغاء الذي ما ان ينتشر في بلد ما الا ويكون مصير الشعب الفناء . . . . اذ ان البغاء يعني تحويل الحب والعلاقات الجسدية الى صفقات تجارية ، وانتشار البغاء يعني تراخي العلاقات والروابط التي تجمع بين المحبين ، فتسود الاباحية ويكثر اللقطاء وابناء الزنى . ويكفي ان نلقي نظرة على ابناء النبلاء والبورجوازيين لنفهم خطورة الخطوة التي خطتها امتنا نحو الانهيار . . فقد انتقلت عدوى هذا الداء الوبيل اليهم عن طريق علاقاتهم الجنسية مع الموظفات اليهوديات في المحلات التجارية والاندية ، وكانت النتيجة اولادا ضعفاء مشوهين .

فبدلا من ان تتخذ الحكومة الاجراءات الكفيلة بالقضاء على البغاء ، هذه التجارة اليهودية الرابحة ، عمدت الى تشجيع المؤتمرات الطبية لدرس هذه الظاهرة الخطيرة .

ان القضاء على هذه الظاهرة الخطرة تتطلب خطوات عملية وجريئة . فالزواج المبكر في مقدمة الاسباب التي تحد من انتشار البغاء . فالزواج يهدف الى غاية سامية : هي حفظ النوع والجنس ، ومن حسنات الزواج المبكر انه يعطي الامة اولادا اقوياء البنية ، فيجب على الدولة قبل ان تشجع هذه الخطوة ، ان تعمد الى تأمين المستوى الاجتماعي اللائق للمواطنين .

اما الخطوة التالية فيجب ان تعمد الدولة الى تغيير مناهج التربية والتعليم ، ففي نظامنا الحالي لا نجد اهتماما للرياضة البدنية التي لمس آباؤنا اهميتها في تنشئة جيل قوي روحيا وجسديا ، فالعقل السليم هو في الجسم السليم . ففي الفترة التي سبقت نشوب الحرب عمدت الدولة الى رعاية العقل الذي يدعم نهضة الامة . فلما انتشرت البلشفية في الاوساط التي لا تملك المناعة الخلقية ، تبين ان هذه المبادىء ما كانت لتلقى رواجا لو القيت الى عقول سليمة في اجسام سليمة .

ان عدم اهتمامنا بالتربية البدنية قد فتح الطريق امام النزوات والغرائز الجنسية ، فالشاب الذي يمارس الالعاب الرياضية يصبح اكثر

قوة ومقدرة على كبح جماح غرائزه الجنسية ، فالنظام التربوي يجب ان يتعهد العقل والجسد معا بالاضافة الى الاخلاق . كذلك يجب القضاء على مظاهر الخلاعة التي تثير الغرائز الجنسية وذلك بتطهير الحضارة الالمانية تطهيرا كاملا يشمل المسرح والفن والسينما والصحافة ، فصحة شعبنا تتطلب محافظتنا ايضا على عرقنا ولو على حساب الحرية الفردية التي يتشدق بها اليهود المسؤولون اولا واخرا عن الاباحية .

ان التدابير السابقة ليست كافية ، اذا تم تنفيذها ، للقضاء على داء الزهري قضاء مبرما . بل هناك تدابير اخرى يجب اتخاذها على نطاق واسع وحاسم . اليس اجراما بحق الامة والعرق ان نترك المصابين بالزهري الذين لا امل في انقاذهم ان يمارسوا العلاقات الجنسية ، وبذلك ينقلوا العدوى الى الاصحاء ؟ الا يعادل هذا التسامح الشعور الانساني السخيف الذي يجعلنا نسمح بهلاك مئة شخص لندفع الاساءة عن واحد !

ان منع المصابين بالزهري ، الذين لا امل في شفاءهم ، من ممارسة العلاقات الجنسية هو اجراء انساني حكيم يهدف الى التضحية بالبعض في سبيل المجموع . ولكن يجب ان يكون المنع اكثر جدوى ، اي بعزل المصاب والقضاء على طاقته التناسلية . ان هذا الاجراء الذي يبدو وحشيا كفيل بانقاذ الاجيال المقبلة وصون حيوية الامة ...

من اعراض الانحلال التي بدت على الامبراطورية قبل الحرب تدهور المستوى الثقافي بفعل المؤثرات الغريبة ، لاسيما تلك التي كانت خاضعة لتوجيهات اليهود . فمنذ ابتداء القرن العشرين طرأ تحول كبير على الفن ابعده عن القواعد المدرسية واخضعه لاهواء قلة من المنحرفين فكريا . فقد قام الفنانون اليهود والبلاشفة بفكرة التجديد والابتكار وذلك بالحط من قدر التراث الالماني الفكري والهزء بمقدسات الامة ، فقد هزئوا من شيلر وغوته وشوبنهور وهيغل وغيرهم . لقد ارادوا ان يقطعوا كل صلة بين الماضي والحاضر ، فجعلوا من الادب الرخيص والفن الاباحي بضاعة سهلة التناول ، فامتلأت واجهات المكتبات وجدران المتاحف بانتاج هزيل لا اثر فيه للفكر او الفن .

ولم يكتف اليهود بهذا ، فشنوا الحملات على الدين ورجاله بحجة تقديس حرية المعتقدات . وقد قاموا بترجمة المؤلفات الاجنبية التي لا يجوز ان توضع بين ايدي المثقفين ، فكيف بعامة الشعب ، اما رجال الكنائس فكانوا منصرفين عن هذه الاعمال التخريبية داخل البلاد ، للتسابق الى هدي زنوج افريقيا ، هذا التسابق الذي لم يؤد الى اية نتيجة بالنسبة الى النتائج الباهرة التي حققها الاسلام هناك ...

لقد ترك رجال الكنيستين نعاجهم الى الذئاب ، وكانت النتيجة

تزعزع الايمان وتقلص شأن الوازع الديني ...

وفي الحقل السياسي تجلى التفكك والانحلال . فالحكومات كانت ترتجل مشروعاتها في الداخل والخارج دون ان ترسم اهدافا معينة . ولعل المسؤولين قد اتخذوا من كلمة بسمارك شعارا لهم . الم يقل المستشار الحديدي ان السياسة هي « فن العمل في حدود الممكن » ؟ ولكن هذا لا يعني ان السياسة هي تخبط وارتجال . ولكن مستشاري هذه الايام قد اعتبروا هذا القول تحريرا لهم من قيود المبادىء والاهداف .

لقد ادرك المخلصون ، قبل نشوب الحرب ببضع سنوات ، ان اضعف جهاز في الدولة هو البرلمان او الريشستاغ ، مع انه اريد بهذه المؤسسة تقوية الصرح لا اضعافه . ففي هذه المؤسسة يجتمع الجبن والتهرب من المسؤولية ، وتكثر الثرثرات الفارغة ... فالبرلمان هو المسؤول عن انعدام الانسجام في سياسة الدولة ، كذلك عدم الاستقرار والارتجال ، فهذه كانت من العوامل الرئيسية التي ادت الى انهيار الامبراطورية . فكل خطوة خطتها الحكومة وجاءت ناقصة كانت نتيجة لاهمال البرلمان ان لم نقل لخيانته ..

ان سياسة المحالفات كانت مرتجلة وضعيفة . وسياستنا حيال بولونيا كانت ضعيفة ومرتجلة . فقد اثيرت هذه القضية اكثر من مرة دون ان نتمكن من معالجتها معالجة جدية وفعالة ، فجاءت النتيجة التي اردناها انتصارا للجرمانية او تفاهما مع بولونيا ، جاءت لتباعد بيننا وبين روسيا .. وكانت الحلول التي قدمناها لمسألة الالزاس واللورين غير مجدية . فعوضا عن ان نسحق الفرنسيين بضربة واحدة ، ونعطي للالزاس الحقوق الممنوحة لباقي دويلات الرايخ ، رحنا نتودد الى الفرنسيين متجاهلين اماني الالزاسيين . كل ذلك لان في احزابنا السياسية اكبر الخونة المارقين .

وكانت الضحية الكبرى للسياسة المترددة الحائرة ، الاداة الوحيدة التي يتوقف عليها مصير الامبراطورية : الجيش .

لقد راينا الاحزاب البرلمانية تجرد الامة من سلاحها المعد للدفاع عن كيانها وحريتها وتأمين خبزها ولو قام ابطال سهول الفلاندر من قبورهم لاتهموا اعضاء البرلمان بالخيانة لدفعهم بمئات الالوف الى اشداق الموت جنودا غير مدربين . ذلك انه بينما كانت اليهودية العالمية تهاجم « الروح العسكرية الالمانية » في صحافتها الماركسية والديمقراطية ، محاولة ان تلقي بمسؤولية الحرب على المانيا ولو سلفا ، كانت الاحزاب الماركسية والديمقراطية عندنا تقف في البرلمان ضد تدريب القوى الشعبية .

لم يقتصر الاهمال على الجيش البري فحسب ، بل تعداه الى الاسطول ، الذي لم ينل ما يكفيه من العناية والاهتمام . مع ان القادة قد

ادركوا منذ عام ١٩٠٤ ان انكلترا الدولة البحرية الاولى ستقف ضدنا ايام الحرب .. لذلك كان علينا ان نجعل من القوة البحرية سلاحا ضخما وقويا. فبينما كانت المصانع الانكليزية تصنع السفن الضخمة كانت مصانعنا تنتج سفنا صغيرة غير صالحة . وقد راينا ان زيادة سرعة السفن الالمانية كانت تتم على حساب تصفيحها . وكان المسؤولون يعزون انفسهم بأن المدافع الالمانية من عيار ٢٨ توازي مدافع السفن الانكليزية من عيار ٣٠ ، مع ان المهم هو التفوق لا مجاراة العدو ، وكان بامكانهم تزويد السفن بمدافع من عيار ٣٠ .

وقد تركت القيادة البحرية المبادرة للعدو عندما عمدت الى جعل سفنها صالحة للاغراض الدفاعية . وهكذا قدمت النصر للعدو على طبق من فضة ، لان النصر لا يتحقق الا بالهجوم لا بالدفاع . وفي معركة سكاجراك كان النصر حليف الاسطول الانكليزي . فلو كان للسفن الالمانية حمولة سفن العدو وسلاحها وسرعتها لكان النصر حليفها بفضل المدافع من عيار ٢٨ . وقد كان على القيادة الالمانية ان تحذو حذو زميلتها اليابانية ، فقد جابهت اليابان في بور ارثور كل سفينة روسية بسفينة تفوقها سرعة وحمولة وسلاحا .

لقد حرصت الحكومة والقيادة على التقيد بتوجيهات البرلمان وارائه، بل سمحت للبرلمانيين بالتدخل في الشؤون العسكرية وفي تعيين القواد وتحديد حمولة السفن وسرعتها . وقد تدارك الجيش امره وعزل نفسه عن التيارات البرلمانية المضادة لمصلحة الوطن ، وكان لودندورف اول من قاد الحملة ضد سياسة التقتير في الانفاق على التسلح . ولئن عجز لودندورف عن احراز النصر ، فالذنب يقع على البرلمان وعلى المستشار الضعيف هولويغ .

كان الجيش في طليعة المؤسسات التي توحي بالثقة والطمأنينة رغما عن الضعف والانحلال البادين على الدولة . فهو الدعامة المتينة للبنيان الصامد ، ولا بد ان ينصب عليه حقد الحاقدين ودسائس الدساسين من الاعداء في الخارج وفي الداخل . وعندما اجتمع المتآمرون الدوليون في فرساي ، اختلفوا على اشياء كثيرة ولكنهم اجمعوا على وجوب تصفية الجيش الالماني لانه سياج الوطن وعنوان مجده . فلولا الجيش لما تردد العدو في تطبيق احكام معاهدة فرساي التي تعني القضاء على شعبنا قضاء تاما . فنحن مدينين للجيش بكل شيء .

نعم كان الجيش يجسد معنى المسؤولية ، فهو مدرسة الامة الالمانية وقوتها المعنوية الهائلة . ومع ان هناك من يجهل هذه الحقيقة او يتجاهلها، لكن العالم الخارجي قد ادركها وبنى سياسته على اساسها .

هناك دعامة اخرى الى جانب الجيش ، هي هيئة الموظفين ، فقد كانت المانيا ارقى البلدان تنظيما وادارة ، فالموظف كان مثالا للدقة والتجرد .

وكان يحلو للحساد ان يعيبوا على الموظف الالماني جهله ادارة المشاريع التجارية ، لكن نجاح الدولة في استثمار السكك الحديدية قد برهن عن مقدرته . ومن ميزات جهاز الادارة الالمانية انه كان متمتعا بالاستقلال التام عن الحكومات ، فكان لا يتأثر الموظف بتغيير الوزارات ونزعاتها السياسية. ولكن وضع الموظف اليوم اصبح قلقا غير مستقر ، فالوظائف الان ليست وقفا للاكفاء ، فالجمهورية تريد ان تفسح المجال لانصارها ، وكل حزب يريد ان يخص اعضاءه وانصاره بالوظائف الحساسة ...

اما الرشوة في دوائر الدولة فكانت متفشية تفشي اليهود ، فالرشوة واليهود صنوان لا يفترقان ...

كان جهاز الادارة السليم يرتكز على النظام الملكي والعسكري وعليها ترتكز الامبراطورية الجبارة ، ومنها كانت تستمد الامبراطورية قوتها وهيبتها فتمارس سلطة الدولة ممارسة فعلية .

ان سلطة الدولة لا تقوم الا على الثقة بالذين يمسكون بدفة الحكم ، وهذه الثقة هي وليدة الاقتناع بوطنية السلطات وتجردها ، كما تكون وليدة الارتياح العام الى نظم الحكم وشرائعه والمبادىء التي يسترشد بها .

والآن بعد ان اوضحت للقارىء ان الامبراطورية كانت تقوم على ثلاث دعائم قوية ، اصبح من حقه ان يتساءل كيف كان الانهيار ؟ وهل كانت عوامل التفسخ والانحلال قوية لدرجة انها جرفت عوامل الاستقرار التي كانت تجعل من المانيا دولة مثالية ؟

ان عوامل التفسخ والانحلال لم تكن لتقوى على الاطاحة بالامبراطورية، ولكن هناك عاملا رئيسيا انضم اليها ، وهذا العامل الهام هو عدم الاهتمام لمسألة الاجناس واثرها في نمو الشعوب .

لقد تساءلت كيف تمكن اجدادنا من التغلب على الهزيمة ونتائجها ؟ وهل نحن غير جديرين بالامجاد التي تركها لنا الاجداد ؟ وهل الدم الذي يجري في عروقنا غير الدم الذي كان يجري في عروقهم ؟

ومن هنا كان اقتناعي ان جيلنا قد تلقى هذه الكارثة لانه لم يكن يتحلى بفضائل الاجداد ، وان تحوله عن الطريق الذي رسمها له تاريخ الامة الالمانية المجيد ليس وليد الصدف ، بل هو نتيجة حتمية للنهج الذي اعتمده في سعيه لحفظ النوع واستمرار الجنس . وسنرى في الفصل القادم كيف ان الاختلاط في التناسل لا يكون في مصلحة العرق المتفوق . فالدم الآري الذي كان يجري في عروق اجدادنا كان صافيا . فهل يمكننا التأكد بأن ما يجري في عروقنا نحن هو دم آري صرف ؟؟

يجد القارىء الجواب لو دقق النظر في حالة المانيا قبل الحرب ، وتتبع تطور الاحداث الداخلية . الم يكن غريبا ان يزداد عدد النواب الماركسيين بعد كل انتخاب . وان يجدد الشعب الالماني الولاية لمن عمل على اضعاف الجيش والاسطول ، وهل من المعقول ان يصافح الشعب الالماني اليد التي عملت على اذلاله ؟ ومتى كان الالماني ، الالماني الحقيقي يضحي بمصلحة وطنه في سبيل مبدا هوائي كالسلام العام الذي هو من ابتكار اليهود والماركسيين ؟

ان انتفاضة الشعب عام ١٩١٤ قد حملته اليها غريزة حب البقاء، لان سموم الماركسية قد شلت ارادته ، فقام ليجابه اعداءه وهو ضعيف الايمان بالنصر فانهزم . ولكنه استيقظ وقضى على مفعول المخدر . وجاءت الثورة لتقطع الطريق على عناصر البعث والنهضة . فلم يبق الا العمل على هامش العهد الجديد ، وان تضع الاسس السليمة التي يجب ان تقوم عليها الدولة الجديدة . الدولة الجرمانية حيث يسود العنصر المتفوق ، ولا يفسح مجال النشاط البناء الا للآريين الحقيقيين .

ولن يكون لليهودي وصنيعه الماركسي اي مكان في الدولة الجديدة والنظام الجديد ...

– ٨ –

الحزب يبدا العمل

انقسم الشعب الالماني ، عام ١٩١٨ الى قسمين ، الاول يضم طبقة المفكرين وهي طبقة ذات ميول قومية مبهمة ان لم تكن سطحية ، لانها كانت تمثل مصالح تتناسب والمصالح الملكية ، مع انها في الظاهر تبدو ملتصقة بالدولة . وقد حاولت هذه الطبقة الوصول الى اهدافها بواسطة الاسلحة الفكرية – لكنها لم تنجح ضد خصمها القوي . وقد راينا العدو يسيطر عليها بسهولة ويرغمها على الرضوخ للشروط التي تعمد بها اذلال شعبنا .

والقسم الآخر يضم الاغلبية الساحقة من العمال اليدويين الذين دخلوا في منظمات ذات ميول ماركسية متطرفة تهدف الى القضاء على كل من يحاول الوقوف في طريقها ولا تعترف بالمصالح القومية ولا تقيم وزنا للمثل العليا . وكان اخطر ما في هذه الحركات العمالية انضمام اغلبية الشعب اليها واشتمالها عناصر لا يمكن الاستغناء عنها لتحقيق الانعاش القومي . ذلك ان الشعب كان بحاجة ماسة الى من ينفخ فيه روح الحماس وقوة الارادة ، لمقاومة الضغط الاجنبي المتزايد . فمحاولات الانعاش

الشعبي يجب ان تعتمد على تلك العناصر التي لا يمكن الاستغناء عنها لتحقيق هذا الانعاش . هذه العناصر التي انضوت تحت لواء الحركات العمالية المتنكرة لقوميتها . فكيف يمكن والحالة هذه النهوض بدولة حين تكون غالبية شعبها تدين بمبادىء غير قومية ؟! لذلك كان على حركة حزبنا ان تتهيأ لبعث الدولة الالمانية واعادة اعتبارها ؛ وتعمل على اجتذاب الاغلبية الى صفوفها ، لان هذه الاغلبية تؤلف العنصر الهام في الامة وبدونه تذهب الجهود الرامية الى تحرير شعبنا هباء ... والبورجوازية لم تكن تشكل خطرا على حركتنا القومية ، فآفاقها الضيقة ونزعاتها القومية المضطربة كانت لا تسمح لها بالمقاومة الا بطريقة سلبية كالطريقة التي اتبعتها في عهد بسمارك ، منتظرة ساعة الخلاص .

لقد بدت مهمتنا شاقة ، فالاغلبية الساحقة من المواطنين كانت مبهورة بزخرف الدعوات الماركسية ، فتنكرت لامتها وجنحت الى العنف بتحريض من اليهود ...

ولم يفتنا ان الماركسيين وحلفائهم قادرون على منع الدولة الالمانية ذات النظام البرلماني من اتخاذ سياسة خارجية قومية ؛ لانهم قادرين على اظهارها بمظهر الدولة المتفككة بحيث لا تجد من يحالفها أو يتعاون معها باعتبار ان اغلبية الشعب تعارض كل سياسة داخلية بناءة وكل خطوة خارجية حازمة ... وقد ادركنا ان شعبنا الباسل لن يتمكن من الوصول الى مركز الصدارة الا بعد ان يصفي حساب الذين تسببوا في انهيار الدولة واستغلوا بعد ذلك هذا الانهيار . فشهر تشرين الثاني سنة ١٩١٨ لم يكن بالخيانة العادية بل جريمة كبرى ... نعم لن يتمكن شعبنا من تهيئة نفسه للمعركة الكبرى قبل ان يتخلص نهائيا من اعدائه الداخليين وعلى رأسهم اليهود .. وقبل ان يتمكن من نزع الفكرة الماركسية من عقول الملايين من الالمان ، وحقدهم على امتهم .

ولئن يكن اجتذاب الاغلبية هو الهدف الاول لحركتنا ، فقد ادركنا ان نشاطنا يجب ان يقوم على اسس ثابتة يقوم عليها صرح التعاون بين فئات الشباب الالماني ، وقد اتبعنا خطة في عام ١٩١٩ تركزت على المبادىء التالية:

اولا : يجب التضحية بكل شيء في سبيل اجتذاب الاغلبية الساحقة الى حركة الانعاش القومي . فالتنازلات الاقتصادية لمصلحة العمال لا تكفي ما لم يرافقها ادخال الطبقات الشعبية الى الجسم الاجتماعي الذي هو جزء لا يتجزا منه . فلو حافظت النقابات على مصالح العمال اثناء الحرب وانتزعت الموافقة على مطالبهم ولو بالاضرابات ، لما خسرت المانيا الحرب .

ثانيا : لا يمكن انشاء الاغلبية نشأة قومية الا برفع مستواها الاجتماعي .

ثالثا : ان اجتذاب الاغلبية الى فكرة القومية لا يتم بانصاف التدابير والجهود المتقطعة . فلا بد من مواصلة الجهود كي نجعل من شعبنا شعبا قوميا ، ونعالج المشاكل بقوة وحزم ، فالسم يعالج بالدواء المضاد له . لا بمكافحته بالتعاويذ .

ان الاغلبية الساحقة ليست من الاساتذة والدبلوماسيين ، لذلك لا يمكن استمالتها بالنظريات العلمية ، بل تؤخذ بالعواطف ففي هذا المضمار تكمن انتفاضاتها من سلبية وايجابية . فالاغلبية لا تعمل الا لمصلحة القوة ذات الاتجاه الصريح ، ولا تعمل مطلقا لمصلحة خطوة مترددة مذبذبة . على ان مشاعر الجمهور وعواطفه متقلبة وليست ثابتة ، فما يراد اقامته على اساس ثابت يجب ان يرتكز على ايمان الشعب وتمسكه بالفكرة التي يراد حمله على اعتناقها . اذ ان الايمان اقوى من صمود العلم ، والمحبة اقوى على الاستمرار من التقدير ، والبغض اطول نفسا من النفور . وقد برهن لنا التاريخ ان الثورات الكبرى لم تحركها الافكار العلمية او الحرص على نشرها ، بل حركها التعصب الاعمى لراي او عقيدة .

رابعا : لا يمكن كسب ثقة الشعب الا بعد تحطيم العقبات التي تقف في طريقهم ، مزيلين عن طريقهم اعداء حركتهم . فالاغلبية تعتبر مواجهة خصومها بطريقة عنيفة حقا من حقوقها المقدسة . وترفض بالتالي التساهل او التسامح ، فهي تعتقد ان البقاء هو للاصلح والاقوى .

خامسا : ان القضايا الكبرى في العصر الحديث هي نتيجة القضايا الاعمق جذورا ، ويأتي في طليعة هذه القضايا قضية المحافظة على سلامة العرق ، وذلك بصون نقاوة دمه . فان فسد دم عرق من الاعراق نتيجة الاختلاط ، فسرعان ما تتفكك عرى الوحدة الروحية وتنهار قوة الابداع وصروح الحضارة . فمن يطمح الى اخراج الشعب الالماني من مشاكله الحالية ، عليه ان يطهر الصفوف من الذين افسدوه ، وعلى الامة الالمانية ان تبادر الى مواجهة المسالة العرقية متخذة كافة التدابير الحاسمة لانهاء المشاكل التي يثيرها وجود اليهود بيننا .

سادسا : ان الاغلبية الساحقة من الشعب التي استمالتها الماركسية الى جماعة الامم يمكن انضمامها الى الجماعة القومية دون ان تتخلى عن حقها في الدفاع عن مصالحها . علما ان اختلاف المصالح بين مختلف الهيئات لا يبرر قيام النزاع بين الطبقات ، لان هذه المصالح ليست الا نتيجة طبيعية لتركيبنا الاقتصادي . وحين ندرك هذه الحقيقة نرى ان قيام تكتلات مهنية لا تتعارض مع قيام اتحاد شعبي ، وبالتالي دولة قومية . وانضمام طبقة من الطبقات الى الاتحاد الشعبي او الى الدولة لا يفرض تدني مستوى الطبقات العليا ، بل يرفع من مستوى الطبقات الوضيعة . فالبورجوازية

لم تنضم الى الدولة لان طبقة النبلاء ارادت ان تفتح امامها المجال وتتنازل عن بعض امتيازاتها ، بل لان البورجوازية قد استحقت وضعها الجديد بفضل نشاطها وثباتها . لذلك يمكن القول ان العامل الالماني لم يتوصل الى ان يصبح قوة فاعلة الا بعد ان نجح في رفع مستواه الاجتماعي ليوازن به مستوى سائر الطبقات .

اما تنكر العمال اليوم للفكرة القومية ، ليس معناه انهم منتظمين في هيئات تعاونية او نقابات تقدم مصلحتهم على بقية المصالح . بل لان المحرضين هم الذين نفخوا فيهم روح المغامرة الخطرة التي جعلت منهم اعداء الوطن والشعب وجعلتهم بالتالي اداة لتحقيق مصالح المغامرين الدوليين ومصالح اليهودية العالمية . فاذا تطهرت النقابات من المحرضين ووجهت توجيها قوميا وشعبيا صحيحا تمكنت من ان تكوّن لنفسها مركزا قويا هاما ، باعتبارها اكثر الطبقات انتاجا وحماية لتقاليد هذا الشعب العريق ... وبالاضافة الى هذا يجب تطهير صفوف ارباب العمل من الجشعين والانانيين الذين تتعارض مفاهيمهم للعمل مع المبادىء التي يجب ان تقوم عليها التعاون بين اعضاء المجتمع الواحد ليعود هذا التعاون بالنفع على الجميع ، فرب العمل يظن ان اندماج العامل في الجماعة الشعبية سيحرمه اقتصاديا من الوسائل التي اعتاد على استخدامها للدفاع عن مصالحه ومحاربة مستخدميه . كذلك يعتقد رب العمل ان كل محاولة لحماية مصالح العمال الاقتصادية حتى ولو كانت حيوية ، تشكل اعتداء على مصالح الجماعة ... لذلك يجب مكافحة هذه النظرية الخطرة واعتبارها في رأس المهام التي سيضطلع بها الحزب الجديد .

ان العامل الذي يتعمد ارهاق رب العمل بمطاليبه المستحيلة ، ويلجأ بحق امته . وكذلك صاحب العمل الذي لا هم له الا جني الارباح الطائلة الى العنف كلما اراد ان يرهب مستخدميه ، هذا العامل يعتبر مجرما وخائنا التي تجعل منه رجلا متحجر العواطف ، هذا الرجل يعتبر حليفا ونصيرا للمشاغبين والماركسيين .

ان نشاط حزبنا يجب ان يوجه الى العمال بالدرجة الاولى ، ليعمل على انقاذهم من حبائل المغامرين الدوليين ، وبالتالي لرفع مستواهم الاجتماعي بحيث يصبحون عنصرا شديد المراس ، مشبعا بالافكار القومية لا تؤثر فيه الدعايات المضللة . ولن يرفض الحزب الجديد التعاون مع جميع العناصر القومية ، ولكنه لن يعمل على اجتذاب طبقة البورجوازيين لانها ستصبح عالة عليه ، وبالتالي ربما ترتب على هذا التعاون نفور العمال منه .

سابعا : يجب ان توجه دعاية الحزب الى احد المعسكرين اللذين

يؤلفان الاكثرية الساحقة . فالتفاوت في المستوى الفكري يجعل الدعاية المبسطة غير ذات قيمة بالنسبة الى المتعلمين . في حين ان الدعاية الرفيعة لن تلاقي تجاوبا عند غير المتعلمين . وحتى طريقة التعبير لا يمكن ان تكون واحدة في التوجه الى الطبقتين . فاذا اعتمدت الدعاية البساطة في التعبير ظلت الاوساط المتعلمة بعيدة عنها ، واذا ركزت على الدعاية الفكرية العالية لن تتمكن من اثارة عاطفة الاغلبية الشعبية .

لن نجد بين مئة خطيب عشرة يتمكنون من مخاطبة جمهور من الحدادين والكناسين مثلا ، وبنفس الوقت يتوجهوا لمخاطبة اساتذة الجامعة . ولا يغربن عن بالنا ان احسن فكرة لا يمكن نشرها الا بعد تبسيطها ، ويتوقف نجاحها على الذين يتناقلوها اكثر مما يتوقف على ملقنها .

ان قوة انتشار الحركة الماركسية تقوم على وحدة الاسلوب في مخاطبة الجمهور الذي يتالف من طبقة معينة . وقد ادرك الماركسيون ان الاغلبية لا تتمكن الا من استيعاب التعاليم السطحية ، لذلك وضعوا تحت تصرفه كل ما هو ملائما لمستوى تفكيره . لذلك يجب على الحزب الجديد الا يرتفع بدعايته الى المستوى العالي ، اي فوق مستوى الشعب . ففي حفل شعبي يكون الخطيب الذي يغزو قلوب الجمهور هو سيد الكلمة ، لا الخطيب الذي يصفق له المتعلمون والمفكرون ..

ثامنا : ان نجاح حركة الاصلاح السياسي تعتمد نجاح القوة السياسية . فالنجاح هو المقياس الوحيد لملاءمة فكرة ما لمصلحة المجموع . فالقول ان الحركة الثورية في المانيا قد نجحت لان قادة الحركة قد تسلموا زمام الحكم ، هو قول هراء ، فالنجاح الوحيد الذي تحرزه الثورة هو في جعل الامة اكثر ازدهارا .

ان حركة ما تعتبر القوة السياسية هو شرط اساسي لنجاحها ، يجب ان تعتمد على تأييد الاغلبية الساحقة من الشعب وان تعلم ان الحركات الاصلاحية لا تقوم على سواعد رواد الاندية الادبية وشاربي الشاي ولا على سواعد لاعبي الشطرنج من البورجوازيين .

تاسعا : الحركة الجديدة في جوهرها وتنظيمها هي ضد النظام البرلماني فهي لا تعترف بسيطرة الاكثرية ، هذا النظام الذي يجعل من رئيس الحكومة منفذا لمشيئة الاخرين . ان حزبنا يحصر المسؤولية بالرجل الذي يتسلم مقدرات الدولة ، وبشخص زعيم الحزب . وهذا المبدأ يجب تطبيقه على النحو التالي :

يعين زعيم الحزب رؤساء للفروع ويكون رئيس الفرع مسؤولا عن

فرعه ، وتوضع اللجان الحزبية تحت تصرفه التي تنحصر مهمتها في درس المسائل التي يقدمها لها رئيس الفرع .

ان زعيم الحزب هو المسؤول الوحيد الذي يأخذ مركزه بالانتخاب ، ويتولى انتخابه الجمعية العمومية . وهو مطلق الصلاحية نظرا لجسامة مسؤولياته فاذا خرق نظام الحزب او فرط بمصلحة الحزب عملت الجمعية العمومية على اسقاطه وانتخبوا زعيما غيره .

هذا المبدأ يجب ان يطبق على الدولة نفسها ، فعلى من يطمح الى الزعامة ان يحمل الى جانب السلطة غير المحدودة المسؤولية الكاملة .

ان التقدم والحضارة هما نتيجة جهود العبقرية ، لا نتيجة ثرثرة الاكثرية . فحزبنا يحارب النظام البرلماني لانه يقصي النخبة عن الميدان ويفتح الطريق امام الدجالين والخونة .

عاشرا : يرفض الحزب الجديد ان يحدد موقفه من المسائل الخارجة عن نطاق عمله السياسي ، فهو لا يهدف مثلا الى الاصلاح الديني لان في كلتا الطائفتين الدينيتين دعائما قوية يرتكز عليها بقاء شعبنا . والاحزاب التي تنكر على الدين دوره كدعامة معنوية لاستخدامها في الاغراض السياسية ، يجب على حركتنا محاربتها بشدة وعنف .

ان حركتنا تهدف الى اعادة تنظيم شعبنا سياسيا ، ولكنها لن تتصدى لاقامة شكل معين من اشكال الحكم ، فالملكية والجمهورية سيان في نظرها ، والمهم هو تقرير المبادىء الاساسية التي يجب ان تقوم عليها الدولةالجرمانية المثالية .

اما تنظيم الحركة داخليا فهو متصل بالغاية التي وضعها الحزب والنظام الانسب هو النظام الذي لا يقيم جهازا من الوسطاء بين الزعيم وانصاره فالتنظيم هو نقل فكرة معينة مختمرة في راس رجل واحد ، الى جمهور كبير من الناس . وعندي ان التنظيم هو شر لا بد منه ، وهو فوق ذلك واسطة لا غاية .

وما دام العالم مفتقرا الى الادمغة المفكرة التي تقود المخلوقات الآلية فالتنظيم مهمة سهلة بالنسبة الى تجسيد فكرة ما ، فالفكرة تشق طريقها مجتازة المراحل الآتية : تخرج الفكرة من دماغ رجل واحد ليبشر بها فيجمع حوله عددا من الانصار . ونقل هذه الفكرة الى الانصار مباشرة هو الطريقة المثلى ، ولكن هذا النقل سيصبح متعذرا بعد ازدياد عدد هؤلاء الانصار فيتطلب عندئذ الاستعانة بالوسطاء ، هذا الشر الذي لا بد منه ، وهذا ما يفرض التنظيم على اساس انشاء شعب وخلايا محلية ، بيد انه لا يجوز التسرع في انشاء هذه الخلايا قبل ان تترسخ سلطة مؤسس الحركة في المركز الرئيسي لحركته . فمثلا سحر مكة وروما يعطي الاسلام والكاثوليك

قوة منشأها الوحدة الداخلية وخضوع المؤمنين والانصار للرجل الذي هو رمز لهذه الوحدة . ومن هنا وجب علينا احاطة المكان الذي انطلقت منه الفكرة ، بهالة من القدسية تجعله محجة للانصار ورمزا لوحدتهم .

يتضح مما اسلفنا ان الاسس التي يجب ان تقوم عليها حركتنا داخليا هي الآتية :

١ ـ حصر النشاط في مدينة واحدة هي ميونيخ ، حيث بها مجموعة كبيرة من الانصار المتحمسين ، ويصار الى تأسيس مدرسة لتعليم رسل الحركة . وفي نفس الوقت يحاول الحزب فرض وجوده ومحو الوهم العالق في الاذهان باستحالة قيام حركة جديدة تقوى على التصدي في وجه الماركسية والتغلب عليها .

٢ ـ لا يصار الى انشاء خلايا محلية ما لم تتثبت سلطة المركز في ميونيخ .

٣ ـ لا يصار الى انشاء فروع اقليمية ما لم تتوفر الاثباتات الكافية على ولاء الانصار للمركز الرئيسي وتقيدهم بتعليماته . علما ان انشاء مراكز اقليمية يتوقف على عدد كاف من الافراد الذين يعتمد عليهم بادارة المراكز . ويمكن للحزب ان يجتذب افرادا اذكياء فينشئهم تنشئة قوية تؤهلهم للقيادة ، اذا توفر لديه المال الكافي . وهذا ممكن بدفع رواتب الموظفين من صندوقه الخاص . اما اذا لم تسمح له ماليته باستخدام رؤساء موظفين ، فانه يعهد بادارة الفروع الى رجال لا يبخلون على الحزب بالجهد والوقت والمال .

وقبل انشاء الفرع يجب تعيين رئيسه ، فاذا تعذر ذلك يترك الفرع دون رئيس او تترك المنطقة دون فرع ، لان الرئيس الفاشل كالقائد الاحمق الذي لا يحسن وضع وتنفيذ الخطط ..

ان نجاح حركة سياسية لا يعتمد على تعصب الانصار واعتبار حركتهم انبل الحركات واسماها . ومن يعتقد ان اندماج حركتين متماثلتين يضاعف من قوة الحركة ، هو مخطىء . لان هذا يزيد في النمو الخارجي ، مع ان هذا الاندماج يلقي بذور ضعف داخلي تظهر اعراضه بسرعة . ذلك انه مهما كان التشابه قريبا فالشبه التام بينهما يبقى مستحيلا . والطبيعة نفسها لا تسمح بالتزاوج بين جهازين مختلفين ، فتعمد الى استفزازهما الى القتال ليبقى الانسب والاقوى .

فالتاريخ يعلمنا ان قوة الاحزاب تقوم على التعصب ضد كل ما هو خارج عنها ، وان انصار الحزب حين يقتنعوا بصحة فكرتهم يتجندوا للدفاع عنها ولمنازلة خصومهم موقنين ان النصر حليفهم . ولا يزيدهم الاضطهاد الا شدة وعزيمة . فالمسيحية لم تنتشر وتشتد بالتسويات بين تعاليمها

وتعاليم بقية الديانات بل شقت طريقها بفضل تعصبها لرسالتها ودفاعهـا عنها دفاعا مستميتا .

ينبغي لحركتنا ان تعلم وتفهم الشعب الالماني ان اليهودي اذ يقول الحقيقة انما يحاول تغطية خدعة كبرى ، وان كل افتراء يصدر عن اليهود هو كالشهادة بحسن السلوك . وكل الماني يهاجمه اليهود هو واحد منا ؛ وكل الماني يبغضه اليهود هو افضل اصدقائنا .

يجب على حركتنا ان تفهم انصارها ان من يقرأ جريدة صباحيـة يهودية ولا يجد فيها حملة من الافتراء عليه . فمعنى ذلك انه اضاع نهاره السابق سدى ، فلو أمضى نهاره السابق في مكافحة نشاط اليهود لوجد في صباح اليوم التالي حملة الافتراء والتجريح في صحف الصباح .

حين يدرك انصارنا هذا كله تصبح حركتنا قوية لا يمكن ان تغلب .

لم يكترث الجمهور لعملنا الحزبي ، وكان معذورا اذ كان عددنا فـي البداية سبعة رجال لا حول لهم يهدفون الى تحقيق ما عجزت عنه الاحزاب الكبيرة .

فكنا نجلس في اجتماعاتنا نحن السبعة حول طاولة عارية الا مـن اقلامنا واوراقنا ، لنتناقش بضع ساعات في امور تافهة كتنظيم دعوة او اعداد بيان . وغني عن القول ان ميونيخ كانت في شاغل عن الانتباه لامـر سبعة رجال يعقدون اجتماعا . وقد ظل هذا دابنا الى ان قررنا توسيـع نطاق حركتنا بدعوة الناس لحضور اجتماعاتنا ؛ فنظمنا اجتماعات دورية مرة او مرتين في الشهر ، وتولينا كتابة اوراق الدعوة وتوزيعها بانفسنا . وحدث ان قمت بنفسي بتوزيع ثمانين بطاقة دعوة على اشخاص طالمـا امتدحوا حركتنا وكذلك فعل رفاقي فبلغ مجموع ما قمنا بتوزيعه حوالـي خمسماية وعشرين بطاقة ولكن النتيجة كانت مخيبة لامالنا بشكل كبير ، ففي الموعد المعين لم يكن في قاعة الاجتماع سوى الاعضاء السبعة ...

بعد هذا الحادث طبعنا أوراق الدعوة على الالة الناسخة ، فضمنـا نجاح الاجتماع الثاني فحضره حوالي الثلاثة عشر مواطنا ، وتدريجيا ازداد الرقم ، الى ان وضعنا اعلانا في احدى الصحف المستقلة عن اجتماعنـا السادس ، وكانت النتيجة مشجعة اذ استأجرنا قاعة في «هوفبروس كيلر» تتسع لمئة وثلاثين شخصا ، وفي الوقت المحدد حضر الاجتماع حوالي المئة واحد عشر شخصا .

وقع الاختيار علي لاخطب في الجمهور ، وكانت هذه اول مرة اخطب فيها فعارضني معارضة شديدة رئيس الحزب الهر « هارير » الذي كان يظن اني اصلح لكل شيء ما عدا الخطابة ولكن كان « هارير » مخطئا ، فقد اكتشـف الجمهور انني خطيبا من الطراز الاول ، وقد قوطع خطابـي

بالتصفيق الحاد عدة مرات . وعندما دعي المستمعون للتبرع لصنـــدوق الحركة بلغت حماستهم حدها الاقصى فاقاموا على التبرع ودخل علـــى الصنـــدوق حوالي ثلاثماية مارك ، مما اتاح لنا طبع نشراتنا وتعاليمنـــا واوراق الدعوة .

لـم يقتصر نجاح الاجتماع على هذه الناحية ، فقد كان من جملـــة الحاضرين بعض الذين حاربت معهم في الجبهة ، فمضوا الى رفاقهم ورفاقي يصفون انطباعاتهم عن الاستماع ويشرحوا لهم مبادىء حركتنا واهدافها ، واستطاعوا استدراج الكثيرين لحضور الاجتماعات المقبلة ، ولكنهم ما لبثوا ان انخرطوا في الحزب الجديد . وكانوا شبانا شجعانا تشبعوا بروح النظام واخذوا من الخدمة العسكرية شعارا ممتازا ان لا مستحيل في الحياة .

وما هي الا اسابيع معدودة حتى بدا الحزب يعطي نتائجه الطيبة .

كان اول رئيس للحزب الهر هارير ، صحفيا لامعا مثقفا . ولكنه كان يجهل مخاطبة الجمهور واثارة حماسته . وكذلك الهر دركسلر رئيس فرع ميونيـــخ الذي لم يكن هو الاخر ذا موهبة خطابية . وقد لاحظت عليـــه الضعف والتردد ، وقد علمت انه لم يدخل الجندية قط ، فاتضح لي سبب افتقاره الى معالم الرجولة الحقة ، فهو لم يدخل المدرسة الوحيدة التـي تنشيء رجالا يثقون بأنفسهم ثقة لا حد لها .

كان هارير ودركسلر ضعيفي الثقة بأنفسهم وبحركتنا الجديـــدة . خاصة بما يتعلق بقوة الحركة على سحق كل من يقف في طريق نموهـــا وانتشارها . ان هذه المهمة لجديرة برجال صهرتهم الجندية وحولتهم الى رجال اصلب واقوى . وانا كنت جنديا قد نسيت في الجبهة شيئا اسمـــه « خطر » او « مستحيل » ، لان حركتنا كانت عبارة عن مجازفة خطـــرة ، فقد كان الماركسيون اسياد الموقف يهاجمون كل من يعقد اجتماعات شبيهة باجتماعاتهم ، فيعتدون على الحاضرين ويزعموا ان المجتمعين قد تحرشوا بهم واستفزوهم . فقد كانوا يكافحون كل اجتماع يجتذب الجمهـــور ، وكان هذا موقفهم تجاه حزبنا الفتي ، الذي بدا اجتماعاته بدعوة العمـــال والمستخدمين . وعندما اطلقنا على حركتنا اسم « حزب العمال الالمانـــي » بدا الماركسيون بمهاجمتنا كما بدا على انصارنا انهم خائفون ويفضلـــون التهـــرب من الاصطدام مع الحمر خوفا من الهزيمة . وراح المسؤولـــون يؤجلون عقد الجمعية العمومية خوفا من الاصطدام . وكنت انا اعارض هذا التخـــاذل واطلب منهم قبول التحدي والعمل على استفزاز خصومنـــا ومحاربتهم بسلاحهم فسلاح الارهاب لا يحارب الا بالارهاب . واخيرا فازت نظريتي فعقدنا الجمعية العمومية الاولى بعد ان تهيأنا لمواجهة كل الاحتمالات وكان النجاح حليفنا ، فعقدنا عدة اجتماعات متتالية . وقد تكلمت في احد

الاجتماعات لمدة ساعة كاملة بحضور حشد كبير من المستمعين . وقد حاولت بعض العناصر التشويش واشاعة الفوضى الا ان رفاقنا تصدوا لهم واوسعوهم ضربا وطردوهم من قاعة الاجتماع . وتوالت اجتماعاتنا وازدادت استعداداتنا لصد الاعتداءات بنفس العنف الذي يستعمله الماركسيين ؛ وكان ايماننا قويا وتعصبنا للفكرة التي بدات تفتح طريقها قادرا على نقل الجبال من اماكنها .

انصرفنا بعد ذلك الى وضع النظام الداخلي للحزب وقد حدثت بعض المناقشات حول القضايا الشكلية كتسمية الحزب مثلا . بينما انصرفت خلال هذا التنظيم الى مقاومة فكرة قبول بعض الاعضاء الذين يطلقوا على انفسهم اسم « الالمان الشعبيين » . فهؤلاء طبقة من المواطنين لا يسادل عملها الايجابي الصفر ، ويتجاوز ادعاؤها الفارغ كل حد . وقد اوضحت لرفاقي ان حركتنا الفتية لن تكسب شيئا من انضمام رجالا مقدرتهم الوحيدة في انهم امضوا ثلاثين او اربعين سنة في خدمة فكرة من الافكار . اذ ان رجلا امضى اربعين عاما في خدمة ما يعتبره فكرة دون ان يؤمن لها النجاح المطلوب ، او على الاقل دون ان يحول دون انتصار خصومها ، هذا الرجل لن يرجى منه اي خير لحركتنا الناشئة . والامر من ذلك ان هؤلاء « المناضلين » المريقين يرفضون الانضمام كاعضاء عاديين ، بل يطلبون مراكز عالية تتناسب و « جهادهم » الطويل .

واوضحت لزملائي ايضا ان هذا النوع من السياسيين الخائبين لا يريدون من انضمامهم الى حركتنا خدمة هذه الحركة ، بل يريدون تنفيذ نظريتهم الخاصة بواسطتنا . ولئن يكن بعضهم يتصرف عن جهل مطبق الا ان بعضهم الاخر يتصرف بناء لخطة مرسومة ولهدف معين . ومن بين هذا البعض نجد فئة تريد محاربة اليهود على الصعيد الديني بينما تدعي ان الحركات الاصلاحية في البلاد يجب ان تقوم على اساس عنصري محض .

لذلك قررت ابعاد هؤلاء « العنصريين » فاقترحت تسمية الحزب الجديد « حزب العمال الالماني الوطني الاشتراكي » وهكذا كان ، فابتعد عنا محترفي السياسة و « المناضلين » الذين يريدون القتال وسلاحهم القلم والورقة . وقد قام هؤلاء بحملة ضدنا في الصحف المأجورة واليهودية منتقدين شعارنا القائل : « سنرد بعنف على من يحاول ارهابنا بعنف » وادعوا اننا جماعة تمجد القوة ولا تؤمن بالفكر والقيم الروحية .

في بداية العام ١٩٢٠ قررت ان اهيء الى اجتماع كبير رغما عن الاعتراضات الكثيرة من قبل بعض المتنفذين في الحزب وكانت الصحف الحمراء قد بدات تهتم بنا وتحمل علينا بعنف ، ونحن بدورنا بدانا نحضر اجتماعات الماركسيين للتشويش عليهم ، وكان كل واحد منا يأخذ نصيبه

من الضرب واللكم ، وقد جعلنا هذا الاسلوب حديث المجتمعات ، وتأكدنا ان « اصدقاءنا » الحمر سيحضرون اول اجتماع كبير لنا ليعاملونا بالمثل .

وبالرغم من تأكدي ان خصومنا سيتغلبون علينا في ميدان اللكم والضرب ؛ لكني كنت على ثقة تامة بأن ثباتنا وقوة عزيمتنا ستقوي من معنويات حزبنا في الخارج ، فالشعب تبهره القوة والاعمال البطولية . وقد عارض رئيس الحزب هذا الاسلوب فقدم استقالته من رئاسة الحزب فحل محله دركسلر الذي سلمني مهام الشؤون الدعائية ؛ فقررت يوم ٢٤ شباط ١٩٢٠ كيوم الاجتماع الحاسم ؛ واشرفت بنفسي على طبع وتوزيع النشرات الاعلانية ؛ كما حرصت ان تتضمن المبادىء الاساسية للحركة . . .

وما ان توزعت النشرات حتى صمم الماركسيون وحزب الشعب البافاري على محاربة الحزب الجديد ، وكان الحزب هذا مهيمنا على شؤون الحكم في البلد زاعما انه ينتهج منهجا قوميا صحيحا . وقد رأيناه يستخدم قوة البوليس لمصادرة نشراتنا من ايدي الوف العمال الذين ضللتهم الدعاية الماركسية وجعلتهم اعداء للوطن والقومية .

وقد شذ من الحكام حلفاء الماركسيين اثنان فقط هما : ارنست بوهنر مدير البوليس ؛ ومستشاره الدكتور فريك . هذان الموظفان الكبيران اللذان كانا المانيين قبل ان يكونا موظفين .

في مساء الرابع والعشرين من شباط ، دخل على قاعة الاجتماع ما لا يقل عن الالفي شخص . وكان نصفهم على الاقل من الشيوعيين والفضوليين الذين حضروا للتشويش ... وكانت النتيجة عكس ما قرروه .

عندما بدأت خطابي شرع اعداء الحركة في التشويش فقاطعوني عدة مرات ، ولكن تصدي بعض الزملاء من ذوي العضلات المفتولة فرض الهدوء نسبيا ، وبعد نصف ساعة طغى التصفيق على الهتافات المعادية . وعندما شرحت للحضور منهج الحزب طغت اصوات الاستحسان والموافقة على صراخات الاستنكار . وعندما تلوت على الجمهور المقترحات الخمسة والعشرين اقرها الاعضاء بالاجماع وفي جو حماسي رائع . وهكذا خطبت في مواطنين جمعهم ايمان جديد وارادة جديدة . وعلمت وأنا ارى الناس تتدافع الى الخارج بعد انتهاء الاجتماع أن حركتنا ستنتشر بسرعة خاطفة في اوساط الشعب الالماني .

ان جمرة قد اتقدت في تلك الامسية من شباط ، ومن لهيبها سيخرج السيف الذي يعيد الى سيغفريد الجرماني حريته والى الامة الالمانية الحياة .

لقد تراءى لي موكب البعث وهو يتحرك ، وخيل الي ان اله الانتقام قد هب ليمحي عار التاسع من تشرين الثاني عام ١٩١٨ .

..... وتابعت حركتنا سيرها :

في اجتماع ٢٤ شباط وضعت حركتنا المخططات والمبادىء التي ستضع حدا لفوضى الاراء ذات الاهداف الغير قومية . والان بقي ان تنتقل حركتنا الى خطوات جديدة حاسمة توقظ الاحزاب البورجوازية من سباتها العميق .

فعندما تعمد الاحزاب البورجوازية الى تغيير منهج ما، يكون هاجسها التودد الى الناخبين . وبمجرد ان يشعر محترفو السياسة ان الشعب بدا يبرم بهم حتى يسارع كل حزب بمثلوه الى بث الخبراء والمنجمين ليبحثوا عن رغبات الشعب ومطاليبه . وعلى ضوء التقارير التي يرفعها الخبراء تعمد الاحزاب الى تغيير مناهجها او تعديلها وحتى الى تبديل مبادئها اكراما للناخبين . كما لا يخفى عليها ان تضمن في مبادئها الوعود الخلابة للفلاح بحماية انتاجه ، كما تعد الموظفين بزيادة رواتبهم ... وما تلبث هذه الوعود ان تتبخر بعد المعركة الانتخابية ، ويرجع « ممثلوا الامة » الى عوائدهم السابقة في خدمة مصالحهم الخاصة فقط .

هذه المهزلة التي تتكرر كل اربع سنوات ، ليست الوحيدة ، فاننا نجد بين المواطنين من يؤمن ان في مقدرة الاحزاب البورجوازية منازلة الاحزاب الماركسية المنظمة وهزمها بواسطة الديمقراطية الغربية ، وقد فاتهم ان الديمقراطيين لن يفكروا في منازلة الماركسيين ، بل يتعاونوا معهم اذا كان في ذلك مصلحة لهم . وفي اليوم الذي تبنى فيه البرلمانيون البورجوازيون فكرة الاخذ بمبدا الاكثرية البرلمانية لضمان الاستقرار المنشود ، اي في اليوم الذي تبنوا مفهوم الغرب للديمقراطية ، عمد الماركسيون واليهود الى الاستيلاء على الحكم عن طريق الاكثرية ، وذلك بفضل الديمقراطية الغربية ، ومن ثم تخلوا عن هذه الديمقراطية التي اوصلتهم الى سدة الحكم . فالماركسية تماشي الديمقراطية حين تكون عاجزة عن فرض نفسها وتحقيق اغراضها بطرقها الخاصة ، وهي اليوم تستعمل هذه الطريقة في تحالفها مع الاحزاب البورجوازية . ولكنها يوم ان تشعر ان الاكثرية البرلمانية قد ناصبت الشيوعية العداء ، فسرعان ما يتخلوا عن الديمقراطية ويتوجهون الى البروليتاريا وينتقل الصراع من البرلمان الى الشارع ، ولا يصعب على الماركسية في هذه الحال ، تصفية حساب الديمقراطية في اسرع وقت . وقد اظهرت الحوادث عام ١٩١٨ عقم كل محاولة لوقف الغزو اليهودي بالطرق التي تستعملها الديمقراطية الغربية .

لذلك وجب علينا افهام انصارنا وشعبنا اننا حزب ذو عقيدة واننا

تأبى على الحركة ان تنقلب الى جمعية تضم الانتهازيين والوصوليين وقد ركزنا على ايضاح مفهوم الحزب للدولة ؛ لان فكرة الدولة قد شوهتها تعاليم كارل ماركس والنظريات المتدفقة من الخارج .

اقترح بعض الرفاق على وجوب وضع العنصرية كواحدة من الاسس التي يقوم عليها الحزب . ولكني اعترضت على الاقتراح لان العنصرية بمفهومها الشائع لا تزال تعبيرا مطاطا يدل على أكثر من مداول . ولا تصلح بالتالي اساسا للعمل النضالي المشترك الا بعد ان نحدد معناها بوضوح . واستطعت بعد ذلك اقناع زملائي بجعل العنصرية قاعدة رئيسية بعد ان نتفق على تحديد مهمة الدولة اولا وتحديد مداول العنصرية نفسها كمفهوم فلسفي ثانيا .

ان بعض المفاهيم الفلسفية الشائعة تعزو الى الدولة امكانية الابداع والتوازن ، كما ان الدولة هي وليدة ضرورات اقتصادية وسياسية . فهذا المبدأ يؤدي حتما الى تجاهل القوى البدائية المرتبطة بالعنصر ، والى الاقلال من قيمة الفرد . وبديهي ان يخطىء من ينكر وجود فروق بين الاجناس من ناحية امكانيتها للابداع ووضع الاسس الحضارية ؛ لان تساوي الاجناس يؤدي الى تساوي الشعوب والافراد . وقد تبنى ماركس هذا المبدأ ليجعله عقيدة سياسية ، ثم نمقه وهذبه وجعله منسجما مع مصلحة ابناء جلدته اليهود .

ان الماركسية هي خلاصة المفهوم السياسي والفلسفي للدولة ، لذلك لا يتمكن من مما نسميه « العالم البورجوازي » ، ان يقف في طريقها أو يقلل من نشاطها ، لان العالم البورجوازي هذا قد تشبع هو ايضا بتلك السموم التي ينفثها كارل ماركس واليهودية العالمية ، والمبادىء التي يعتنقها تختلف اختلافا بسيطا عن المفهوم الماركسي . اذن فالبورجوازيون ماركسيون ، ولكنهم يقولون بامكانية سيطرة جماعة معينة من الناس (البورجوازية) بينما تهدف الماركسية الى اخضاع العالم كله لسيطرة اليهود .

اما المفهوم العنصري للدولة ، كما حدده حزبنا فيما بعد ، فانه يقيم وزنا للاعراق البدائية ويعتبر الدولة حاملة رسالة الحفاظ على كيان الاجناس البشرية . ولا تعترف العنصرية بتساوي الاجناس ، مما يجعلها تؤيد بقاء الاصلح والاقوى وبالتالي خضوع الضعيف لهما ، وذلك انسجاما مع المبدأ الارستقراطي للطبيعة .

والعنصرية بتنكرها لمساواة الاعراق تنكر ايضا تساوي قيم الافراد ؛ اي انها تنكر حق البقاء لكل عنصر ضعيف وضيع يحاول الاختلاط بالعناصر المتفوقة واضعافها ، لان عالما تجتاحه سلالة من الزنوج لا بد له من الاضمحلال بعد ان تتشوه فيه مفاهيم الحق والجمال .

في الدولة

هناك ثلاث نظريات في الدولة :

اولا : النظرية القائلة ان الدولة ليست الا تجمع اناس بمحض ارادتهم وخضوعهم لسلطة حكومة من الحكومات .

واصحاب هذه النظرية يؤلفون الكثرة . فهم ينادون بمبدأ الشرعية ولا يقيمون اي اعتبار للشعب ، فيكفي ان تقوم الدولة لتصبح مقدسة وقد يبلغ بهم الحرص على حماية نظريتهم السخيفة هذه ، الى دعـــوة الناس للتعبد للدولة وسلطتها . فالدولة حسب قولهم ، لم توجد لخدمة الناس، لذلك وجب على الناس ان يعبدوا سلطتها ، هذه السلطة التي ينفذها اناس مثلهم . وقد جعلوا المبرر الوحيد لوجود سلطة الدولة ، الحفاظ على النظام والاستقرار ... وقد مثل هذه النظرية في المانيا جماعة المحافظين ، مـــع الاسف .

ثانيا : نظرية الذين يقولون ان وجود الدولة يخضع لاستيفاء شروط معينـــة . فالخضوع لسلطة واحدة يجب ان يتبعه وجود لغة واحـــدة للسكان . ويقولون ان سلطة الدولة ليست المبرر الوحيد لوجودهـــا ، اذ يجب عليها ان تؤمن للمواطنين الازدهار والرفاهية ، لذلك لا يطلب احاطة الدولة بهذه القدسية طالما هي موجودة . وخلاصة القول ان اصحاب هذه النظرية يريدون من الدولة ان تعطي الحياة الاقتصادية شكلا يتلاءم مـــع مصلحة الفرد . وهذه النظرية ممثلة عندنا في البورجوازية المتوسطة .

ثالثا : نظرية الذين يرون في الدولة وسيلة لبلوغ اهداف استعمارية أو توسعية غير واضحة المعالم . فهؤلاء يطالبون بانشاء دولة شعبية متحدة العناصر ، ذات لغة مشتركة ، باعتبار ان وحدة اللغة تساعد على توجيـــه الفكرة القومية توجيها معينا .

في القرن الماضي توسع بعض المفكرين في تفسير الحركة الجرمانية، ولا ازال اذكر الجدال الذي قام بين صحيفتين في فينا حول اهداف الحركـــة الجرمانيـــة وامكاناتها . فقد ذهبت احداهما الى القول انه من الممكـــن « جرمنة » الصقالبة من ابناء البلاد . ولكن الخطأ في هذا القول هـــو ان « الجرمنة » يقصد بها جمع الجرمان في دولة واحدة . اما الجرمنة المقصود بها التوسع ، فهذه تطبق على الارض وحدها لا على الناس . الا يبـــدو سخيفا من يقول ان بالامكان « جرمنة » صيني او زنجي بمجرد تعليمـــه اللغة الالمانية ؟ ان هذا النوع من الجرمنة ، اي عن طريق اللغة ، يعطـــي

نتائج عكسية لانها تقضي باختلاط الالمان الحقيقيين بالاجناس الوضيعة التي ليس لها من خصائص الجرمانية الا اللغة . . . فالقومية ، او بالاحرى، فالعرق هو مسالة دم لا مسالة لغة .

ينبغي لنا ، في هذه المناسبة ، ان نقيط انفسنا على فشل «الجرمنة» التي اراد جوزيف الثاني تطبيقها في النمسا . فلو نجح في مخططه لأدى ذلك الى بقاء النمسا على قيد الحياة ، وبالتالي ادت هذه المحاولة الى انخفاض مستوى الامة الالمانية لتخالطها مع اقوام هم أدنى منها بمراحل .

لم ننس ما كان من امر اليهود الذين هاجروا الى اميركا على انهم المان باعتبارهم يتكلمون اللغة الالمانية ، فقد حسبهم الاميركيون علينا ، ولما ضاقت ذرعا بهم شملت تدابيرها الالمان الحقيقيين .

ان النظريات الثلاث التي شرحناها تتجاهل اهمية العرق كاساس ترتكز عليه القوى المبدعة والقيم . كما تغفل الدور الهام الذي تقوم به الدولة في حفظ العرق ورفع شأنه . فالبورجوازية بتجاهلها اهمية العرق ودور الدولة فيه فتحت الطريق امام العقائد والمذاهب السياسية واهمها المذهب الذي ينكر وجود الدولة . لذلك فالمركة التي تقودها ضد الماركسية هي معركة خاسرة حتما ، لان خصمها اكتشف نقاط الضعف وراح يحاربها بالسلاح الذي وضعته في متناوله .

لذا وجب على الحزب الجديد ، ما دام يعمل على صعيد المفاهيم العنصرية ، ان يبدأ بتعريف الدولة وتحديد مبررات وجودها ، كما ان المبدأ الاساسي الذي يجب ان يعرفه هو ان الدولة وسيلة لا غاية ، واعتبارها سببا من مسببات الحضارة ، دون ان تكون المبعث الوحيد لهذه الحضارة . ذلك انه لا يمكن ان نتصور حضارة قابلة للاستمرار دون وجود العرق المتفوق القادر على خلقها ودعمها . ويمكن القول ان وجود الدول لا ينتفي معه احتمال زوال الجنس البشري في حال زوال من يمثل العرق المتفوق ، مؤسس الحضارة المثلى ، لان زوال هذا يفضي حتما الى تجريد البشرية من طاقة المقاومة والاحتمال وموهبة الخلق .

لنفترض ان زلزالا ضرب الارض ومن فيها ، وقضى على معالم الحضارة كلها . ولكن صدف ان نجت بضعة كائنات بشرية تنتمي الى عرق متفوق ، فانها لا تلبث ان تستأنف الخلق والابداع وتنشيء حضارة جديدة ترجع بالارض الى وضعها السابق . ولدينا من امثلة التاريخ ما يؤكد ان الدول التي وضع اسسها عرق غير مؤهل ، تعجز عن الصمود في وجه الزعازع .

لذلك فالشرط الاساسي لبقاء الشعب المتفوق هو بقاء العرق ذو المواهب المبدعة ، لا بقاء الدولة . فالمواهب تكمن في الاغراق بانتظار الفرص

المناسبة لتبرز . وهكذا كانت حالة الجرمان قبل النصرانية . فالقول ان الجرمان كانوا برابرة لا يستند الى الحقيقة والواقع ، لان المناخ في المناطق الشمالية التي سكنها الجرمان فرض عليهم نوعا معينا من الحياة كان سببا في تاخير نمو طاقتهم المبدعة ، ولو انهم سكنوا المناطق الجنوبية ووجدوا العتاد البشري الذي تقدمه الاعراق الوضيعة لتمكنوا بفضل طاقة الابداع الكامنة فيهم من ايجاد حضارة تفوق حضارة الاغريق .

يستخلص مما ذكرنا المبدأ الاساسي التالي :

الدوله هي الواسطة لبلوغ الغاية والغاية هي الحفاظ على جماعة من الناس ينتمون روحيا وماديا الى عنصر واحد . ويترتب على الدولة بالاضافة الى توفير اسباب النمو لهذه الجماعة ، أن تعتني بالمحافظة على مميزات العرق لان بقاء هذه المميزات ضروري لتنمية المواهب الكامنة في هذا العرق .

الدولة العنصرية التي نطالب بها ستكون مهمتها الاولى السهر على بقاء ممثلي العرق البدائي الذي قدم للعالم حضارة من اسمى الحضارات واجدرها بالبقاء ونحن كاريين نفهم الدولة انها جهاز يوفر للشعب مقومات وجوده وينمي مواهبه . اما الدولة التي يريدون فرضها علينا هي ثمرة افدح الاخطاء البشرية . ولا نجهل ان خصومنا جادين في عرقلة مساعينا . ولكن لن نلتفت لما يقولونه لجيلنا هذا ، لاننا نقصد بحركتنا هذه الاجيال المقبلة التي ستباركها وستقدر اهميتها العظمى .

*

على ضوء هذه المبادىء والنظريات التي قدمناها يمكننا نحن الوطنيين الاشتراكيين أن نجعل من الدولة ما يفترض بها ان تكون ، وأن نقيس مدى نفعها من خلال مصلحة البشرية كلها .

ان الدولة تمثل شكلا او هيكلا ، فاذا اصبح الشعب ذو شأن كبير في ميدان العلم والفن والحرب وغيره .. فهذا التقدم لا يصلح مقياسا لنفع الدولة التي تحضنه . لا شك ان شعبا ذا مواهب هو اقدر على الظهور بمظهر لائق من قبيلة زنجية مثلا . ومع ذلك فربما تكون الدولة التي ينشئها هذا الشعب اسوأ حالا من القبيلة الزنجية . فالدولة تقضي على العرق الذي أوجد الحضارة اذا هي سمحت او كانت السبب في زوال مواهبه المبدعة وقدرته على الخلق .

وعلى هذا الاساس تقدر قيمة الدولة بمقدار النفع الذي عادت به على شعبها . فعندما نأتي على ذكر رسالة الدولة ، فهذه الرسالة هي التي يضطلع بها الشعب ، اما هي فمهمتها الاساسية تنحصر في توفير اسباب النمو لهذا الشعب . فاذا قلنا نحن الالمان : كيف يجب ان تكون الدولة التي

تحتاج اليها امتنا ؟ تعين علينا توضيح نقطتين : من هم المواطنون الذين يجب ان تضمهم الدولة ؟ وما هي الاهداف التي يجب ان تعمل لها ؟

اسارع الى القول ان شعبنا الالماني لم يبق له العرق المتجانس اساساً ، فالاندفاع الذي تم بين العناصر البدائية لم ينبثق عنه عرقاً جديداً . فالاختلاطات المتتالية التي سببت تعكير دم شعبنا ، سببت بالتالي انحلال الشعب الالماني روحيا وجسديا . ذلك ان حدود وطننا المفتوحة ، والتماس المستمر مع اجهزة سياسية غير المانية على طول مناطق الحدود ، ودخول الدم الاجنبي ، فهذا التجدد المستمر لم يتح الوقت الكافي لتحقيق الاندماج الكامل الذي يجب ان ينبثق عنه عرق جديد . وترتب على هذا النقص انعدام التجانس بين السكان .

ان ما يسمى عندنا « الفردية المبالغ بها » هي نتيجة التجاور بين السكان دون التوصل الى الاندماج فيما بينهم . وربما كان لهذا التجاور المتحفظ بعض المزايا اثناء السلم ، ولكنه يصبح وبالا على الامة اثناء الحرب . ولو تكاتف الشعب الالماني في تاريخه الطويل لاستطاع الرايخ الالماني ان يسود العالم .

وقد ترتب على افتقار شعبنا الى اللحمة التي يوفرها الدم الواحد ، قيام عواصم للعديد من صغار الامراء الالمان وحرمان الشعب من حقوقه الاساسية كسيد ، وفي ايامنا الحاضرة يعاني شعبنا الامرين من جراء هذا النقص . ولكن ما كان سبب شقائنا قد يصبح مصدر خير وبركة في المستقبل ، لان فقدان هذه اللحمة بين العناصر البدائية التي كانت تؤلف عرقنا ، يقابله لحسن الحظ بقاء دم فريق من الالمان سليما طاهرا ، مما يشكل ضمانة لمستقبل شعبنا . وزيادة في الايضاح اقول : ان الامتزاج الكامل بين العناصر البدائية سيؤدي ، لو تم ، الى نشوء شعب قادر على التطور ، ولكن الحضارة لن تظهر بالمظهر الذي يمكن ان تظهره على ايدي العناصر الممثلة للعرق المتفوق ، الذي ابتدع الحضارة . لذلك ولحسن الحظ بقي في شعبنا قوى احتياطية تتمثل بابناء العنصر الجرماني قوى حافظت على نقاء دمها وطابعها المميز : مؤلفة نواة صالحة لاجيال تتمكن من النهوض بشعبنا ودفعه الى عجلة التقدم .

*

ان عهد الجمود والاتكال واللامبالاة ، سيتبعه عهد من النضال الشاق والكفاح المرير . فالنصلة التي لا تستعمل يتأكلها الصدا ، ومن يطلب النصر عليه بالهجوم لانه الطريق المؤدي للنصر .

ان الصعاب التي تنتظرنا في كفاحنا من اجل نشر مفهومنا الجديد للدولة ، تكمن في عدم وجود مناضلين يشتون معنا في الكفاح الطويل . فمجتمعنا

هرم لا هم له الا الابقاء على الحالة الراهنة ... لكن الصعاب والعقبات ستقوي من هممنا لانها تبرز عظمة الرسالة التي نحملها . وستكون الدعوة الى الحرب الاشارة التي يترقبها المناضلون . وليعلم الوطنيون الاشتراكيون انه متى اتحد عدد من الرجال متصفين بصفات العزم والقوة واضعين امام اعينهم هدفا معينا ، فلن يلبث هؤلاء الرجال ان يمسكوا بزمام القيادة . فالتاريخ صنعته النخبة ؛ وهي الاقلية ففي كل مرة كانت الاقلية المددية مجسدة للارادة والجرأة .

والطبيعة بدورها تتدخل لتصحح نتائج الاختلاطات التي تعكر نقاء الاجناس البشرية . فهي اما ترحم المخضرمين ولا سيما السلالات الاولى حتى الجيل الخامس . وتجردها من المميزات التي كانت للعنصر البدائي المتفوق الذي كان شريكا في الاختلاط . ناهيك بما يترتب على انعدام وحدة الدم من تضارب بين الارادات والقوى الحيوية . ففي الظروف الحرجة يتخذ الانسان ذو الدم الصافي قرارات حكيمة ومنسجمة . اما المخضرم فانه يفقد توازنه والسيطرة على اعصابه ؛ وينتهي به الامر الى الخضوع للانسان ذي الدم الصافي ، ويكون في الغالب عرضة للزوال السريع .

وفي بعض الحالات تضطر بعض الشعوب المتفوقة الى الاختلاط بشعوب وضيعة . ولكن ما ان تزول هذه الحالات الاضطرارية حتى تميل العناصر السليمة الى الاختلاط بشكل ترضى عنه الطبيعة : الاختلاط بين الدم الواحد ؛ فلا تلبث سلالات المخضرمين ان تقف على الهامش ، فتصبح مقاومتها مستحيلة .

لذلك وجب على الدولة الجرمانية ان تمنع كل اختلاط جديد ، وعدم الالتفات الى الدعوة اليهودية الماركسية التي تطلب ازالة الحواجز الفاصلة بين الاجناس ، وعدم الالتفات الى احتجاج انصار الاختلاط على المساس بحقوق الانسان المقدسة . فالانسان له حق مقدس واحد هو السهر على بقاء دمه نقيا طاهرا ؛ ليتمكن من صون الحضارة ومقوماتها . وعلى الدولة العنصرية ان ترفع مستوى الزواج لتعيد اليه قدسيته كمؤسسة تهدف الى خلق كائنات على صورة الله ومثاله ، مسوخ تشبه القرود .

ان البورجوازيين يعترضون علينا لاننا نطلب منع التزاوج بين المصابين بالامراض الزهرية ، وذوي العاهات .. ولكنهم في نفس الوقت لا يمانعون في استعمال الوسائل التي يستعملها الاصحاء لمنع الحمل ولاتلاف الزرع البشري .

والاغرب من ذلك ان الكنيستين الكاثوليكية واللوثرية تتذمران من موجة الالحاد العاتية ، ولكنهما لا تعملان لوقف هذه الموجة ؛ بل تلتفتان الى الزنوج محاولة افهامهما اشياء لا يمكنهم فهمها .. فلو تركت الكنيستان

الزنوج وشاتهم لتفهما الشعب انه من الافضل عند الله ان يقوم الضعفاء وذوي العاهات بتبني الايتام بدلا من خلق اولاد مرضى وضعفاء يكونون عالة عليهم وعلى امتهم .

يتحتم على الدولة العنصرية ان تسد هذا النقص بجعل العرق محور حياة الجماعة ..ساهرة على بقائه نقيا . وعليها ان تجعل من الولد اثمن ما في حوزة الشعب . وان تحصر حق التناسل بالاصحاء فقط . بل يجب ان تعلن ان التزاوج بين المرضى وذوي العاهات هو فعل منكر . وان انبل عمل يقدمونه هو عدم التناسل . وفي نفس الوقت يجب على الدولة ان تعاقب كل من يتمتع بصحة جيدة ويستعمل طريقة منع الحمل .

نعم ، يجب على الدولة ان تتدخل ، فتدخلها هذا هو لمصلحة الشعب ومستقبله . وعليها ان تستخدم الطب والعلم لمنع تناسل غير المستحقين وغير المؤهلين ، فتجردهم من القدرة على التناسل . كما ينبغي عليها ان تضع حدا لتحديد النسل بين العائلات الفقيرة التي تخشى تعدد الاولاد وذلك بتشجيع الاقوياء منهم عمليا . فيطمئن المتزوجون الى مستقبل اولادهم دون هموم وهواجس .

الا تعتبر جريمة بحق المجتمع ان ينقل المريض امراضه الى ذريته ؟ فعلى الدولة ان تفهم الفرد ان كون الانسان مريضا ليس عيبا ، انما هو محنة تثير الشفقة ، ولكنه يتحول الى جريمة يوم يورث المريض داءه او عاهته الى مخلوق اخر بريء لا ذنب له . فالبشرية تتمكن من انقاذ نفسها ان اعتمدت هذا الاسلوب لبضعة قرون .

يمكن للدولة خلق عرق سليم خال من العاهات ، ان هي اخضعت الاقاليم المكتسبة حديثا لشروط مدروسة ، وانشأت لجانا خاصة تقوم بالترخيص للافراد بانشاء مستعمرات ضمن هذه الاقاليم . ولا يعطى الترخيص الا لمن يثبت انتماؤه الى العرق المؤسس للحضارة كما يثبت بقاء دمه نقيا طاهرا . وبذلك تقوم المستعمرات النموذجية على سواعد اشخاص يمثلون العنصر المتفوق ويتحلون بصفاته الفريدة ، ويؤلفون النواة الصالحة لشعب جديد .

يبقى على الدولة العنصرية توفير المناخ لنمو الجيل الجديد ، وعندها يكف الناس عن الاهتمام بتحسين نسل الخيل والكلاب ، ليتصرفوا الى تحسين النوع البشري ، وبذلك يبلغ المجتمع حدا من الرقي لا تحتاج معه الدولة الى فرض الرقابة على عملية التناسل ، فغير الصالحين سيمتنعون من انفسهم ، والصالحون يضطلعون بها باخلاص تام .

يبدو هذا القطيع البورجوازي حلما صعب التحقيق . لانه ليس هناك من شاغل لهم الا الاهتمام بالمكاسب ، وليس لهم من معبود سوى المال ..

ونقول لهم حين يقلبوا شفاههم مرتابين لهذه النتيجة نقول اليس هناك الاف من الرجال والنساء نذروا انفسهم للشرائع الدينية ، ممتنعين عن التناسل فارضين على انفسهم التبتل ؟ فلم لا يكون هذا ممكنا بالنسبة للمواطنين الغير صالحين للتناسل حين يحل محل تعاليم الكنيسة ووصاياها انذار توجهه الدولة اليهم تفرض عليهم وضع حد للخطيئة الاصلية الحقيقية ، وان يمجدوا الخالق القادر بسلالات تكون على صورته ومثاله !

*

متى علمنا ان اول واجب الدولة هو المحافظة على افضل عناصر العرق وتوفير المناخ الملائم لنموه ، يتبين لنا إن مهمة الدولة التالية تكون في تربية النشء تربية تتيح له في المستقبل المساهمة في رفع مستوى الجماعة . وغني عن القول ان اول اهداف التربية يجب ان تكون في المحافظة على صحة الافراد . ففي معظم الحالات نجد ان العقل السليم في الجسم السليم .. والدولة العنصرية التي تدرك هذه الحقيقة ستعمل على اعطاء الامة اجساما سليمة قوية اما التعليم وحشو الادمغة فياتي بالمرتبة الثانية .

يجب على الدولة العنصرية ان تنطلق من المبدا التالي : الرجل السليم الجسم القوي الارادة ، المقدام ، هو العضو النافع للمجتمع . والرجل المحدود الثقافة انفع من رجل ذي عاهة مهما بلغت مواهبه العقلية . كما ان شعبا من العلماء الضعفاء جسديا ، الضعفاء الارادة ، المبشرين بسلام مثبط للعزيمة — ان شعبا هذه صفاته يعجز حتى عن توفير ما يكفل بقاءه على هذه الارض وفي الجهاد الذي يحتمه علينا القدر لن ينهزم القوي جسديا ، وانما الخاسر المهزوم هو الذي يستمد من معرفته وعلومه قرارات غير مجدية ، بل بعيدة عن روح الرجولة وينفذها بطريقة تثير الشفقة .

يجب ان يكون هناك انسجاما بين الماديات والمعنويات ؛ فالجسم المصاب بمرض الجذام مثلا ، لن يعيد اليه الاشعاع الفكري جماله ونضارته .

ان العناية بتقوية الاجسام هي من اولى خصائص الدولة العنصرية ، وذلك لارتباطها الوثيق بصيانة العرق او الشعب الذي تمثله هذه الدولة وتحميه . لذلك يجب على الدولة الاعتناء بالنشء الجديد وتقوية اجسادهم منذ الطفولة ، وذلك بارشاد الامهات بطريقة عملية لينموا ويترعرعوا في احسن الحالات . كما يتوجب على المدارس الاعتناء بالرياضة البدنية ؛ لان التمارين الرياضية تنشط الجسم والعقل معا . ولا يجوز ان يمر يوم دون ان يمارس الفتى مختلف انواع الرياضة لمدة ساعتين يوميا على الاقل . وهناك رياضة هامة هي الملاكمة ، هذا النوع من الرياضة الذي يعتبره « العصريون » نوعا من البربرية . فالملاكمة تنمي روح الكفاح وتروض العقل على التصميم والتنفيذ بسرعة خاطفة ، كما تجعل الجسم صلبا دون ان يفقد

شيئا من مرونته . فالرجل الذي يحرص على كرامته يجب ان يدافع عنها بقبضة يده ، ولا يقل على نفسه باطلاق ساقيه للريح الى اقرب مخفر ليشكو امره الى الشرطة . . . ان مهمتنا خلق رجال اقوياء يتحلون بالجراة والاقدام، ونساء مؤهلات لاعطاء الوطن رجالا حقيقيين .

فلو مارست الطبقات العليا الرياضة البدنية الى جانب الدرس والتحصيل ، لو انها مثلا مارست الملاكمة الى جانب الرقص ، لما تمكن الخونة من اشعال نار الثورة في المانيا ، لان الثورة لم تنجح بفضل شجاعة واقدام القائمين بها ، وانما نجحت لان الحكام كانوا جبناء مترددين . فقد واجهوا قبضات المخربين واسلحتهم بالاسلحة الفكرية ، وقد تغلبت الفوغائية لان معاهدنا انشأت رجالا موظفين وكتاب واساتذة ولم تنشىء رجالا شجعان .

ان التربية البدنية لا تصنع العجائب ، فمن كان جبانا اصيلا لن تتمكن الرياضة من جعله شجاعا جسورا ، ولكن الشجاعة لوحدها لا تكفي بل يجب ان ترافقها القوة البدنية . وقد ادركت قيادة الجيش هذه الحقيقة وعملت على ضوئها ، فمهرت البلاد في السلم بجيش شجاع رابط الجاش قادر على تحمل المشاق ، وقد راينا جيشنا البطل في صيف عام ١٩١٤ ينطلق لملاقاة الموت كأنه ذاهب الى حفلة عرس . فهذه الثقة بالنفس هي ثمرة التربية البدنية التي تنمي الشخصية وتبلورها ولا سيما الشجاعة وروح النضال .

وما احوج شعبنا اليوم الى هذه الثقة بالنفس ! ان الدولة العنصرية ستربي النشء على فكرة ان شعبنا متفوق على سائر الشعوب ، وستعيد اليه ايمانه بمقدرات وطنه والثقة بمستقبل افضل .

*

لن يكون اهتمام الدولة العنصرية مقتصرا على انماء القوى الجسمانية بل سيكون الاهتمام ملاحقا للنشء ما دام هو بحاجة اليه . فنحن اليوم نلاحظ اهمال الدولة لشؤون التربية . فالشبية تتردى في مهاوي الرذيلة، فلا تجد من يردعها ويعنى بتربيتها خلقيا وجسديا .

فعلى الدولة العنصرية ان تكلف مؤسسات خاصة تابعة لها للقيام بمهمة التربية البدنية ، بحيث تكون هذه التربية كمرحلة اعدادية تؤهل الشبيبة للالتحاق بالخدمة العسكرية ، بحيث لا يتطلب من الجيش اعادة انماء قواهم الجسدية ، بل يتلقاهم بصفته معهدا للتربية القومية . فيتخرج الشاب من مدرسة الخدمة العسكرية حاملا شهادتين : شهادة المواطن التي تتيح له الحصول على وظيفة ، وشهادة صحية تثبت صلاحيته للزواج .

وهذا سينطبق ايضا على الاناث، وستكون غاية التربية النسوية اعداد الفتيات للاضطلاع بدورهن العظيم يوم يصبحن امهات الغد .

بعد التربية الجسمانية يأتي دور التربية الخلقية :

لا شك ان بعض الطباع ثابتة لا تتغير . فالاناني يبقى انانيا والمثالي يبقى مثاليا ، وهناك ملايين الطباع المائعة التي لا تستقر على حال .

فالمجرم بالفطرة يبقى على اجرامه ، ولكن ربما تمكن المجتمع من اصلاحه وجعله عضوا نافعا . وهناك طباع مائعة تتطور لتصبح شريرة ، اذ لم يتعهدها المجتمع بالتربية اللازمة . وكثيرا ما تذمرنا ونحن في الجبهة من نزعة متاصلة في شعبنا وهي الثرثرة . فكان الرؤساء يلاقون صعوبة كثيرة لمنع تفشي الاسرار العسكرية للعدو ، وذلك بسبب ثرثرة بعض الافراد من شعبنا . فهل فكر المربون ، يوما ما ، في افهام النشء الجديد ان الثرثرة عيب كبير ، وان الكتمان هو فضيلة يتصف بها الرجال الافذاذ .

ان المربين يعتبرون هذه القضية تافهة ، ولكنهم لو فكروا قليلا لظهر لهم ان تسعين بالمئة من قضايا القدح والذم والافتراء ناجمة عن الثرثرات الفارغة ، كما ان المصالح الاقتصادية تتضرر باستمرار لان الثرثارين يفشون اسرار الصناعات ، وحتى الاسرار العسكرية لم تسلم من ثرثرتهم ، فترتب على ذلك خسارة معارك كثيرة .

ولا يغربن عن بالنا انه من المستحيل تقويم الخلق المعوج بعد ان يكتمل المرء نضوجه . لذلك يجب ان تبدأ التربية في البيت حيث يتولاها الاباء والامهات ، ثم المدارس .

اما اليوم فلا نجد اي اثر للتربية الخلقية في مدارسنا . ولكن الدولة العنصرية ستعطي هذه الناحية اهتمامها الزائد فتعلم النشء الجديد ان الاخلاص ونكران الذات والتحفظ فضائل يجب ان يتحلى بها كل شعب عظيم . كما ستدعو المربين الى تدريب التلاميذ على تحمل الالم والظلم بصمت ورباطة جاش ، لكي تجعل منهم في المستقبل جنودا ثابتي الجنان ، قادرين على اداء واجبهم في اشد الظروف واقسى الحالات .

❋

ستكون مهام التربية في الدولة العنصرية العمل على تنمية قوة الارادة وروح الاقدام ومواجهة المسؤوليات .

في الماضي كان الجيش يأخذ بالمبدأ القائل : « الافضل للقائد ان يصدر امرا ما ، بدلا من ان يحجم عن اصدار الاوامر » . وفي ايامنا يجب افهام النشء ان الخوف من تحمل المسؤولية هو الذي عجل بكارثة ١٩١٨ . ففي كانون الاول من العام المذكور ، احجم الجميع بما فيهم السلطات عن تحمل المسؤوليات ، وتركوا ممارسة صلاحياتهم ، كما تركوا الزمام يفلت من ايديهم . واليوم نجد انفسنا عاجزين عن ابداء اية مقاومة لا لاننا لا نملك السلاح ، بل لاننا لا نملك الارادة الحسنة . الم يقل احد القادة العسكريين :

« انا لا اقدم على خطوة ما لم اضمن لها نسبة ٥١ بالمئة مـــن النجـاح » . فهذا القول يعطينا فكرة واضحة عما وراء الكارثة وانهيار المانيا . فالذي ينتظر من الاقدار ان تضمن له النجاح ، لن يكون له اي فضل في هذا النجاح. وبالتالي يكون اخر من يعتمد عليه .

ان ضعف الارادة والتهرب من المسؤوليات مبعثه سوء التربية وفساد الاسس التي تقوم عليها . وهذه العيوب نجدها في الذين قاموا للاضطلاع بمهمـة القيادة من حكـام وبرلمانيين وعسكريين ورؤساء احزاب .. ولكـن الدولة العنصرية ستولي هذه الناحية اهتمامها البالغ وستضع امامها هدف تحرير الشعب الالماني من هذا الضعف الذي كان من جملـة اسباب انهيار المانيا .

وستدخل الدولة العنصرية تعديلات ثلاثة على التعليم هي :

اولا : نظام التعليم . ففي ايامنا هذه نجد التلاميذ مرهقين من جراء حشو ادمغتهم بالمعلومات التي لا فائدة منها ، والتي لا يلبث التلميذ ان ينساها ، واذا علق في ذهنه شيء منها فلن يفيده في المستقبل .

يقول انصار هذا الاسلوب ان المعلومات التي يتلقاها التلميذ تنمي فيه موهبة التفكير والملاحظة . وهذا صحيح الى حد ما ، ولكن هذا السيل من المعلومات تفرق دماغ التلميذ فلا يتمكن من الاستيعاب ولا يبقى له شيء من المقدرة على التفكير والملاحظة . لذلك وجب على الدولة العنصرية أن تعطي لكل مواطن قدرا كافيا من المعلومات تفيده وتؤهله لخدمة المجتمع .

ما هي الحكمة من فرض تعلم اللغات الاجنبية ، علما ان بضعة الوف فقط من الملايين الذين يتعلمونها يستفيدون منها في المستقبل ، اما سائر المواطنين فلا . اليس من الافضل تخصيص هذه الساعات التي يمضيهـا التلميذ في تعلم اللغة الانكليزية والاسبانية والفرنسية والاستعاضة عنهـا بالالعاب الرياضية ؟ وبنفس الوقت جعل تدريس اللغات الاجنبية اختياريا ؟

كذلك على الدولة العنصرية ان تبدل من المنهاج التعليمي لمادة التاريخ. فالتلميذ لا يعلم من الاحداث سوى تاريخ حدوثها ومكان حدوثها وابطالها. وقد كان لجهلنا التاريخ الباعث على فشل سياستنا الخارجية لانه لا ينتظر من رجل دولة ان ينجح في معالجة القضايا الدولية ، اذا كان جاهلا الخطوط الكبرى للتاريخ .

ان التاريخ الذي يجب ان يتعلمه المواطن هو الذي يظهـر الاسبـاب والعوامل . فالمقصود من دراسة التاريخ استخراج العبر منه لا معرفتـه فقط .. وستجعل الدولة العنصرية من التاريخ غاية لتعليم الالمان ما ينبغي لهم ان يعملوه لبناء مستقبل افضل . وستعمل على وضع تاريخ شامل تحتل فيه المسألة العنصرية المقام الاول .

ثانيا : تعنى المناهج التعليمية في ايامنا هذه عناية خاصة بالرياضيات والعلوم . فهذه المواد لها اهميتها في عصرنا هذا ، ولكن لا يجوز التركيز عليها واهمال المواد الاخرى كالتاريخ والجغرافيا والاداب.. وعندي انتكون هذه المواد هي المواد الاساسية . واذا اراد الطالب بعد ذلك ان يتخصص في فن من الفنون فله الاختيار .

ثالثا : العزة القومية ، وهذا يجب ادراجه في المناهج التعليمية لدى الدولة العنصرية . فالتاريخ الشامل وتاريخ الحضارة يجب ان يتجه هذا الاتجاه . فالمؤرخ في الدولة العنصرية لن يقدم المخترع على انه رجل عظيم الا لانه يمثل شعبه . وعليه ايضا ان يسلط الاضواء على نوابغ شعبنا لتمتلىء صدور المواطنين بالفخر والاعتزاز . حتى اذا تخرجوا من مدارسهم عملوا لوطنهم مضيفين امجادا جديدة الى الامجاد السابقة .

واخيرا ستبلغ الدولة العنصرية غايتها كمعلم ومرب يوم تخلق في قلب النشء فكرة العرق ، بحيث لا يترك مقاعد الدرس شخص الا وقد اقتنع ان نقاء الدم هو ضرورة حيوية .

*

- ١١ -

هتلر والنازية

الدولة وتنشئة النخبة

سأبدأ هذا القسم بالتشديد على اهمية الدور الذي ستقوم به الدولة العنصرية في تنشئة النخبة او الصفوة .

في ايامنا هذه لا يقام اي وزن للاستعداد الشخصي . فالتحصيل العالي مقتصر على ابناء الاغنياء والامراء وكبار رجال الدولة . ومن النادر أن نجد في الجامعات طالبا ابوه فلاح ، واذا وجد وكان متفوقا فأبواب الوظائف المرموقة ستقفل بوجهه لأنها محفوظة لابناء الوزراء والسياسيين والنبلاء والاغنياء . وهناك حقل واحد تتساوى فيه المواهب ، وهو حقل الفنون ، اما المال فليس له اي تأثير لان الموهبة لا تشترى ولا تباع .

انا لا اقول بوجوب جعل التحصيل الجامعي او الاختصاص في متناول

الجميع . فالنخبة تفرض نفسها على المجتمع ، لان ما تبدعه هو ثمرة زواج الكفاءة والمعرفة . فمثلا يمكننا ان ندرب رجلا عاديا ذا استعداد عقلي متوسط على استيعاب معلومات تفوق طاقته ولكن شأنه يبقى شأن الحيوان المدرب . فيقوم بحركات آلية مستقلة عن النشاط العقلي .

أجل فبواسطة التدريب العقلي يمكننا اعطاء الدولة جيشا من الموظفين الذين يصرفون الاعمال تصريفا آليا ، وان نتيح لكل بيت ان يقدم عالما . ولكن العلم الذي يستوعبه العقل ، الغير مؤهل . استيعابا آيا يبقى مادة ميتة ، فالمواهب المولدة يصقلها الاكتساب ويستفزها للعمل ولكنه لا يوجدها .. فمثلا نجد في الصحف الفنية صورا لزنوج اشتهروا في فن الموسيقى او بروزا في الطب او السياسة او تفوقوا على البيض في الملاكمة او السباحة . فيقوم من بين المفكرين من يعرب عن سروره بهذه النتيجة لتي اعطتها نظم التعليم الحديثة . اما اليهودي الخبيث فيجعل من هذه الظاهرة سندا لنظريته التي يحاول عبثا فرضها : المساواة بين الناس !

لو عادت البورجوازية المنهارة الى عقلها ، لوجدت ان هذا العمل هو تحد لمشيئة الخالق في ترويض مخلوق هو نصف قرد بحيث يصبح طبيبا ، بينما هناك ملايين من ابناء العرق المتفوق لا يجدون عملا يؤمن لهم قوت يومهم . ويتيح لهم وضع مواهبهم في خدمة الحضارة . ففي اميركاالشمالية ازداد عدد الاختراعات زيادة كبيرة خلال العشر سنوات الاخيرة ، لان التحصيل العالي كان مقتصرا على المؤهلين للخلق والابداع ، ذلك ان موهبة الاختراع تجد في المعرفة حافزا ومنشطا ، ولكن العلم بدون المواهبالطبيعية يبقى عاجزا عن العطاء ، عقيما .

لذلك ، يجب على الدولة العنصرية ان تبحث عن اصحاب المواهبوتعهد اليهم بالمهام الرئيسية ، وبالتالي يجب عليها ان تفتح ابواب التحصيل العالي لاصحاب المواهب بغض النظر عن مستواهم الاجتماعي . فهناك اكثر من دليل على عظمة المشروعات التي قام بها نابغون من ابناء الشعب . ناهيك عن العواقب التي تنجم عن استئثار طبقة معينة بالعلوم العالية . فقد نتج عن هذا الاستئثار ظهور طبقة من المفكرين مقفلة منطوية على نفسها تأنف من الاختلاط بالشعب ، مما يجعلها بعيدة عن الاحساس بقضاياه ، عاجزة عن تفهم مشاكله ونفسيته . يضاف الى ذلك ان حصر العلوم العالية بطبقة الاغنياء والنبلاء ادت الى تسليم مقدرات البلاد لفئة من الرجال تنقصهم الجراة والتضحية ، غير قادرين على مواجهة الاحداث الصعبة .

لقد كان من سوء حظنا ، اضطرارنا الى خوض معركة الحياة او الموت في وقت كان فيه مستشار الرايخ فيلسوفا . فلو قدر لالمانيا ان يتولى زمام الامور فيها رجل من ابناء الشعب لما ذهبت تضحيات جنونا البواسل سدى .

يتعين على الدولة العنصرية ان تسهر على تطعيم المثقفين بدم قوي هو دم الطبقات الدنيا . وعليها ان تغربل الرعايا بعناية ودقة لتستخرج العتاد البشري الموهوب وتضعه في خدمة الجماعة . فوجود الدولةمرتبط بالخدمات التي تقوم بها ، وهذا لا يتم الا بتنشئة رجال مؤهلين للاضطلاع بالعبء .

يبدو ان تحقيق هذا الاصلاح متعذرا بالنسبة للبورجوازيين الذين سيبدون الملاحظات الوجيهة : كيف يجوز ان نفرض على ابناء كبار الموظفين ان يكونوا عمالا يدويين ، لنفسح المجال امام ابناء الفلاحين ليحلوا محلهم في الجامعات العالية ؟ انه لاعتراض وجيه بالنسبة لقيمة العمل اليدوي في مجتمعنا ، لذلك وجب على الدولة ان ترفع من مستوى العمل اليدوي وان تتخذ من قيمة العمل ، لا من العمل نفسه ، اساسا للحكم على الفرد . أليس من الظلم ان يحتل كاتب قصة بوليسية سخيف مركزا في المجتمعاكبر من المركز الذي يحتله عامل ذو اختصاص ؟

فللعمل قيمة مزدوجة : معنوية ومادية . فالقيمة المادية تتجلى بأهمية العمل من حيث تأثيره في المجتمع . فكلما ازداد عدد المنتفعين بالعملازدادت قيمته المادية . اما القيمة المعنوية فلا تتجلى بأهمية انتاج العمل بل تتجلى بضرورته . ولا شك ان الفائدة المادية لاختراع ما ، يمكن ان تكون اكثر مما يقوم به العامل في يومه . ولكن خدمات العامل ضرورية اكثر من الاختراع الذي سيبقى مشروعا جامدا اذا لم تتوفر له الايدي اللازمة .

في دولة يسودها العقل يتوجب على الحكومات ان تعهد الى كلمواطن بالعمل الذي يتناسب مع كفاءته . اما قيمة الفرد فمقياسها هو مـــدى نجاحه في اداء المهمة المنوطة به ، ومدى افادته للمجتمع الذي اعده للاضطلاع بها . ونجاحه في ذلك العمل يعني انه استطاع ان يعيد للمجتمع ما سبـــق وتلقاه منه .

- ١٢ -

رعايا الدولة والمواطنون

تضم الدولة قسمين من الناس : قسم المواطنين ، وقسم الاجانب . فالمواطن هو الذي يتمتع بالحقوق المدنية بفضل منشئه او تجنسه . امـــا الاجنبي فهو من يتمتع بالحقوق نفسها في دولة اخرى . وبين هاتين الفئتين نجد احيانا الهايمتلوز وهم الذين لم يتح لهم شرف الانتماء الى دولة ولا يتمتعون بالحقوق المدنية في البلاد التي يقيمون على ارضها .

اذن يكفي ان يولد الانسان في دولة ما ليتمتع بالحقوق المدنية ، فليس

للعرق او الدم المشترك اي تأثير في ذلك . وهذا يعني انه يعتبر المانيا الوليد الزنجي الذي جاء ابواه الى المانيا من احدى المستعمرات ليقيم اقامة مؤقتة او دائمة ، كذلك يعتبر مواطنين ابناء اليهود والبولونيين والاميركيين والاسيويين الذين يولدون في حالات مماثلة .

وهناك طريقة أخرى للحصول على الجنسية الالمانية ، وجعلها بالتالي في متناول كل من توفرت فيه شروط معينة .

يشترط في طالب الجنسية ان لا يكون لصا او تاجر رقيق ، ولا يكون ذو ماض سياسي يؤهله لتمثيل دور بارز ، كما يشترط فيه ان يكون قادرا على العمل بحيث لا يصبح عالة على الدولة . اما المسألة العنصرية فانها تبقى بمعزل عن هذا الموضوع ، ولا يقام لها أي اعتبار . وهذا لا يكلف طالب الجنسية اي عناء ، فهو يتقدم بطلب خطي الى السلطات الادارية فتدرسه وترفعه الى رئيس الدولة في ملاحظاتها التي تكون عادة لمصلحة الطالب . وبعد ايام تصله الموافقة بأنه اصبح مواطنا المانيا . وهذا العمل السحري يقوم به رئيس الدولة ، فالذي تعجز عنه الالهة يحققه موظف بجرة قلم . وهكذا ينقلب المغولي بين يوم واخر الى مواطن الماني مئة بالمئة. اما العنصر الذي ينتمي اليه طالب الجنسية ، واما حالته الصحية فمسألتان لا تثيران اهتمام السلطات ، فالمهم ان يعول الالماني الجديد نفسه ولا يشكل خطرا على الدولة .

وفي الدولة بوضعها الحالي يتمتع المواطن الالماني والاجنبي بنفس الحقوق والامتيازات ، فلهما الحق بشغل الوظائف والالتحاق بالجندية وانتخاب اعضاء البرلمان والمجالس الاقليمية . قد يقول المدافعون عن هذا الوضع الغريب ان الديموقراطية تعترف للاجنبي بهذه الحقوق ، ولكني اقدم لهؤلاء مثالا حيا هي الولايات المتحدة الاميركية التي كانت ترحب بالاجانب ، ولكنها اليوم عادت ووضعت العراقيل في طريقهم ، رافضة قبول المرضى والملونين . فهذا التصرف يجعلها تتمشى ونظرتنا العنصرية الى الدولة .

ان السكان في الدولة العنصرية ثلاث فئات : مواطنون ورعايا واجانب، والفرق الوحيد بين الفئتين الثانية والثالثة هو ان الاجانب هم رعايا دولة اخرى ، وتعتبر الدولة العنصرية جميع الذين يولدون على ارضها كرعايا لها ، ولكن الرعوية وحدها لا تخول صاحبها حق المساهمة في النشاط السياسي ولا تؤهله لشغل وظيفة عامة . فكل الماني هو احد رعايا الدولة العنصرية الالمانية ، ولكنه لا يكتسب صفة مواطن الماني الا بعد ان تصهره المدرسة والجيش في البوتقة القومية . فالجيش هو المدرسة التي تخرج المواطنين ولكن لا تمنحهم صفة المواطن الالماني الا بعد ان تتحقق من انهم

موفورو الصحة ومسلكهم الخلقي خاليا من اي عيب .

وشهادة المواطن هي اعظم وثيقة تمنح للفرد في الدولة العنصرية ، فبواسطتها يتمكن من ممارسة حقوق المواطن والاستمتاع بالامتيازات الخاصة بهذا اللقب . فالمواطن يحتفظ بهذا اللقب ما دام اهلا له . اما الخائن والمجرم والضعيف فهؤلاء لن يتمتعوا بهذا اللقب ، بل يعودوا الى صف الغير ناضجين قوميا ، ويلقبون برعايا الدولة العنصرية .

اما الفتاة الالمانية فلا تمنح لقب مواطنة الا بعد ان تتزوج كما تستثنى الفتيات اللواتي تضطرهن ظروفهن الى العمل وتحصيل قوتهن اليومي .

*

ان نظرة الدولة العنصرية الى الفرد تجرها حتما الى محاربة المبدا الماركسي القائل بالمساواة بين البشر . ولكن التباين الذي نلمسه بين الشعوب والاعراق قائم بين العناصر ذات الدم الواحد ، لذلك وجب على الدولة العنصرية ان تخص بعنايتها في المجتمع الواحد العناصر المتفوقة ، علما ان اكتشاف هذه العناصر لا يكلفها جهدا يذكر ، ولكن الجهد كل الجهد ينحصر في غربلة المتفوقين لاختيار الصفوة التي يجب ان تتولى مهمة القيادة . ففي الدولة العنصرية لن يصار الى اختيار القادة بالطريقة المتبعة ، اي بمبدا الاكثرية الذي يفسح المجال امام النكرات للتلاعب بمقدرات الامة كما يجعل من الاكفاء كمية مهملة ، لن يؤخذ بهذا المبدا في دولة تطمح الى تزعم العالم المتمدن . فالشخصية القومية تفرض نفسها بفضل الجهود التي تقوم بها الدولة قاطعة الطريق امام الانتهازيين وتجار السياسة المحترفين .

يعتقد بعض الذين يدرسون حركتنا ، ان الفرق الوحيد الذي يجب ان يكون بين الدولة العنصرية الوطنية الاشتراكية وبقية الدول هو الفرق المادي المتجلي في التنظيم الاقتصادي ، حيث تعنى الدولة العنصرية باقامة توازن عادل بين الثروة والحرمان ، او بتحسين مستوى الطبقات الكادحة او بجعل الاجور متناسبة مع قيمة الانتاج . ان من ينتظر من حركتنا هذه الانجازات فقط ليست لديهم فكرة صحيحة عن اهدافنا . لذلك لا يحق لهم توجيه النقد اليها . فالشعب الذي يكتفي بتنظيم اموره بهذه السطحية لن يكون مؤهلا لقيادة الموكب البشري الآخذ بأسباب النمو والحضارة . لن تكتفي حركتنا بهذه الاصلاحات السطحية بل ستجعل في راس الاصلاحات تمكين النخبة من استلام مهمة التوجيه ، وهذا يجعل الدولة مؤسسة ذات ظروف مؤاتية لنمو شخصية الفرد .

ولكي نوضح اهداف حركتنا على حقيقتها لا بد من الرجوع الى التاريخ مرة اخرى ، لان هذا يوضح دور الفرد في تكوين الحضارات .

ان الخطوة الاولى التي ميزت بين الانسان والحيوان كانت تلك التي

خطاها الانسان نحو الاختراع ، وقد كان جهده منصبا على استنباط الحيل والمداورات التي تمكنه من حماية نفسه .

ان هذه الاستنباطات يفسرها البعض بأنها غرائز صدرت عن جماعة وجدت نفسها في مازق فاخترعت الوسائل التي تنقذها ، لكن المدققين يجدون العكس تماما ، فالنشاط الانساني في شتى مظاهره يبدأ من الفرد . وكل تطور لمصلحة الكائنات الحية وضع اسسه رجل فرد ، فكانت بادرته اشارة الانطلاق للاخرين . لذلك فالقول ان الاختراعات البدائية هي من صنع الجماعات يناقض الواقع حتى بالنسبة الى الحيوانات التي تلجا بغريزتها الى الحيلة . فالحركة التي يقوم بها قطيع من الماعز ليتفادى خطر حيوان مفترس هي تقليد لحركة اتاها رأس من الماعز ثم يتبعه القطيع بعد ذلك . ولا شك ان الحيل الاولى التي اخترعها البشر لدفع الخطر عنهم كانت من تدبير شخص او افراد موهوبين ، وتاثرت بعد ذلك الجماعة خطاه . ولما شرع الفرد الموهوب باختراع آلات الدفاع عن النفس اقتبست الجماعة اختراعه البدائي وافادت البشر بعد آلاف السنين من اختراعات تفتقت عنها عبقرية افراد موهوبين .

وابتكر الانسان بعد ذلك طرقا جديدة مكنته من السيطرة على كائنات حية كان يخافها ، وما لبث ان استخدم هذه الكائنات في اغراضه المختلفة . ولما اطمأن الى وضعه ككائن متفوق برزت مواهبه الخلاقة فصقل الحجر وروض الحيوان الشرس واخترع السلاح الحاد ثم السلاح الناري ... وهكذا .. وقد كانت جميع هذه الاختراعات ثمرة نشاط افراد موهوبين ، فالسواد لا يبدع شيئا وكذلك الكثرة ، لان التصميم والتنظيم لا يصدرا عن جماعة .

*

ان وضع الزمام في الايدي القادرة اصبح في ايامنا منهجا عاما في جميع الميادين ما عدا الحياة السياسية ، حيث لا تزال الاكثرية تسود وتطغى وحيث نجح اليهود في القضاء على تاثير الشخصية ليحلوا محله تاثير الاكثرية وهكذا زال المبدأ الآري الخلاق . هذا المبدأ الذي يجعل من الصفوة دعامة المجتمع والعنصر الفعال القادر على الخلق والابداع ، وساد المبدأ اليهودي الهدام الذي يهدف الى افساد الشعوب والاعراق وهدم الحضارات الحقة. وقد اخذت الماركسية بهذا المبدأ اليهودي ، لانه يزيل النخبة ويترك السيطرة للاكثرية . من هنا عطف الماركسية واليهودية على النظام البرلماني ، ومن هنا عطفها الكاذب على الطبقة العاملة وتحريضها النقابات على الشغب كأسلوب من اساليب المطالبة بالحقوق ، وقد نجم عن تسخير الاقتصاد القومي لاهواء

الاكثرية . فقدان الحوافز الشخصية التي كانت بالنسبة للاقتصاد كالمهماز الذي يدفع به الى الامام .

ليست حركتنا حزبا منافسا للماركسية ، لذلك يجب أن نوضح الفروقات الكبيرة بين مفهومنا العنصري وبين نظرة الماركسيين الى الدولة والامة والعرق . فالدولة العنصرية الوطنية الاشتراكية تضع مسألة العرق في موضعها اللائق ، وتقدر اهمية الشخصية وتجعل منها اساسا لكل عمل ايجابي بناء . فاذا افضى سوء الحظ بان تهمل حركتنا هذا المبدأ الاساسي وان تسلم بالامر الواقع فتقر مبدأ الاكثرية ، فلن يكون حزبنا أكثر من جماعة لا هم لها الا منافسة الماركسيين ، فيفقد بالتالي مبرر وجوده كحركة تقوم على عقيدة فلسفية .

لن يكون في الدولة العنصرية الوطنية الاشتراكية شيء اسمه : قرار الاكثرية . بل سيكون فيها رؤساء ومسؤولون ، وتسترد كلمة « مشورة » معناها الحقيقي ، فيكون لدى الرئيس مستشارون ولكن القرارات تصدر عنه وحده . والدولة العنصرية تحسن صنعا حين تأخذ بالمبدأ الذي كان الجيش البروسي يطبقه في الماضي . للرئيس السلطة المطلقة على مرؤوسيه ، وهو مسؤول تماما امام رؤسائه . اما البرلمانات فتنقلب الى مجالس استشارية لا اكثر . وستكون لهذه المؤسسات بعض النشاطات كمدرسة لتنشئة الرؤساء .

يمكننا اعطاء فكرة عن دور البرلمان في الدولة العنصرية الوطنية الاشتراكية :

لن يكون في الرايخ مجالس تمثيلية تمارس صلاحية اتخاذ المقررات الملزمة للحكومة ، بل سيكون له مجالس استشارية تقوم بما يوكل اليها الرئيس القيام به ولن تسمح الدولة العنصرية بان يبت في القضايا الحيوية اشخاص غير مؤهلين لهذه المهمات . لذلك سيكون هناك مجالس سياسية واخرى تعاونية ، ولكي تتمكن هذه المجالس من التعاون ، سيستحدث مجلس شيوخ يكون بمثابة الحكم . بيد انه لن يكون هناك اي نوع من التصويت في تلك المجالس ، فهي مؤسسات مهمتها العمل ، وليست آلات للتصويت .

*

ان اقتصار مهمة المجالس التمثيلية على الدروس وتقديم المشورة ، لا تعتبر بدعة طلع بها حزبنا . فمبدأ الاكثرية لم يؤخذ الا قليلا منذ ان كان في العالم حكومات ودول ، وقد كان الاخذ به سببا من اسباب حرب الشعوب وانهيار الدول ، والتحول الذي ندعو اليه لا يتم حالما تتخذ التدابير النظرية ، بل يلزم لتحقيقه بذل جهود جبارة وطويلة . وهذا ما اخذ على عاتقه القيام به حزبنا الوطني الاشتراكي .

المفهـوم الفلسفـي والتنظيـم

لن يكون للاحزاب السياسية الموجودة اي شان في العمل البناء الذي تقوم به حركتنا ، اذ كيف يمكن لهذه الاحزاب أن تعمل على هدم الاوضاع الراهنة وهي مدينة بوجودها لفساد هذه الاوضاع ؟ ولا يخفى ان موجهي الاحزاب الحالية هم اليهود ، فاذا لم تجد من يضع حداً لتلاعب الشعب المختار بمقدرات شعبنا فلن يمر وقت طويل حتى تتحقق نبوءة اليهود القائلة :

« سيخضع اليهودي شعوب الارض جميعها ويصبح سيدها المطاع » .

كيف يرجى من الاحزاب البورجوازية واحزاب اليسار أن تقاوم الذين يوجهونها ويسخرونها لخدمة اغراضهم ومصالحهم ؟

ان مهمتنا الاولى ليست باقامة هيكل الدولة المنصرية بل بالقضاء على الدولة اليهودية ، فقد علمتنا الاحداث ان الصعوبة ليست في اقامة وضع جديد ، بل في فسح المجال لهذا الوضع . وهكذا يترتب علينا ان نبدأ كفاحنا بالعمل على ازالة الوضع الراهن .

على كل عقيدة جديدة ان تبدأ كفاحها بشهر سلاح النقد في وجه خصومها . واليوم نسمع من يقول من المنصريين المزعومين انهم يترفعون عن النقد لينصرفوا الى العمل البناء . ان هؤلاء يجهلون تاريخ عصرهم الذين يعيشون فيه ، فالماركسية التي تسعى الى فرض سيطرة اليهود العالمية قد بدأت عملها بالنقد وظل هذا شأنها لمدة خمسة وسبعين عاما ، وكان نقدها هداما طويل الامد حتى تقوضت دعائم الدولة الهرمة ، وعند ذلك بدأوا بعملهم البناء المزعوم . فقد ادرك الماركسيون ان حالة ما لا يمكن ان تزول بمجرد ظهور حالة جديدة . فالحالتين تستمران وتتعايشان ، ولا تلبث العقيدة الفلسفية المزعومة ان تعيش مقفلة في الاطار الحزبي الضيق ، ذلك ان التسامح لم يكن من شيم أصحاب العقائد ، فالعقيدة تابى أن تكون حزبا من جملة الاحزاب الموجودة . فهي تطمع بفرض مبادئها ولا تسمح ببقاء اي اثر للنظام القديم .

كان هذا شأن الاديان ولم يزل . فالنصرانية لم تكتف باقامة هيكل الدين ، بل عمدت اولا الى هدم الهياكل الوثنية . فلولا تعصبها الاعمى لما كان هذا الايمان الكبير الذي قدم للنصرانية العديد من الشهداء ...

قد يعترض معترض بقوله ان التعصب والانانية هما نقيضان عالقتان

باليهود وانه ليس جديرا بنا ان نحذو حذوهم وأن نستعمل نفس سلاحهم ولكن مع ان هذا الاعتراض صحيحا ، يجب علينا ان نحارب العقيدة القائمة على التعصب والانانية بنفس الطرق والاسلحة التي تستعملها ؛ لان الارهاب لا يستحقه الا ارهاب ، ولئن فضلت احزاب السياسية حل المشاكل القائمة بالتسويات فالمذاهب الفلسفية لا تساوم ولا تتنازل عن حقها . فالاحزاب تتعاون في بعض الاحيان مع احزاب مناوئة لها ، اما المذاهب الفلسفية فلا تمد يدها الى المناوئين وتعتبر نفسها معصومة عن الخطأ .

والاحزاب السياسية تبدأ نشاطها بالاستيلاء على السلطة والانفراد بالتوجيه وتحاول ان تعتنق مذهبا فلسفيا معينا ؛ ولا تلبث ان تبتعد عن المعتقدات الفلسفية رغبة منها في مسايرة الجماهير التي ترغب الانضمام الى الحركات السياسية ، فتلتف حولها جماهير من الرجال الضعيفي النفوس التي لا تقوى على الكفاح . ولا تلبث ان تنادي بالتعاون الايجابي مع المؤسسات القائمة طمعا بالحصول على نصيب بسيط من الغنيمة ، فيقف كفاحها عند هذا الحد . اما المذهب الفلسفي فيرفض التعاون مع مذهب آخر ، لانه يعتبر نفسه ملزما بمحاربة كل المذاهب القائمة حتى يتمكن من ازالتها جميعا !

ولكسب النصر النهائي يجب على الحزب ان يوجد قيادة عليا حكيمة بعيدة النظر ، ورجالا تسيرهم العاطفة ويخضعون لهذه القيادة خضوعا أعمى . فالسرية التي تضم مئتي رجل كلهم أذكياء واكفاء هي اصعب قيادة سرية التي تضم مئة وتسعين رجلا عاديا وعشرة رجال أذكياء يمسكون زمام القيادة . أما الحزب الاشتراكي الديمقراطي فقد ادرك هذه الحقيقة وعمل على ضوئها . فقد بسط هذا الحزب سيطرته على ممثلي الطبقات الشعبية المسرحين من الجيش الذي دربهم على النظام والطاعة ، فأخذهم الحزب واخضعهم لنظام لا يقل قوة والضباط عن الجيش فاصبح العامل الالماني جنديا في الحزب ، كما رجل الفكر اليهودي ضابطا او قائدا .

بينما كان البورجوازيون يتشدقون بأن انصارهم يؤلفون نخبة المتعلمين؛ ويعيرون الماركسية بأنها تضم الجماهير الجاهلة ، كان العقلاء من المواطنين يردون نجاح الماركسية الى هذا العامل بالذات . اذ ان الاحزاب البورجوازية ضمت جماعات من أهل الفكر والوجاهة لا يتقيدون بنظام او يعترفون بالانضباط . اما الاحزاب الماركسية فقد ضمت قوة من المناضلين الانضباطيين كانت تطيع قادتها اليهود طاعة عمياء .

انطلاقا من فكرة الاعتماد على الجماهير المكافحة التي لا تهاب الكفاح ، فقد عمدت الى استخلاص خمس وعشرين مبدأ من منهاج الحزب ووضعتها في

متناول ابناء الشعب . لان هذه المبادىء تعطي صورة واضحة عن احداث حركتنا كما تصلح في الوقت نفسه لتكون قانون ايمان للمنضوين تحت لوائها . وعلى الحزب ان يقدس هذه المبادىء وبالتالي عليه ان يمتنع عن تعديلها او تغييرها ما دامت حركتنا لم تبلغ بعد اهدافها الكاملة .

- ١٤ -

تأثير الكلمة

كان النجاح الذي لاقاه اجتماعنا في ٢٤ شباط ١٩٢٠ مشجعا لنا على عقد اجتماعات شعبية دورية ، وبعد ان كنا ننظم اجتماعا واحدا كل شهر اصبحنا ندعو الى الاجتماعات الحاشدة كل اسبوع . وقد فاق نجاح اجتماعاتنا الاسبوعية كل تقدير اذ اصبح عدد المستمعين كبيرا جدا . وقد تطرأ خطباؤنا الى القضايا التي تشغل الاذهان بعد ان وضحوا مبادىء الحزب ، وقد بدأوا بتعيين المسؤولين الحقيقيين عن الحرب ونتائجها مبرزين مساوىء معاهدة فرساي ، هاتين القضيتين اللتين انفرد حزبنا باثارتهما في ذلك الوقت ، لان مجرد البحث فيهما كان يعتبر خيانة للجمهورية وتعلقا بالرجعية والملكية . فكانت اللذين ضللتهم الماركسية يتصايحون حين يسمعوا احدنا يتعرض لمعاهدة فرساي فيقاطعوه قائلين : « ومعاهدة برست ليتوفسك » . وقد صادفتنا صعوبات كبيرة في بادىء الامر حين حاولنا افهام الجمهور بان معاهدة فرساي قد الحقت العار بالمانيا . وقد ترتب علينا ازاء موقف الجمهور المتصلب اما ان نتوقف عن الحملة مراعاة لهم او نستمر بها ولو كلفنا هذا ابتعاد الشعب عن حزبنا .

كانت مصارحة الشعب بالحقائق في ذلك الوقت مغامرة كبرى . فالحزب الذي يقاوم التيار يغامر بشعبيته . وقد رأينا البورجوازية تتجنب مقاومة الاكثرية مفضلة ان تتركهم في ضلالهم .. اما نحن فقد زادنا عناد الجمهور تصلبا ورغبة في الكفاح ، ومضينا في طريقنا هادفين ازالةالاوهام العالقة في اذهان الشعب عن معاهدات الصلح وخاصة معاهدة فرساي . وكنا على أتم التأكيد ان شعبنا سيدرك الحقائق وسيستحيل بغضه لنا حبا فيولي حركتنا ثقته ولا يبخل عليها بالتشجيع .

كانت مهمتنا صعبة جدا ، فقد كنا نعلم اننا نتوجه الى اناس تشبعت عقولهم بافكار وآراء مناقضة لارائنا . وكان علي ان اقف امام الجماهير والقي بهم خطابا لمدة ساعة او ساعتين محاولا نسف الاسس التي قامت عليها افكارهم ومن ثم احاول اقناعهم بصحة مبادئنا وادعوهم الى اعتناقها .

لقد دخلنا المعركة ونحن مصممين على كشف الحقائق المجـــردة . وأدركت من خلال الاجتماعات الاولى انه يجب علينا ان نبادر الى انتـزاع السلاح من يد خصمنا . فقد لاحظت ان اعتراضات الماركسيين تكاد تكون نفسها في كل اجتماع ، فصرت افند هذه الاعتراضات المحتمل سوقها قبل ان أبـدأ بعرض الموضوع ، وبذلك قطعت الطريق امام المشاغبين الذيـــن حفظـوا الدور الذي لقنه لهم اسيادهم اليهود . وبفضل هذه الطريقـــة استطعت ان اكسب تأييد بعض اصحاب النيات الحسنة .

وانسجاما مع هذه الخطة بدات اشرح احكام معاهدة برست ليتوفسك في معرض حملتي على معاهدة فرساي ، لانني اكتشفت ان الناقمين على المعاهدة الاولى لا يعرفون عنها شيئا ، فقد ادخلت الدعاية الماركسية فـي عقولهم ان المانيا فرضت تلك المعاهدة على الشعب الروسي لذلك كانـــت معاهدة فرساي كرد فعل لما ارتكبه الالمان بحق الروس . لقد كان عـلي ان أدحض المزاعم الماركسية باجراء مقارنة بين المعاهدتين ، وقد وقفت الـــى عرض مساوىء معاهدة فرساي ومحاسن معاهدة برست ليتوفسك ، فـي محاضرة القيتها واستغرقت ساعتين . ومن ثم القيت عدة محاضرات فـي هــذا الموضوع ضاربا على الوتر نفسه وكانت مكافأتي هي تحرير الـــوف المواطنين من الاوهام التي ادخلت الدعايات الماركسية في رؤوسهم .

ونتيجة لهذه الاجتماعات ملكت ناصية الكلام واتقنت فن الخطابـــة واذكاء حماس الجماهير . ولم نكتف بالخطب كوسيلة لتنوير الشعب ، بل عمدنا الى اصدار النشرات واذاعة البيانات التي ضمناها راي الحزب في معاهدة فرساي وفي العوامل التي ادت الى نشوب الحرب . لكن مجهودنا الاكبر كان مركزا على الخطب والمحاضرات اقتناعا منا بأن الكلمة هي التـي تثير حماسة الجمهور وتترك في نفسه اكبر الاثر .

منذ اسابيع اثيرت هذه المسألة في الصحف المحلية، فسخرت صحف البورجوازيين من الراي بان الكلمة لها التأثير الكبير . ولم استغرب هــذا الموقف من جانب طبقة تعيش في برجها العاجي وتحاول ان تتصل بالجمهور بواسطة اقلام مفكريها البعيدين عن عامة الشعب بعد الارض عن السماء .

لا تعلم البورجوازية ان الخطيب يكيف كلماته حسبما يقراه على وجوه مستمعيه ، ولكن الكاتب يدفع الى جمهور لا يعرفه بكتابات ربما تصـــادف هوى لدى القراء او ربما لا تكون منسجمة مع اراء قرائه فيعزفون عنهـــا . ولا ننسى ان ابناء الشعب ينفرون بطبيعتهم من قراءة ما لا يتفق وارائهم او مع ما كانوا يتوقعونه . اما اذا أراد الكاتب ان يستدرج الشعب الى الوقوف على رايه المكتوب فعليه باعتماد النشرات والبيانات القصيرة كوسيلة لنشر رايه ، لان الجمهور يقرأ ما يقدمه له بهذه الطريقة بدافع الفضول لا اكثر .

وما يمكن كتابته في البيانات ينطبق على الصور والاشرطة التي تعطي فكرة سريعة عن الموضوع بوضوح نسبي . والكاتب يتمكن من التلاعب بعواطف الجمهور كالخطيب اذا هو استعمل اسلوبا جذابا وصاغ الفاظه بطريقة مفهومة لدى الطبقات الشعبية . لكن اختبار تأثير الاسلوب الكتابي يستغرق وقتا طويلا وجهودا متواصلة اما الخطيب فانه يطالع في وجوه المستمعين مدى تأثير كلماته ، فيقرأ في هذه الوجوه ما اذا كان المستمعون يفهمونه بوضوح ، واذا كانوا يتتبعون باهتمام ما يبسطه لهم باسهاب ، والى اي حد نجح في اقناعهم بوجهة نظره . واذا لاحظ انهم لم يفهموه اعتمد طريقة اخرى بحيث يتقرب من مفهومهم العقلي قدر المستطاع ، واذا قرأ في وجوه البعض ان اراءه لم تقنعهم عمد الى دحض الاعتراضات التي يفترض وجودها في خواطرهم . ثم يكرر الادلة والامثلة الحية الى ان يرى من الامارات المرتسمة على وجوههم انهم بداوا يقتنعون .

ومن المعلوم ان المطلوب اقناعهم هم في اغلبيتهم من المواطنين الذين ذهبوا ضحية الدعايات الخبيثة ، فصاروا يتصرفون بدافع عاطفة وهمية لا بدافع التفكير والاقتناع .

في المانيا صحف بورجوازية يوزع منها يوميا ملايين من النسخ، ولكن هذا الانتشار الكبير لم يمنع الشعب من الالتفاف حول الحركات المضادة للبورجوازية . اما السبب في ذلك اما ان يكون نتاج المفكرين وحملة الاقلام البورجوازيين عقيما لا يحمل جديدا الى الناس ، واما ان تكون الكلمة المكتوبة مقصرة عن النفاذ الى قلوب الناس .

زعمت احدى الصحف في برلين ان الادب الماركسي ومؤلفات كارل ماركس فعلت في الشعب فعل السحر ... فما ابعد هذا القول عن الحقيقة ، فان ما استحوذ على عقول عامة الشعب هو كثرة الدعايات الشفوية التي عرف الماركسيون كيف يوجهونها . ولم يكن لمؤلفات كارل ماركس او غيره من اليهود التي تدس السم في الدسم اي شأن في هذه الناحية . ولن تجد مئة عامل من اصل مئة الف تصفحوا كتاب كارل ماركس . فكتاب ماركس لم يكتب ليكون في متناول عامة الشعب ، بل كتب ليكون دستورا للحركة اليهودية العاملة على اخضاع العالم لسيطرة « الشعب المختار » ، وتولت الصحافة مهمة الدعاية للمبادىء التي تضمنها التطبع الماركسية بطابع اجتماعي انسائي يبهر الطبقات المحرومة .

ان نجاح الماركسية في اجتذاب ملايين العمال مرده الى الدعايات الطويلة التي يقوم بها آلاف المحرضين . وقد حرص الدعاة من مفكرين وخطباء على معايشة عامة الشعب للوقوف على احوالهم والتعرف الى مشاكلهم ، بالاضافة الى مواكب التظاهرات التي كان يمشي فيها عشرات

الالـوف من الصعاليك تدفعهم الرغبة باظهار تضامنهم وافهام الملا انهـم يؤلفون قوة هائلة تستطيع فرض سيطرتها واخضاع العالـم البورجوازي لمشيئة البروليتاريا . . . هذه المظاهر هي التي خدمت الماركسية وجذبت الى صفوفها السـواد الاكبر من الشعب .

وقد احسن الماركسيون في اختيار الدعايات المكتوبة ، فكانت تبدو صحافتهم كأنها ناطقة اكثر منها مطبوعة . فبينما كان الاساتذة والكتـاب والادباء في الاحزاب البورجوازية يلجأون احيانا الى الكلام ، نجد في الحزب الماركسي ان الخطباء يلجأون احيانا الى الكتابة ، يساعدهم في ذلك اليهود الذين يتولون الدعاية المكتوبة لحساب الماركسية ، فاليهودي بارع في كتابة الاكاذيب المضللة ، فكان يبدو خطيبا اكثر منه كاتبا . فلا عجب اذن ان تظل الصحافة البورجوازية مقصرة عن بلوغ مستوى الصحافة الماركسية فـي حقل الاقناع واستمالة الجماهير الى ارائها .

وقد استخرجت من الاجتماعات الحاشدة التي كنت خطيبها الرئيسي امثولة سبقني الماركسيون الى استخراجها . فقد تعلمت ان محاضرة فـي موضوع معين يلقيها المحاضر ليلا يكون لها وقع اشد مما لو القاها في النهار .

اذكر اننا دعونا الى اجتماع شعبي في ميونيخ ، وقررنا الاجتماع في الساعة العاشرة من صباح الاحد . وكان الاقبال عظيما لان اليوم كان يـوم احد ولان موضوع خطابي كان « اضطهاد الالمان في المناطق المحتلـة » . وبالرغم من ان الاقبال كان شديدا ، فقد ظل المستمعون محتفظون بوقارهم فلا تحركت ايديهم بالتصفيق ولا بطلب الاستيضاح او حتى الاعتـراض . واحزنني ان يقابل خطابي بهذه اللامبالاة . فكررت الاجتماعات النهارية ، لكن النتيجة كانت فيها جميعا مخيبة للآمال .

واخيرا غيرنا المواعيد ، والقيت خطابا في اول اجتماع ليلي ، ففعلت كلماتي في نفوس المستمعين فعل النار في الهشيم ، وطالعت في وجوههم اني سحرت منهم الالباب وقد حيرني هذا الانقلاب المفاجيء ، فالجمهور لم يتغير وكذلك الخطيب وموضوع الخطاب . ولكن ما لبثت ان ادركت سـر هذه الظاهرة عندما نصحني احد الاصدقاء بمشاهدة تمثيلية « الشعـب المتحرر » وقال انه شاهد المسرحية مرتين وان انطباعاته كانت في المـرة الثانية غيرها في المرة الاولى ، واعرب عن اعتقاده ان المشهد التمثيلي فـي الليل يترك في النفس اثرا اعمق من الاثر الذي يتركه في النهار .

وهنا تذكرت قول استاذي «البرخت» : ان قوى الارادة عند الانسان تقاوم في النهار كل محاولة تحاول اخضاعها لارادة اخرى . فاذا استهدفتها المحاولة نفسها ليلا فلا تلبث أن تخضع للسيطرة . ذلك ان قـوة الارادة تضعف في اخر النهار . واننا نلاحظ ان الكنيسة الكاثوليكية تصطنـع

الظلال في المعابد لتسبغ عليها جوا من الرهبة والجلال ، هذا الجو يجعل المؤمنين في حالة نفسية يسهل معها على الواعظ ان يتلاعب بقلوبهم وعواطفهم .

حضرت ذات يوم اجتماعا في ميونيخ ، وكان الحزب الذي دعا اليه قد جعل الدخول مباحا . وكان الخطيب استاذا في احدى الجامعات وجلس حول المنصة ثلاثة رجال باللباس الاسود ، عرفت فيما بعد انهم يؤلفون اللجنة التنفيذية .

كان الخطاب مكتوبا ، فبدأ الاستاذ يقرأه متمهلا ، وما هي الا عشرون دقيقة حتى شعرت بالتململ بين الحضور فكثر المتثائبون ، وبدأ التسلل من القاعة ، وكان يجلس بقربي ثلاثة رجال من العمال ، فرأيتهم يتغامزون ويتبادلون الابتسامات الساخرة ، وما لبثوا ان غادروا القاعة . وعندما انتهى الخطيب من القاء خطابه ، وقف احد الثلاثة من اللجنة التنفيذية فشكره باسم الحاضرين وقال ان المحاضرة تعد حدثا داخليا خطيرا ، لهذا فهو يدعو الحاضرين الى انشاد النشيد الوطني الالماني . فوقفوا وانشدوا النشيد ، وما ان انتهوا حتى تدافعوا نحو الباب يتنفسوا الصعداء في الهواء الطلق ويطردوا السأم الذي استحوذ عليهم . . .

شكرت الله لان هذا لم يكن جو اجتماعاتنا نحن ، فقد كنا نحرص ان تكون خطاباتنا ومحاضراتنا ، حافلة بما يثير العواطف ويهز المشاعر ويستفز الخصوم للدخول معنا في مناقشات طويلة . . . فقد كان الحزب الشيوعي يرسل العشرات من المشاغبين ليشوشوا ويصفروا اثناء الخطابات ، كما يستفزونا الى العراك كي يتدخل البوليس وينهي الاجتماع ويعطله لبعض الوقت .

وكان العديد من الماركسيين يحضرون اجتماعاتنا وهم يعتقدونها اجتماعات شيوعية ، لاننا اخترنا للافتاتنا اللون الاحمر . وقد ذهل البورجوازيون لاختيارنا اللون الاحمر ، فزعموا اننا ماركسيون مموهون وان اشتراكيتنا زائفة . اما سبب اختيارنا هذا اللون فكان لاستفزاز اليساريين المتطرفين واستدراجهم الى حضور اجتماعاتنا ولو للتشويش والمشاغبة ، لان هذه كانت افضل طريقة لنشر مبادئنا بين صفوفهم .

وقع الماركسيون في الشرك الذي نصبناه لهم ، فاقبل العمال على حضور اجتماعاتنا ، لكن رؤساءهم ، بعد ان اكتشفوا اللعبة ، حرموا عليهم حضورها ولكن بعضهم لم يتقيد بأمر رؤساءهم فداوم على الحضور وتنكر لتعاليم كارل ماركس واستجلب معه من امكنه اقناعه . عند ذلك قرر الرؤساء ارسال اعوانهم الحمر ، فصار العمال يحتلون القاعات التي تعقد فيها اجتماعاتنا قبل الموعد بنصف ساعة . وكانت نيتهم دخول القاعة

ومقاطعة الخطباء وتحطيم المقاعد ، الا انهم كانوا يخرجون وقد بدأوا يشكون في صحة العقيدة الماركسية ..

خيبت هذه النتائج آمال الرؤساء ؛ لان مبادىء حزبنا زعزعت ايمان العمال بالماركسية ، فعاد الرؤساء الى منع العمال من الحضور تحت عقوبة الطرد . فحرك هذا المنع فضول الذين وقفوا من حركتنا موقف اللامبالاة ؛ فصاروا يغشون القاعات سرا ولا يأتون بأي حركة اعتراض او تشويش خوفا من افتضاح امرهم . وقد أتاح سكوتهم هذا للخطباء فرصة عرض مبادىء الحزب في جو هادىء ، وبذلك حرروا العديد من الالمان من اوهام نسجتها حولها اليهودية العالمية بدقة واحكام .

اما الصحافة الحمراء فقد وقفت موقف المتجاهل لحركتنا في بادىء الامر ، ولكن وبعد اشتداد ساعد الحركة عمدت الى مهاجمتنا على صفحاتها الاولى ولكن الحملات اعطت نتائج عكسية لهم فقد لفتت الانظار الينا بشكل لم نكن نتوقعه نحن ، فما كان من الصحافة الحمراء الا ان خففت من لهجتها واجتهدت في الحط من شأن الحركة بادعائها ان الحركة سخيفة لا تقوم على اساس علمي . ولكن « سخافة » حركتنا لم تمنع الصحف الماركسية من الاستمرار في مهاجمتنا مما اثار فضول الناس وحملهم على التساؤل عن السبب في هذه الحملات ما دامت حركة الوطنيين الاشتراكيين سخيفة لا ترتكز على اساس علمي .. وادرك الماركسيون هذا الخطأ فغيروا من اسلوبهم واعتمدوا الطريقة اليهودية التي تجعل من الخصم هدفا لحملة من الافتراءات لا تنتهي . فزعموا اننا منظمة ارهابية وان زعماء الحزب يغذون الحقد والبغضاء في الصدور .. ولكن رغما عن ذلك لم يتحول الناس عنا ولم تؤثر ادعاءاتهم في نمو حركتنا وانتشارها . وبذلك نكون قد سخرنا اعداءنا انفسهم للدعاية لنا .

وجدير بالذكر ان خصومنا عجزوا عن تعطيل اجتماعاتنا وذلك بفضل دوائر استخباراتنا التي انشأناها ، فقد كنا نعلم بخططهم في الوقت المناسب فنتخذ التدابير اللازمة لافساد تلك الخطط . وقد كنا نحمي اجتماعتنا بطرقنا الخاصة ، لان الاستعانة بالبوليس كانت تعطي نتائج عكسية ، اذ تعمد السلطات الى فض الاجتماع حين تصلهم اخبار التصادم ، وهذا ما كان يريده خصومنا بالذات فقد جرى البوليس على خطة تتنافى مع ابسط قواعد الحرية ، فحين تصله الاخبار بأن جماعة من المشاغبين تنوي تعطيل احد الاجتماعات ، يعمد البوليس الى منع هذا الاجتماع المنوي الاعتداء عليه بدلا من ان يتخذ التدابير اللازمة لحماية المجتمعين ومعاقبة المشاغبين والمحرضين . وبفضل هذه الطريقة الفذة اصبح في امكان اي شقي ان يشل نشاط الرجل الشريف في الميدان السياسي ، او ان يفرض

عليه رأيا معينا . فاذا لجأ هذا الرجل الى البوليس طالبا تدخله ، عمد الى الموافقة لمشيئة الشقي باسم النظام والامن . وبنصح الرجل بأن يتجنب مظاهر التحدي والاستفزاز .

وهكذا وجدنا السلطة في كل مرة يهدد النقابيون بتعطيل اجتماعاتنا تبادر الى منعنا من عقد الاجتماع بدلا من ان تمنعهؤلاء وتلاحقهم قضائيا . فتأكد لدينا ان السلطة لن تحمي نشاطنا الحزبي ، لذلك وجب علينا انتحمي انفسنا بأنفسنا . وكان تجاهل السلطة حمايتنا من حسن حظنا ، لان كل اجتماع يحميه البوليس يظهر تجاه الشعب بمظهر ضعيف ، فالقوة وحدها هي التي تنال اعجاب الجمهور وتبهره . لذلك قررنا الدفاع عن كيان حزبنا بالقوة وسحق ارهاب خصومه بوسائلنا الخاصة ، وقد تم لنا ذلك بفضل ادارتنا الحازمة وشجاعة رجالنا الذين عهدنا اليهم الحفاظ على النظام .

لا انكر اننا وقبل ان نخطط أنظمةالاجتماعات وحمايتها ، راقبنانشاط البورجوازيين والماركسيين في هذا المضمار واخذنا منهم دروسا وعبر . فهم يتحلون بروح نظامية ممتازة ، ويقوم الرجال بتنفيذ تعليمات رؤسائهم بدقة . لذلك لم يكن تعطيل اجتماعات اليساريين موضع بحث في الاوساط البورجوازية . في حين كان تعطيل اجتماعات البورجوازيين الشغل الشاغل للحمر . فقد استطاعوا اقناع النقابيين ان كل اجتماع غير ماركسي هو ضد البروليتاريا وكانت الصحف الماركسية تناشد السلطات منع الاجتماع خوفا من الاصطدامات الدامية ، فاذا كانت السلطات ضعيفة تبادر فورا الى الغاء الاجتماعات حفاظا على الامن والنظام . اما اذا كان الحاكم المانيا حقيقيا لا يتأثر بأقوال الصحف ، عندئذ تتوجه الصحافة الى العمال انفسهم مناشدة اياهم تعطيل اجتماعات « اعداء الشعب الرجعيين » .

لقد كان موقف البورجوازيين ضعيفا تجاه الحمر ! فقد كانوا يلغون اكثر اجتماعاتهمخوفا من اعتداء العمال . واذا عقدوا اجتماعاافتتحهالرئيس بكلمة موجهة الى « السادةالمعارضين ، مؤكدا لهم ان الحزبيرحببحضورهم ويسعده ان يرى بين المستمعين مواطنين لا يشاطرونه رأيه . ثم يرجوهم الا يقاطعوا الخطباء « فالمحاضرة قصيرة وليس بها ما يجوز اعتباره اهانة لخصومنا او اقلالا من شأن حركتهم السياسية واهدافهم الوطنية » . لكن الحمر قلما كانوا يتأثرون بهذه الكلمات ، فما ان يبدأ الخطيب حتى تبدأ المقاطعات ويعلو الصياح والصفير والشتائم ، فيضطر الخطيب الى النزول عن المنبر ويسود القاعة الهرج ويتسابق البورجوازيون الى الانسحاب طلبا للنجاة .

لذلك وجد الحمر انفسهم وهم يحتكون بنا ، انهم امام حزب قوي

يعرف كيف ينظم اجتماعاته ويحميها . فقد حرصنا منذ اللحظة الاولى على افهام الحضور اننا لن نسمح لاي كان ان يقاطع الخطباء او يشوش عليهم ، وان بوليس الحزب يقوم بحفظ النظام ولن يتردد في اخراج المشاغبين بعد ان يؤديهم .

لقد كان لنا بوليس مدرب على قمع اعمال الشغب ، اما الاحزاب البورجوازية فقد كانت تعهد بمهمة حماية الاجتماعات الى رجال ضعاف قاربوا عتبة الشيخوخة ، آملين ان يحترم المشاغبون شيبتهم ويتهيبوا وقارهم . وقد فاتهم ان الحمر لا يقيمون وزنا لهذه الاعتبارات .

لقد جندنا « بوليس الاجتماعات » من الرجال الاشاوس والجنود المسرحين ، وقد اخترتهم من الشباب المفتولي السواعد ، وحرصت على افهامهم قبل ان يقسموا اليمين ان القضية التي تجندوا للدفاع عنها هي قضية نبيلة تستحق اغلى التضحيات ، وان الارهاب لا يسحقه الا الارهاب. وان فكرتنا لن تنتشر ما لم تدعمها القوة وتوفر لها الحماية اللازمة ، وان ربة السلم لا تقوى على الظهور ما لم يأخذ بيدها اله الحرب .. ولن انسى ما حييت كيف كان رجال الحرس ينقضون على خصومهم ، غير حافلين بالاخطار وبالتفوق العددي لخصومهم . فقد كانت مهمتهم حماية الحركة وازالة كل عقبة تعترضها .

❋

في ربيع ١٩٢١ توسعت دائرة نشاطنا ، فاصبح علينا ان نعزز الحرس بعناصر جديدة . وقد اضطرنا تنظيم الوحدات النظامية الى خلق شارة او راية للحزب . وما ان قررنا ان يكون للحزب راية خاصة ترمز لرسالته ، حتى انهالت علينا التصاميم والاقتراحات . فدرسناها ولم نأخذ بها الى ان عرض علينا طبيب اسنان مشروعا لا بأس به لكن الالوان التي اخرجها كانت متنافرة ، فوفقت انا بين الالوان وقدمت للرفاق المؤسسين راية الحزب : دائرة بيضاء في قماشة حمراء ، وفي وسط الدائرة صليب معقوف باللون الاسود . فتبنى الرفاق رمز الحركة الوطنية الاشتراكية واختاروا في نفس الوقت شكل الشارة المعدنية ولون ربطة الذراع التي ستوضع على اذرع رجال الحرس .

لقد كانت الراية حقا رمزا لحركتنا واهدافها السامية ، فاللون الاحمر يرمز الى الناحية الاجتماعية من الحركة ، واللون الابيض الى الفكرة القومية والصليب المعقوف يرمز الى النضال المرير في سبيل انتصار الآري وانتصار فكرة العمل المنتج . وفي عام ١٩٢٢ عندما جعلنا من الحرس نواة وحدة مقاتلة اخترنا للوحدة علما خاصا بها .

بعد اتساع حركتنا ضاعفنا عدد الاجتماعات فاصبحنا نعقد ثلاثة

اجتماعات اسبوعيا وذلك في اكبر قاعات ميونيخ ، وكان البوليس يتدخل كل مرة لمنع الازدحام واقفال الابواب وارجاع الناس .

وفي شتاء ١٩٢١ وجدت المانيا نفسها امام معضلة جديدة ، فقد انذرتها لندن وباريس بوجوب دفع مئة مليار مارك ذهبا عملا باحكام الاتفاقات المعقودة . وفي ٢١ كانون الثاني من العام نفسه اجتمعت الاحزاب المسماة «عنصرية» وقررت القيام بتظاهرة مشتركة في ميونيخ احتجاجا على الحلفاء ، كما دعي حزبنا لارسال مندوبين عنه لحضور اجتماعات اللجنة التنظيمية . وقد قررت اللجنة ان تبدأ التظاهرة من ميدان « كونسيغ » ولكنها عدلت عن رأيها ، وبعد ثمان واربعين ساعة عدلت عن فكرة التظاهرة وقررت عقد اجتماع كبير في قاعة كنو كيلز . وطال تردد اللجنة ، فطلبت منها باعتباري مندوبا عن الحزب ، اتخاذ قرار نهائي قبل اول شباط ، فاستمهلوني وفي اليوم المحدد شعرت مجددا بترددهم ، فانسحبت ورفاقي من الاجتماع بعد ان صرخت بهم باننا سننظم الاجتماع وحدنا ..

وظهرت النشرات ظهر الاربعاء ٢ شباط ١٩٢١ تدعو الشعب الى حضور اجتماع في ملعب كرون مساء ٣ شباط . وكانت هذه البادرة خطرة جدا ، اذ ان الملعب كان كبيرا واسع الارجاء ، وربما لا تنجح باجتذاب العدد اللازم لملئه ، كما ان الحرس في ميونيخ ليسوا من الكثرة بحيث يتمكنوا من المحافظة على النظام في مكان كبير كملعب كرون .

وفي صباح يوم الاجتماع هبت رياح شديدة وهطلت الامطار ، فساد التشاؤم دوائر الحزب لان الناس لن تتمكن من الحضور في ذلك اليوم العاصف . لكن الجو مال الى الصحو قليلا بعد الظهر ، فاقترحت تسيير شاحنتين تجوب شوارع ميونيخ ، وهي مزدانة بالاعلام الحمراء يتوسطها الصليب المعقوف وعليها عشرون رجلا وفتاة من انصار الحزب يوزعون النشرات ويدعون الناس الى الاجتماع ... فشاهد السكان لاول مرة ، سيارتين كبيرتين ترفرف عليهما الاعلام دون ان يكون ركابهما ماركسيين ووقف البورجوازيون يرقبون هذا المشهد مذهولين ، اما الحمر فقد استبد بهم الغضب لهذا التحدي السافر .

ما ان ازفت الساعة السابعة مساء حتى غصت القاعة الرئيسية بالحضور ، وبدأت القاعات الاخرى تستقبل الوافدين . ولما وصلت الى الملعب في الساعة الثامنة وجدت جمهورا غفيرا يقف في الساحة الخارجية لان المكان ضاق بالوافدين مما اضطر الحرس الى منع المئات من الدخول ، وقال لي احد معاوني ان شباك التذاكر باع خمسة الاف وخمسماية بطاقة ، وان اكثر من الف عاطل عن العمل دخلوا مجانا ، فاصبح عدد الحاضرين ستة الاف وخمسماية شخص .

كان موضوع المحاضرة «يجب ان نبني الغد او لن تواري» وقد استغرقت محاضرتي هذه ساعتين ونصف . وقد شعرت منذ اللحظة الاولى بالتقارب بيني وبين المستمعين ، وقد حاول البعض مقاطعتي في اوائل المحاضرة ، ولكن ما انقضى عشرون دقيقة حتى كانت ثلاثة عشر الف كف تقاطعني بالتصفيق وتتلقف كل كلمة الفظها بلهفة وايمان .

دام نجاح الاجتماع حديث ميونيخ لمدة اسبوع كامل . ونشرت الصحف المستقلة صورا ناطقة لهذا النجاح ، اما الصحف البورجوازية فقد اشارت اليه اشارة عابرة وقصدت اغفال ذكر اسم الخطيب !.. وحرصا مني على الافادة من هذا النجاح . فقد نظمت اجتماعا اخرا في الاسبوع التالي في الملعب نفسه ، فحضره سبعة الاف وقفت منه خمسمايــة في الساحة الخارجية . وقد تركنا الابواب مفتوحة ليتسنى لهم سماع المحاضرات . وقد شجعني النجاح على زيادة الاجتماعات . فازداد بالتالي عدد الانصار والمؤيدين .

لم يقف خصومنا مكتوفي الايدي حيال هذا النجاح الساحق فقرروا ارهابنا بشكل نعجز فيه عن عقد الاجتماعات .

وقد مهد الخصوم لهذه الخطة الارهابية بحادث افتعلوه وحاولوا ان يلقوا بمسؤوليته علينا ففي احدى الامسيات اطلق « مجهول » النار على النائب الاشتراكي « ارهارد اوير » ولكن الرصاص لم يصبه وهرب المعتدون. وصدرت الصحف الماركسية واليهودية في اليوم التالي تحمل علينا بشكل سافر وتطلب وضع حد لما دعته « نشاط العصابة الارهابية التي عاثت فسادا في ميونيخ » وقد اتهمت حزبنا بالحادث . ومما ذكرته الجريدة الناطقة بلسان الحزب الاشتراكي البافاري ، ان تدابير حازمة ستتخذ قبل ان تناطح الاشجار السماء ، وان معاول العمال ستهوي على هذه الاشجار وتلقي بها على الارض .

وبعد ايام قام خصومنا بمحاولتهم ، ولكن الاشجار العالية الشامخة لم تقع ارضا .

ففي ٢ تشرين الثاني ١٩٢١ دعونا الى اجتماع يعقد مساء ٤ منه في قاعة « هوفبروهوس » . وعلمنا قبل نصف ساعة من الموعد ان الحمر مصممون على تعطيل الاجتماع وانهم جهزوا له مئات العمال . فلم نتمكن من اتخاذ الاحتياطات اللازمة لضيق الوقت ، لذلك اكتفينا بسواعد ستين رجلا من رجال الحرس . ولما وصلت اخبرني رئيس الحرس ان القاعة ملاى بالمشاغبين ولم يتمكن رجالنا من الدخول وبقي معظمهم خارج القاعة . فسارعت الى جمع الحرس وزودتهم بالتعليمات اللازمة ، وصارحتهم بأن الوضع خطير وانه ربما سقط منهم بعض القتلى . لكني قرات في عيونهم ما

اشاع الطمأنينة في نفسي ، وعندما دخلت القاعة الكبرى وجدتها غاصة بالناس ، وقد استقبلني الذين عرفوني بالشتائم والتهديدات من نوع « سنصفي حسابكم اليوم » و « سنضع حدا لثرثرتكم وسنريح المانيا منكم » . . .

وقفت وراء الطاولة التي توسطة القاعة لالقي محاضرتي على جمهور من المستمعين يحتسي الجعة وبحالة عصبية ظاهرة .

تكلمت ساعة كاملة غير آبه للصياح والشغب ، وخيل الي اني اصبحت سيد الموقف فانتهرت احد المشاغبين الحمر ، وكانت هذه هي الغلطة الفادحة، فقد استغل الحمر هذا الحادث البسيط لينفذوا خطتهم المرسومة، فوقف رجل طويل القامة وهتف ثلاث مرات للحرية ، فردد «انصار الحرية» الهتاف وقلبوا الطاولات وعمدوا الى الزجاجات الفارغة يرشقون بها انصارنا، فتعالى الصراخ واختلط الحابل بالنابل . ولم اغادر انا مكاني بل رحت اراقب رجال الحرس وانا مطمئن الى النتيجة . فرايتهم يهجمون على الخصوم وفي مقدمتهم (موريس) امين سري الخاص و « هيس » الذي تولى قيادة الهجوم. وما هي الا دقائق حتى كانت جموع الحمر تتراكض مندفعة الى الابواب منهزمة امام أبطالنا الشجعان ، وبقي محصورا حوالي خمسين ماركسيا ، فهجم عليهم رجالنا محاولين اخراجهم بالقوة ، وفجاة دوى انفجار هائل سقط على اثره خمسة من رجال الحرس . فالهب هذا الحادث شعور انصارنا حتى النساء والشيوخ فهرعوا لنجدة الحرس وهجموا على المشاغبين وتمكنوا من اخراجهم وتطهير القاعة بعد إن سقط تسعة جرحى من صفوفنا يقابلهم ثلاثة وعشرون من الحمر .

وبينما كان الرفاق ينقلون الجرحى ، وقف هرمان ايسر رئيس الاجتماع واعلن استئناف الجلسة ودعاني الى القاء محاضرتي ، ففعلت وتركت مكاني بعد ذلك لاقف في الصف الامامي لاشارك في الاناشيد القومية التي اعتدنا ان نختم بها اجتماعاتنا ، فاقترب مني امين السر وهمس في اذني ان قوة كبيرة من البوليس قد وصلت . ودخل ضابط البوليس في هذه اللحظة واعلن بصوت جهوري انه يفض الاجتماع بأمر السلطة .

*

القوي قوي بنفسه

ذكرت في الفصل السابق الى قيام تعاون او شبه ذلك بين الاحزاب « المنصرية » في ميونيخ ، بحيث تقوم هذه الاحزاب بمجهود مشترك في سبيل الهدف المشترك .

لا شك ان التعاون بين الاحزاب المتقاربة الاهداف امر مرغوب فيه . لكن يخطىء من يعتقد ان هذا التقارب يقوي على زيادة العمل الذي يرفع من شان كل منهما . فقد تعلم حزبنا ان الهدف يجب ان يصل اليه الحزب الذي كان السابق الى اختياره ، فاذا عجز عن تحقيق هذا الهدف جاز للاحزاب التي تعمل لنفس الهدف ان تعمل عوضا عنه علها تنجح حيث اخفق هو . اما اذا تغلب الحزب الاول على الصعاب ، فبقاء الاحزاب الاخرى منفصلة عنه يعتبر خيانة لهذه الفكرة واضعافا للحركة حتى لو قام تعاون وثيق بينهما .

وقد حاولنا نحن عام ١٩٢٢ ان نتعاون مع المنظمات « المنصرية » على اساس توحيد الخطط ما دام الهدف واحدا . ولكن سرعان ما ادركنا خطانا ، لان حلفاءنا ارادوا من هذا التعاون تقوية منظماتهم على حسابنا . فكانت النتيجة ان عمت الفوضى وانعدمت المسؤولية وقامت الانانية والمطامع الشخصية لتبعد الحركة الموحدة عن اهدافها السامية . عند ذلك طلبت من حزبنا ان يضع حدا لهذا التعاون المضر بحركتنا ، وكانت حجتي ان حركة قوية كحركتنا ستخسر من قوتها بتعاونها مع حركات اضعف منها . وبينت لهم مطامع زعماء المنظمات بانضمامهم الى حركتنا .

*

كانت قوة الدولة قبل عام ١٩١٨ تعتمد ثلاث دعائم : النظام الملكي والجيش وهيئة الموظفين الاداريين . وقد قوضت ثورة عام ١٩١٨ الدعامة الاولى ، وسرحت الجيش ، وافسدت الموظفين . وبذلك فقدت سلطة الدولة مقوماتها الاساسية .

ان الاساس الاول الذي ترتكز عليه السلطة هو الشعبية ، ولكن السلطة تبقى ضعيفة اذا كانت الشعبية مرتكزها الوحيد ، لان سلامتها واستقرارها يبقيان مضطربين . لذلك كانت القوة مرتكز السلطة الثاني ، ولكن القوة وحدها لا تضمن الاستقرار والسلامة . فاذا توفرت الشعبية والقوة امكنهما ان يولدا ما يدعى بالتقليد . ومن هذه المرتكزات الثلاث يمكن انبثاق سلطة قوية الاركان متينة .

لكن الثورة جعلت توفر المرتكزات الثلاثة مستحيلا ، فهي قد نزعت

التقليد من كل سلطة حين قضت على النظام الملكي ، كما لطخت سمعة الموظفين عندما سمحت للسياسيين ان يعينوا ويعزلوا وينقلوا من يشاؤون تدفعهم الى ذلك نزعاتهم ومصالحهم السياسية . كما ازالت الثورة معالم القوة حين سرحت الجيش ، رمز القوة ، ففقدت السلطة بذلك مرتكزها الثاني ، ولم يبق للثورة الا الشعبية ، وهذا المرتكز كان غير مستقر في بلد ضعضعته الهزيمة واطاحت الحرب بالتوازن الطبيعي الذي جعل من شعبنا مثلا للشعوب .

فالشعب الالماني ، ككل الشعوب ، يتألف من ثلاث فئات . فئة النخبة ذات الميول الوطنية المتطرفة ، وهي تتحلى بالترفع والاخلاص والشجاعة ونكران الذات . وفئة تضم حثالة البشر كالمقاوين والانانيين والخونة . وبين هاتين الفئتين نجد الفئة الثالثة المتوسطة التي تترفع عن ما يشين الفئة الثانية ، ولكنها لا تتمتع بفضائل الفئة الاولى . فاذا تقدم مجتمع بشري نحو الرقي كان بفضل الفئة الاولى ، واذا نما هذا المجتمع نموا طبيعيا في ظل الهدوء والنظام كان بفضل الفئة المتوسطة التي تميل بطبيعتها الى الاعتدال . اما حين يدرك المجتمع الانحلال وتنهار فيه القيم فهذا يرجع الى تسلط العناصر الفاسدة من الفئة الثانية .

وجدير بالذكر ان الفئة المتوسطة وهي الاغلبية الساحقة لا تتمكن من السيطرة الا حين يكون التنافس على اشده بين الفئتين المتطرفتين ، ولكن اذا انتصرت احداهما فسرعان ما تخضع الاغلبية للمنتصر ، ولكنها لا تؤيد المنتصر الشرير ولا تعارضه بنفس الوقت . لان هذه الفئة المتوسطة لا تتميز بروح النضال .

قلت ان الحرب اطاحت بالتوازن بين الفئات الثلاث ، فقد ضحت النخبة بدمائها وسقط الاف الشهداء من الفئة المتوسطة بينما بقي الاشرار يوفرون انفسهم للثورة ولطعن المانيا في ظهرها . كان المسؤولون يذيعون النداءات مناشدين المواطنين على التطوع لاداء مهمات معينة ، واستمرت النداءات طيلة اربع سنوات ونصف فكان يلبي النداء شبانا دون السابعة عشرة من عمرهم وشيوخا تجاوزوا الخمسين ، تدفعهم وطنيتهم الصادقة وشجاعتهم النادرة ، ليلقوا بانفسهم في جحيم النيران المشتعلة . .

فالذين سقطوا في معارك ١٩١٤ كانوا ابناء الفئتين الخيرة والمتوسطة ، فاختل التوازن لمصلحة الفئة الشريرة التي اتاح لها تراخي السلطات ان تبقى بمأمن من الخطر ، فما ان اصيبت جيوشنا بالنكسة حتى قامت هي بمهمة لغم الجبهة الداخلية بثورة جارفة لم تقف في طريقها اية عقبة لان البقية الباقية من العناصر الطيبة كانت اضعف من ان تقاومها .

فالقول بان ثورة شعبية قول عار عن الحقيقة . فالذين قاموا بالثورة

كانوا اعداء للشعب لانهم استغلوا الهزيمة ابشع استغلال بعد ان سببوا فيها .

لقد رحب جنودنا بانتهاء القتال ، ورحبوا بالعودة الى بيوتهم ، ولكنهم ظلوا غرباء عن الثورة ومسببيها ، لان المحرضين عليها ما اوحوا للجنود غير الحذر والحيطة ، ولان الحرب وويلاتها لم تنسهم الضرر والعبث اللذين يتميز بهما نشاط الاحزاب السياسية في البلاد . اما المواطنون القلائل اللذين رحبوا بالثورة فقد استبشروا بما ستؤتيه من جديد ولم يرحبوا بها هي . وعلى هذه القلة ارتكزت الثورة ، ولكن هذا المرتكز الشعبي كان من الضعف بحيث وجد الماركسيون انفسهم بعد أشهر من قيام الجمهورية ، مضطرين الى ايجاد مرتكز جديد لسلطتهم قبل أن تنظم الفئات الخيرية نفسها وتخرج البلاد من عهد الفوضى والفساد ...

كانت الجمهورية عام ١٩١٩ بعيدة عن الاستقرار . ولم يخف على « ابطال » الثورة ان المرتكز الشعبي لسلطتهم سينهار عند أول زوبعة من زوابع النقمة . لذلك راحوا يبحثون عن رجال يمكنهم حماية الجمهورية بقوة السلاح .

وجدت الجمهورية التي سرحت الجيش نفسها في اشد الحاجة الى جيش يدافع عنها . لكن مرتكزها الوحيد الذي هو شعبيتها كان يستمد اصوله من اوساط اجتماعية لا تؤمن بالمثل ولا ينتظر منها ان تضحي ولو بالقليل في سبيل مثالية جديدة . فالاوساط كانت تضم اللصوص والمحتالين والخونة والمغامرين ، اي فئة الاشرار التي لم تقم بالثورة جنوداً يدافعون عن الثورة . هذه الفئة التي جعلت همها الوحيد نهب الجمهورية التي قامت على انقاض الملكية .

اما أصوات الاستغاثة التي انبعثت من ممثلي الشعب فلم تسمعها تلك الفئة العابثة . لقد استغاث هؤلاء لانهم شعروا ان الشعب الالماني بدا يتململ ، وان هناك من يدعو الى قلب النظام القائم ووضع حد للسرقات والخيانات .

اما الذين لبوا النداء في شتاء ١٩١٩ ، واخرجوا بزاتهم المهترئة وحملوا بنادقهم من جديد ، فقد فعلوا ذلك بدافع الوطنية لا حرصا على الجمهورية . فقد كان الامن والنظام بحاجة الى من يحفظه ، وكان الوطن بحاجة الى من يرد عنه مؤامرات اعدائه الداخليين . فانتظموا في وحدات ارتجلت ارتجالا ، وعملوا مخلصين لدعم الجمهورية مع نفورهم من هذا النظام والذين اقاموه .

لقد أدرك منظم الثورة الفعلي ، اليهودية العالمية ، الموقف على حقيقته ، فالشعب الالماني لم يهبط الى مستوى الشعب الروسي ليتمكن

من جره لاوحال المستنقع البولشفي . ويمكن القول ان ضعف البولشفية في المانيا مرده الى وحدة العرق التي ربطت رجال الفكر الالمان بالعمال الالمان . وهذه ظاهرة اجتماعية موجودة في اغلب البلدان الاوروبية الغربية ولكن لا اثر لها في روسيا ، حيث يبقى المفكرون في برجهم العاجي لانهم غرباء عن قوميتهم الروسية . فهم لا يشعرون بقضايا الطبقة العاملة ولا يعانون مشاكلها . ولم يكن هناك من يقوم بربط الصلة بين المفكر والعامل ، علما ان مستوى الاغلبية الفكري والخلقي كان منخفضا قبل الحرب ، لذلك لم يجد المحرضون عناء في حمل الملايين من الجهلة والاميين على رفع الراية الحمراء وخدمة اغراض اسيادهم اليهود الذين موهوا دكتاتوريتهم حين زعموا انها دكتاتورية صعاليك .

اما ما حدث في المانيا فهو الآتي :

لم تنجح الثورة في المانيا الا بعد انحلال الجيش ، وان هذا لا يعني ان الجندي في الجبهة كان وراء تلك الثورة ووراء انحلال الجيش وتفككه . فالذين عملوا للثورة وبثوا روح التذمر في الجيش كانوا من الذين لم يذهبوا الى الجبهة ، اما لانهم اداريين لا يستغنى عن خدماتهم ، او لان السلطة انخدعت بهم واعتبرتهم اخصائيين في الشؤون الاقتصادية والمالية . يضاف الى هؤلاء الوف الفارين الجبناء الذين تمكنوا من الهرب بفضل تسامح القوانين .

ان الجبان يخاف الموت الذي يبرز امامه في ميدان المعركة باشكال مختلفة مرات عديدة كل يوم . ولكي نمنع الجنود الجبناء من الفرار ، يجب علينا افهامهم ان المرء يمكن أن يموت في الجبهة ، اما الجبان الفار فسيموت حتما حين يهرب .

ان اداء الواجب فضيلة كبرى لا يتحلى بها ، مع الاسف ، المواطنون كافة ، والمواطن المثالي هو الذي يؤدي واجبه من تلقاء نفسه ، اما المواطن العادي فليس هذا شأنه ، لذلك كان وجود الحافز الارهابي ضروريا .

لندلل على ذلك بمثل القوانين الموضوعة لقمع اللصوصية . ان هذه القوانين لم تسن لارهاب الشرفاء ، بل لتخويف ضعفاء الارادة العاجزين عن مقاومة التجربة والغرائز ، فلولا هذه القوانين التي ترهب هذه الفئة ولولا العقوبات الزاجرة التي تنزل بها لقامت نظرية تقول ان الرجل الفاضل الشريف هو انسان أبله ، والافضل للمرء ان يسرق بدلا من ان يبقى صفر اليدين ..

اذن كان من قصر النظر حين ظن المسؤولون ان باستطاعتهم التغاضي عن تدبير هام اثبت جدواه طيلة قرون . اعني به الاعدام . فعقوبة الاعدام

تفرض نفسها كتدبير احترازي وارهابي حين يكون المقاتلون مزيجا من الابطال والافراد العاديين الذين فرضت عليهم الجندية . ففي صفوف هؤلاء هناك الجبان والاناني الذي يرى ان حياته اثمن من حياة المجتمع الذي ينتمي اليه . لذلك وجب قيام اجراء رادع لضمان بقاء هؤلاء المقاتلين في ساحة القتال حيث هم أو لحثهم على ملاقاة الموت ومواجهة العدو .

لقد ترتب على الغاء عقوبة الاعدام عندنا ، انتشار جيش من الجبناء الهاربين في المؤخرة . وقد عرف الخونة من الداخل كيف يستغلون هؤلاء الجبناء ويستخدمونهم لتنفيذ مآربهم ويتخذونمنهم وقودا لثورة ١٩١٨ .

وبعد وقف القتال ، ولما عاد الجيش الى ارض الوطن ، استحوذ القلق على رجال الثورة واصبحت معرفة راي العائدين بالذي حدث شغلهم الشاغل ، فهم يريدون التأكد من رغبة الجيش في التعاون معهم . لذلك وخلال الاسابيع الثلاثة التي مضت بين اعلان الهدنة ووصول القوات الالمانية الى الوطن عمد الثوريون الى تبديل اتجاه الثورة ؛ اذ ان فرقة واحدة من الجيش تقوم لطرد الحمر من البلاد تكفي لينضم اليها عشرات الفرق خلال أيام معدودة ، وقد ادرك اليهود هذه الحقيقة فبدلوا الاتجاه المتطرف واعتنقوا شعار الاعتدال والهدوء .

لذلك كانت الدعوات الحارة للتعاون مع السلطات ، وخاصة النداءات الى كبار القادة العسكريين للعمل على انهاض المانيا من كبوتها . فاليهود وحلفاؤهم كانوا باشد الحاجة الى العسكريين للاستفادة من خدماتهم من جهة ومن جهة ثانية اتقاء لشرهم وقطع الطريق امامهم لمقاومة الوضع القائم .

لقد نجحت هذه المناورة اليهودية نجاحا باهرا . لكن المتطرفين ، بعد أن لزم اسياد العهد جانب الحكمة والاعتدال ، حاولوا مقاومة هذا الاتجاه الجديد لكن اليهود استطاعوا تشتيت قواهم وذلك باحداث انقسام خطير في صفوف اكبر حزب ماركسي : الحزب الاشتراكي الديمقراطي . نقسم اقتنع بالوضع الجديد وقسم عارضه . وترتب على هذا الانقسام قيام معسكرين الاول شعاره الهدوء والثاني الارهاب . أما البورجوازية فكان عليها أن تختار بين الاثنين فانتقلت الى المعسكر المعتدل .

وهكذا أصبح الموقف في مطلع شتاء ١٩١٩ كما يلي :

كانت الثورة من صنع فئة شريرة من الشعب ، تبعتها بعد ذلك الاحزاب الماركسية كلها . ولكن الذين استولوا على الحكم بدلوا مناهجهم وقرروا مبدا الاعتدال مما أغضب المتطرفين فقاموا بسلسلة من الاعمال الارهابية في طول البلاد وعرضها . ولمواجهة هذا الخطر تعاون انصار الوضع الجديد مع انصار الوضع القديم لمجابهة الارهاب القائم .

وهكذا نظم اعــداء الجمهورية انفسهم لمحاربــة الجمهوريــة كنظام حكــم متعاونين أيضا مع الذين يحاربون الجمهورية لانها توشك ان تغرق البلاد في الفوضى لا لانها نظــام حكم .

وقد ايد هذا التحالف تسعة اعشار الشعب الالماني، وفي الوقت الذي كان المتطرفون من الجانبين يقتتلون كانت الفئات المتوسطة وهي الاغلبيــة الساحقة تقبض على الزمام . ولم تتأثر الجمهورية بالاشتباكات الدامية ، فقد ادى التقاء الماركسية والبورجوازية الى تقوية مركزها معا ان البورجوازيين قبيل الانتخابات ، بداوا يتوددون الى الملكيين متظاهرين بالحنين الى العهد السابق ، لانهم كانوا بحاجة الى اصوات المحافظين .

★

كيف تمكنت الثورة من النجاح بالرغم من افتقارها الى مقومات هذا النجاح ؟ والجواب على ذلك هو :

١ ــ تحجر نظرتنا الى الواجب والطاعة .

٢ ــ سلبية احزابنا المحافظة .

ويعود تحجر نظرتنا الى الواجب والطاعة الى تربيتنا الوطنية التي تركز على مفهوم الدولة ولا تعتني بالقوميــة . وقــد نجم عن هذا النقص عجزنا عن تمييز الواسطة من الغاية ، وفاتنا ان الشعور بالواجــب واداء الواجب ليســت غاية بحد ذاتها ، وكذلك الدولة . ولو لم نسهى عــن هذه الحقيقة لكان موقفنا من مسببي الكارثة غير هذا الموقف المخزي الذي أساء الى سمعتنا اساءة بالغة . ففي الوقت الذي كان شعبنا يقاسي من الهوان والعذاب من جراء الخيانات ، كانت الطاعة لهؤلاء اجراما بحق الوطن . ولو تجاهل البعض تنفيذ الاوامر المعطاة له وتصرف حسبما يمليه عليه واجبه ومسؤوليته الشخصية لتغير الوضع تماما . ولكن ماذا نفعل بالبورجوازيين ونظرتهم الى الدولة ؟ فالطاعة العمياء هي أول واجبات البورجوازيين ولو كانت على حساب الشعب ، أما نحــن الوطنيين الاشتراكيين فاننا نقــدم طاعة الرؤساء الضعاف ، ونرى ان مسؤولية الشخص تجاه أمته تصبح في الظروف الحرجة اقدس الواجبات .

أما عن سلبية الاحزاب المحافظة فنقول :

لقد نتج عن تساقط الفئات الخيرة في ميدان القتــال تجريد احزاب اليمين من العنصر الوحيد الذي كان باستطاعته حمايتها وحماية النظــام الذي تحرسه . وقد شاء البورجوازيون ، بعد ان اضاعوا القوة المادية، ان يتولوا الدفاع عن مبادئهــم على صعيد الفكــر وبالاسلحة الفكرية . علما ان خصمهم قد استعاض عن تلك الاسلحة وقرر فرض مبادئه بالقوة والعنف وقد اثبت الماركسيون بعد نظرهم ، فكانت قوتهم سيدة الموقف ، بينمــا

ضاعت بلاغة البرلمانيين البورجوازيين بين الضجيج وازيز رصاص الحمر . وبعد الثورة عادت الاحزاب البورجوازية باسماء جديدة وبرزوا الى الميدان بسلاحهم القديم واهدافهم القديمة : الاستيلاء على كرسي الحكم .

لقد اصيب البورجوازيون بهزائم شنعاء في البرلمان وفي الشارع . وعندما قدمت الحكومة للبرلمان مشروع قانون حماية الجمهورية عارضه خطباء احزاب الميمنة والوسط معارضة شديدة . وعلم الماركسيون ان المشروع لن ينال اكثرية الثلثين فاوعزوا الى رجالهم بالتظاهر امام البرلمان، فقدم حوالي مئتي الف ماركسي ، وباشروا الهتافات والصياح والتهويل ، فجبن المعارضون وتخاذلوا واضحت النتيجة اقرار المشروع باكثريةساحقة.

وهكذا قامت الدولة الجديدة دون ان تلاقي اية مقاومة جدية . وكان هناك منظمات قامت لتقف في وجه الماركسية بشجاعة وهي « الكتائب الحرة » و « الحرس المدني » و « عصبة الدفاع عن التقاليد » و« عصبة المحاربين القدماء » .

لكن هذه المنظمات لم يكن لها اي تاثير لاسباب عديدة : فلم يكن لهذه الاحزاب المعتدلة اي سلطة في البلاد لافتقارها الى العناصر المناضلة . وقد كان للمنظمات اليمينية وحدات صدام منظمة ومع ذلك بقي تاثيرها ضعيفا لانها لم تكن ذات مبادىء وليس لها اهدافا سياسية واضحة .

لقد فاز الماركسيون وانتصروا على العقبات بفضل الترابط بين الارادة السياسية والتصميم وبين شراستهم في العمل . ولو اجتمع لالمانيا القومية هذا الترابط بين الشراسة والارادة القومية لما تمكنت الماركسية من الانفراد بتقرير مصير البلد . فقد كان للاحزاب القومية ارادة قوية ولكنها كانت بحاجة الى القوة لفرض ارادتها هذه . اما المنظمات فقد كانت تتمتع بالقوة وكان بامكانها ان تفرض سيطرتها على الشارع وعلى الدولة ولكن كان ينقصها الدافع والهدف السياسي ، وقد استغل اليهود هذا النقص المزدوج وعملوا جاهدين لاقناع المواطنين بقبول الاوضاع الحالية باعتبارها مناسبة . فقد راحت الصحافة ، بايعاز اليهود ، تظهر الطابع الغير سياسي للمنظمات اليمينية وبالتالي تمتدحه، كما كانت تمتدح الذين «يقابلون التحدي والعنف بالاسلحة الفكرية » . وقد تبنى ملايين الالمان هذه النظرية السخيفة ولم يتنبهوا للخدعة اليهودية التي جردتهم من كل سلاح حين اعتمدوا الفكر وحده سلاح وحيد في معركة الحياة او الموت ، فاصبحوا بذلك تحت رحمة اليهود وعصاباتهم الشرسة .

وهناك تفسير آخر لضعف الاحزاب البورجوازية والمنظمات اليمينية، فقد نزلت الى المعركة ولا مثالية لها ، وفي التاريخ اكثر من مثال على حركة من هذا النوع ، فهي لا تتحلى بروح النضال الذي تتحلى به الحركات ذات

الرسالة . فالايمان بانتصار فكرة ما يعطي لرسل هذه الفكرة حق اللجوء الى العنف حتى اقصى درجاته .

لقد نجحت الثورة الفرنسية لان اعلان حقوق المواطن بهر الجماهير ، فتبنته وتعصبت له وناضلت في سبيله . وقامت الثورة الروسية بفكرة لاقت صداها الحسن عند الجماهير ، فآمنت بها واستماتت في الدفاع عنها . كما ان الفاشستية استمدت قوتها من رسالتها الاصلاحية .

★

بقيام الحزب الوطني الاشتراكي قامت في المانيا حركة غايتها اعادة بناء الدولة على اساس عنصري . وقد قرر الحزب اعتماد الوسائل الفكرية لنشر مبادئه ، مع الاحتفاظ بمبدأ القوة لدعم هذه المبادىء اذا لزم الامر .

قلت في فصل سابق انه لا يمكن التغلب على حركة يدعمها الارهاب باعتماد الاسلحة الفكرية ، فلا بد من مواجهة تلك الحركة بحركة ذات عقيدة تعتمد ايضا سلاح الارهاب .

فقد ظلت الدولة الالمانية هدفا لهجوم ماركسي عنيف طوال سبعين عاما ، ولم تنجح في صد هذا الهجوم بالرغم من جهودها المريرة وكفاحها الشاق . فلم تنجح في سحق المبادىء الهدامة بالرغم من تدابيرها الصارمة بحق زعماء تلك المبادىء . وهذا يرجع الى كونها اتخذت تدابير سلبية عوضا عن مقابلة هذه المبادىء بمذهب فلسفي يقضي على مبرر وجودها . فالدولة التي القت السلاح في ٩ تشرين الثاني ١٩١٨ وتركت للماركسيين حرية العمل والاستيلاء على زمام الحكم ، لا يرتجى منها خيرا خاصة بعد وصول البورجوازيين الى الحكم في ظل النظام الجديد . فمنذ عام ١٩٢١ والحكومة البورجوازية تلاطف الحمر زاعمة انها لا تريد اغضاب البروليتاريا . فهذا الخلط بين الماركسية والطبقات الكادحة هو تزوير للتاريخ يتحجج به الحاكمون لتغطية فشلهم في انقاذ البلاد من مخالب المغامرين الدوليين .

تجاه هذا الخضوع للماركسية ، اخذت الحركة الوطنية الاشتراكية على نفسها مهمة انقاذ المانيا ، فاتخذت على مسؤوليتها تدابير وقائية لتواجه بهاالارهاب الاحمر . وقد ذكرت أن حركتنا قد انشأت وحدات هجومية لحماية اجتماعاتنا ، وبعد ان توسعت دائرة نشاطنا جعلنا من الوحدات نواة ما دعيناه « الحرس الخاص » واتبعنا نظام المنظمات اليمينية في تنظيم الحرس التي عرفت باسم « منظمات الدفاع » . ولكن وجه الشبه لم يتعد التنظيم . فالمنظمات اليمينية كانت تعمل معنا ، كما تقدم ، بدون هدف سياسي واضح . اما « الحرس الخاص » الذي انشأناه فكانت مهمته

حماية حركتنا القومية التي ترفض تكريس الوضع القائم وتناضل في سبيل خلق المانيا جديدة .

★

بعد معركة قاعة هوفمبروهوس اطلقنا على وحدة الحرس اسما جديدا هو « فرقة الهجوم » وقد شعر الماركسيون بخطر حركتنا الزاحفة فزادوا من قوة نشاطهم محاولين بالارهاب وباستعداد السلطات علينا تعطيل اجتماعاتنا . وكانت الصحافة الماركسية تلعب دورها في التحريض علينا وفي التهليل والتصفيق لكل محاولة يحالفها التوفيق .

ولكن ماذا نقول عن الاحزاب البورجوازية التي كانت تفرح لفرح الماركسيين حين يتمكن هؤلاء من تعطيل احد اجتماعاتنا ؟ فقد كان يفرحهم ان ينهزم حزبنا امام الماركسي الذي كان قد هزمهم في السابق . وماذا نقول في الموظفين والاداريين ومدراء البوليس، وحتىالوزراء المتظاهرين بالوطنية الذين يتسابقون لخدمة الماركسية حين تصطدم بحزبنا الوطني الاشتراكي؟

هذه العقلية المريضة هي التي اجبرت مدير البوليس السابق بوهنر ؛ هذا الموظف المثالي ، على القول للذين ارادوا رشوته : « لقد حرصت في حياتي ان اكون المانيا قبل ان اكون موظفا . وانا كالماني صميم لا اسمح لاحد بان يشك في نزاهتي وطهارة ذيلي . واذا كان لدينا موظفون يقبلون الرشوة . فهؤلاء هم حثالة شعبنا ، وان الدم الذي يسري في عروقهم ليس دما المانيا نقيا » .

لاسباب كهذه كان علينا ان نوسع نطاق منظمتنا الدفاعية . وقد حرصنا على اظهار فرقة الهجوم بمظهر يستهوي الجماهير ؛ كما حرصنا على ان نجعل منها قوة معنوية مشبعة بالمثالية الوطنية الاشتراكية ؛ فلا يكون لها طابع الجمعية السرية ولا عقلية المنظمات البورجوازية المنشأة لاغراض دفاعية .

وقد قام هذا الحرص للاعتبارات التالية :

ان التربية العسكرية لدى المنظمات الخاصة تعتمد على المساعدات المالية التي تقدمها لها الدولة . يضاف الى ذلك ان هذه المنظمات الخاصة تكتفي بالنظام الاختياري ، وهذا معناه عدم تمكين القيادة من معاقبة من يجب معاقبته .

لقد كان انشاء « الوحدات الحرة » ممكنا في ربيع ١٩١٩ لانها انشأت من المحاربين القدماء والجنود المسرحين حديثا ، وكلهم سبق وتخرجوا من مدرسة النظام والانضباط اي الجيش الالماني . اما النظام والانضباط ففضيلتان لم تتوفرا لدى رجال « المنظمات الدفاعية البورجوازية ، فهي لم تضم من الجنود والمسرحين الا بنسبة عشرة بالمئة . وقد كان تدريب

المتطوع في تلك المنظمات يجري بصورة شكلية . فالمتطوع الذي لم يحمل بندقية من قبل ، كان يخضع لتدريب لمدة ساعتين اسبوعيا على ان تنتهي مدة تدريبه خلال ستة أشهر .

عندما اقترح بعض الرفاق على جعل منظمتنا الهجومية ذات طابع سري عارضت هذا الاقتراح بشدة ؛ لان المنظمات السرية ستبقى ضمن نطاق محدود وضيق خوفا من افتضاح أمرها تجاه السلطات . علما بأن شعبنا يميل الى الثرثرة ، فالمحافظة على سرية القرارات المتخذة امر صعب جدا ؛ خاصة وان للسلطات مؤسسات بوليسية تتزود بالمعلومات الاولية من المخبرين والجواسيس البارعين في فن الكذب والتلفيق . فحركتنا لم تكن بحاجة الى مئة متآمر شجاع ، ولكنها تحتاج الى جيش يضم الآف المناضلين المتعصبين العاملين في وضح النهار ليبهروا الجماهير بمظاهر القوة وحسن التنظيم . وحركتنا لن تنتصر ما دام الشارع تحت اسياد الشارع القابضين على الزمام .

اما خطر المنظمات السرية فيكمن في ظاهرة شائعة في ايامنا . فاعضاء هذه المنظمات لا يدركون عظمة مهمتهم ؛ وكل ما يدركوه أن مصير شعب من الشعوب يمكن ان تقرره جريمة قتل !

ويمكن الاخذ بنظرية الاغتيالات حين يكون الشعب خاضعا لحكم طاغية مستبد ، ففي هذه الحالة يمكن ان يبرز مواطن من صفوف الشعب ويغمد خنجره في صدر الطاغية ، ولا ننسى ان شيلر مجد في « غليوم تل » جريمة من هذا النوع .

كان يخشى بين عامي ١٩١٩ و ١٩٢٠ ان تلجا المنظمات السرية الى سلسلة اغتيالات للانتقام من مسببي الكارثة ومن مستغلي محنة الوطن ، ولو انها فعلت ذلك لجاء هذا الانتقام في غير محله . اذ ان الماركسية لم تنجح بفضل عبقرية قادتها ؛ بل نجحت لان العالم البورجوازي افسح لها مجال العمل بانطوائه على نفسه ... واستطيع ان افهم كيف يلقي البورجوازي الفرنسي سلاحه أمام رجال من طراز روبسبير ودانتون ومارا ، ولكن اليس من العار ان ينحني البورجوازي الالماني امام اشباه الرجال امثال شيدمان وارزبرجر وفردريك اليبرت وغيرهم من اقزام السياسة ؟ لذلك فاغتيال زعيم او اكثر لن يعود على القضية القومية باية فائدة ما دام هناك من يستطيع ان ياخذ مكانه . جميع هذه الاعتبارات جعلتني اعارض مشروع جعل « فرقة الهجوم » ذات الطابع سري ، وحرصت منذ ذلك الحين على انصارنا من الانتظام في منظمات تعمل في الظلام .

بعد ان قررنا ازالة الطابع السري عن « فرقة الهجوم » وابعادها عن المنظمات الدفاعية ، انصرفنا الى العناية بامور ثلاثة هي : التدريب ، وعلنية

الاجتماعات والاستعراضات ، واللباس الخاص .
أما التدريب فلم ننظر اليه من ناحية عسكرية بحتة ، بل حرصنا على جعله منسجما ومصلحة الحزب ، فمثلا أولينا الافضلية التمارين الرياضية بدلا من التمارين العسكرية ، فقد كان رايي دائما ان الملاكمة والمصارعة اليابانية افضل من التدريب على الرماية تدريبا ناقصا .
ولازالة الطابع السري عن الفرقة فقد حظرنا على الرجال التستر والتآمر بعد ان وسعنا نطاقها ، وحرصنا على توسيع أفكارهم حتى يشعروا انهم حماة فكرة مثالية واعداء عقيدة غريبة تريد بالوطن شرا .
اما بالنسبة للباس الخاص فقد حرصنا على جعله لائقا بالرجال من حيث اللون والزي ونوعية القماش .
وفي أواخر صيف ١٩٢٢ جاءت ثلاث مناسبات كانت بمثابة امتحان للفرقة ، فاجتازتها بنجاح باهر أدى الى نموها وعاد على الحركة بالفوائد الكثيرة . أما المناسبات الثلاث فكانت :
أولا : التظاهرة التي قامت بها الهيئات الوطنية في ساحة كونيغس في ميونيخ احتجاجا على قانون حماية الجمهورية .
فقد اشترك حزبنا في التظاهرة ، ومشى الرجال في صفوف متواصلة، منتظمة وكانت فرق الهجوم الخاصة بمدينة ميونيخ تتقدم الصفوف بنظام بديع تحمل على سواعدها خمس عشرة راية . وقد استقبل الشعب هذه الفرق لدى دخولها استقبالا حماسيا رائعا . وكان لي شرف الكلام باسم الحزب فتلوت خطابا جريئا الهب شعور ستين الف مستمع .
وفي ذلك اليوم بالذات حاول الحمر التعرض لموكبنا ، فتصدت لهم فرقة الهجوم وصفت حسابهم في دقائق . وهكذا اثبتت حركتنا انها قادرة على النزول الى الشارع وفرض سيطرتها عليه مزيلة ما كان باقيا من اوهام في اذهان الشعب حول قوة الحمر في ميونيخ .
ثانيا : زيارة مدينة كوبورغ .
قررت المنظمات « المنصرية » عقد مؤتمر المالي في كوبورغ في تشرين الاول ١٩٢٢ ، وقد تلقيت دعوة للحضور مع الرجاء بأن اصطحب معي نفرا من انصار الحزب الوطني الاشتراكي . فقررت اخذ ثمانماية من رجال فرقة الهجوم ونقلهم بقطار خاص من ميونيخ الى كوبورغ . وبناء للتعليمات المرسلة الى انصار الحركة في الاماكن التي مر بها القطار . كان يستقبلنا في كل محطة وفود الوطنيين الاشتراكيين ومعهم اعلامهم ، مما كان له اكبر التاثير في نفوس السكان .
ولكن في محطة كوبورغ كانت تنتظرنا مفاجئة مزعجة .
فقد استقبلتنا لجنة تنظيم المؤتمر وابلغتنا ان النقابات المحلية والحزب

الاشتراكي المستقل والحزب الشيوعي والسلطات المحلية قررت بالاشتراك مع منظمي المؤتمر عدم السماح بدخول المدينة الا بمجموعات صغيرة بدون اي مواكب او اعلام ... وقد رفضت دون تردد هذه الشروط الغريبة قائلا ان هذا المسلك غير مشرف وصرحت لهم ان فرق الهجوم ستدخل المدينة صفوفا متراصة تتقدمها الاعلام والموسيقى ... وهكذا كان ...

وقبل ان نغادر المحطة وصلت جماهير غفيرة كانت تنتظر اشارة من خصومنا لتتحرش بنا ، وراحت تكيل لنا الشتائم لكن فرقنا لم تلتفت اليها واستمرت في تنظيم صفوفها ، ووصلت قوات من البوليس ورافقت الموكب الى قاعة هوفمبروهوس في وسط المدينة، وقد لحقت بنا الجماهير الغاضبة دون ان ترتد عن التحرش بنا . وما ان دخلنا القاعة حتى هجم المشاغبون يريدون اقتحامها ، لكن البوليس سارع الى اقفال الابواب كمن يريد وضع الاجتماع تحت حمايته ، فجمعت الرجال فورا وطلبت منهم ان يكونوا على استعداد تام ثم طلبت فتح الابواب حالا وقلت لقائد البوليس باننا قادرين على حماية الاجتماع بطريقتنا الخاصة عندما يحين الموعد وافهمته اننا نريد الذهاب الى مركز الحزب في كوبورغ . فامر بفتح الابواب وسلكنا طريقا آخر متجين الى المركز منشدين الاناشيد القومية . ولما وجد الحمر وحلفاءهم ان الشتائم لم تخرجنا عن وقارنا عمدوا الى رشقنا بالحجارة ، فنفد صبر الرجال وشمروا عن سواعدهم القوية وهجموا على المتدين وفي اقل من عشر دقائق خلت الشوارع من المشاغبين .

وقد حصلت اصطدامات عنيفة في الليل في عدة احياء من كوبورغ . وقد اعتدى الحمر على اخوان لنا من ابناء المدينة بشكل وحشي ، ولكن رجال فرقة الهجوم اعادت الكرة عليهم ونظفت الشوارع منهم وسحقت ارهاب الحمر الذي سيطر على كوبورغ لسنوات .

لكن الماركسيين لم يكتفوا بما حصل ، فدعوا الى تظاهرات شعبية يمشي فيها الوف العمال ، وزعمت نشراتهم ان « الوطنيين الاشتراكيين دخلوا المدينة ليقوموا فيها بحملة ارهابية ضد العمال المسالمين » ولما علمت بالخبر امرت فرق الهجوم بتجهيز الف وخمسماية رجل بالاشتراك مع الانصار المحليين ، ومشيت على راس هذه القوة الى قلعة المدينة مرورا بالميدان الذي دعي العمال الى التجمهر فيه، وقد كان هدفنا تحدي الخصوم وتلقينهم درسا لا ينسوه . لكننا لم نجد في الميدان الا بضع مئات من الرجال والنساء والاولاد ، فمررنا بهم تتقدمنا الاعلام والموسيقى دون ان يحركوا ساكنا او تبدو من احدهم بادرة عداء .

كان لمظاهرتنا فعل السحر في نفوس السكان ، فبعد ان كانوا غير مكترثين لنا وقفوا على الارصفة يحيونا ويهتفون لحركتنا ، كما انهم شيعونا

في المساء لغاية المحطة . وهناك فوجئنا برفض الموظفين المختصين قيادة القطار العائد بنا الى ميونيخ ؛ وكان هذا بتحريض من النقابيين الماركسيين الذين تجمهروا حولنا ليراقبوا تطور الموقف . ولكني فاجأتهم بقولي بأنني لن أتورع عن احتجاز العشرات منهم في احدى عربات القطار الذي سنتولى نحن قيادته بالرغم من عدم معرفتنا بالقيادة ، واذا تدهور القطار سنهلك ويهلك معنا الذين احتجزناهم ، وهذا الاقتراح ينسجم مع مبدأهم في المساواة حتى في الموت . وكان لهذا التهديد نتيجة حسنة اذ تحرك بنا القطار من المحطة في الموعد المحدد ووصلنا ميونيخ في اليوم التالي سالمين .

لم تظهر نتائج رحلتنا الى كوبورغ دفعة واحدة ، ولكن رجال « فرقة الهجوم » عادوا من رحلتهم وقد ازدادت ثقتهم بأنفسهم وبرؤسائهم وكذلك الذين استخفوا بحركتنا في بدايتها ، فقد بدأوا ينظرون الى الحزب الوطني الاشتراكي كمؤسسة قوية ستتمكن يوما ما من الوقوف في وجه الوباء الماركسي في المانيا .

اما انتصارنا في كوبورغ فقد شجعنا على مواجهة الارهاب الاحمر في كل مدينة وقرية ، وتمكنا من سحقه حتى في المناطق الخاضعة لسيطرة الحمر . وهكذا أعاد حزبنا حرية عقد الاجتماعات وتنفس الناس الصعداء في بافاريا لسقوط كابوس الماركسية الرهيب . وما ان انتهى عام ١٩٢٢ حتى اصبح لدينا افواجا جديدة الفنا منها ومن الافواج السابقة « جيش الهجوم » .

ثالثا : في آذار ١٩٢٣ احتل الفرنسيون منطقة الروهر . فاجمعت الاحزاب والمنظمات ذات الطابع القومي على ضرورة جعل المنظمات الدفاعية كوحدات عسكرية ذات طابع هجومي . وقد ساهمنا نحن في ذلك واتحنا لجيش الهجوم فرصة المساهمة في الدفاع عن شرف الوطن . وما ان انتهى هذا التدبير المؤقت حتى أعدنا لجيش الهجوم طابعه الاول : جندي الحركة وعنوان قوتها وحامي مثاليتها .

- ١٦ -

القناع الفيدرالي

اثناء عامي ١٩١٩ و ١٩٢٠ اضطر حزبنا الناشيء الى تحديد موقفه من قضية كان قد جرى حولها جدال طويل اثناء الحرب .

في فصول سابقة وصفت اعراض الانهيار الذي كان يهدد البلاد وهي منصرفة الى منازلة الاعداء الشديدي المراس ، ولمحت الى المحاولات التي

لجأت اليها الدعايات الانكليزية والفرنسية لتوسيع الخلاف بين جنوب المانيا وشمالها . ففي ربيع عام ١٩١٥ ظهرت نشرات حليفة تحمل بروسيا وحدها تبعة نشوب الحرب . وفي شتاء عام ١٩١٦ تركزت الدعايات على المان الجنوب مشجعة اياهم على التحرر من سيطرة البروسيين . ولا بد من الاعتراف ان الدعايات حول الحوادث الدامية بين المان الجنوب والشمال لم تكن دائما كاذبة ومغرضة ... ولا بد من الاقرار ايضا ان السلطات الالمانية المدنية والعسكرية وخاصة السلطات البافارية تلام اشد اللوم لعدم تعرضها للصحافة الالمانية الثرثارة التي كانت تنشر مقالات تبرز النزعات الانفصالية .

بدأ الحقد على بروسيا والبيت المالك اول ما بدأ في ميونيخ ، ولا يسعنا الا الاعتراف بأن الشعب لم يكن ليقع في شرك الدعايات الحليفة لو لم تكن الادلة كافية على سوء نية ولاة الشأن . فقد كانت ادارة الاقتصاد القومي سيئة جدا . وكانت برلين مستأثرة بالسلطة ، وبرلين في نظر الرجل العادي هي بروسيا ...

كان الشعب يعلم ان امور الحرب التي تبرم منها متجمعة كلها في برلين ، ولكنه كان يجهل ان منظمي امور الحرب لم يكونوا برلينيين أو بروسيين وان معظمهم لا يمت الى المانيا بصلة ... اما حكومة بافاريا فكانت على علم تام بكل شيء ، ومع ذلك بقيت متجاهلة تفاقم التيار المعادي لبروسيا بدلا من ان توقفه وتزيل ما علق بأذهان الناس من اوهام .

اما اليهودي الماكر الذي نظم مصالح الحرب ليسرق الشعب بواسطتها، فقد تنبه الى ان النقمة ستنفجر بوجهه ، ولتفادي هذا الانفجار عمد الى التفريق بين ابناء الوطن الواحد ، فحرض بافاريا على بروسيا والعكس بالعكس ، ووقعت كلتاهما في الفخ الذي نصبه ونسوا خطورة العلقة الدولية التي كانت تمتص دماء الشعب .

واستمرت الحال على هذا الشكل الى ان نشبت الثورة ، فانتهزها اليهود والبلاشفة فرصة ذهبية لتفكيك روابط الوطن الالماني . وعيّن منظم الثورة في بافاريا نفسه وصيا للمصالح البافارية ، مع انه اخر من يحق له الكلام باسم الشعب البافاري وهو اليهودي الشرقي ذو الماضي المجهول .

لقد حرص منظم الثورة البافارية ، كورث اميزنر ، على صبغ الحركة بطابع الهجوم على باقي اجزاء الرايخ ، وهو اذ يحرص على هذا انما ينسجم مع نفسه كيهودي اصيل ومنفذ لتعليمات اليهودية العالمية التي شاءت تقطيع اوصال الوطن الالماني قبل بلشفة شعبه .

وحين انقذت القوات الالمانية بافاريا من مخالب البلاشفة ادعت دعايتهم ان نضال الحمر في سبيل بقاء سيطرتهم بانه « نضال العمال

البافاريين ضد العسكريين البروسيين » . وقد كان لهذه الدعاية المغرضة صداها المطلوب فازداد نفور البافاريين من بروسيا كما ازداد حقدهم عليها ...

في ذلك الحين نزلت انا الى المعترك لكي اساهم في الحد من هذه الدعايات ، ودعوة المواطنين الى تفهم عواقب انقسامهم .

كانت مهمتي صعبة لان النقمة على بروسيا بلغت حدا من الذروة في الاوساط البافارية ، ففي كل مدينة او قرية كانت تقوم منظمات خاصة تحض السكان على كراهية البروسيين وتدعوهم الى الانفصال .

لكنني قررت الصمود في وجه التيار فحضرت اجتماعا عقده غلاة الانفصاليين في قاعة لوفن - بروكلر في ميونيخ ، وذهبت بمرافقة بعض الاصدقاء . وبعد ان انتهى اول الخطباء ، نهضت من مكاني وارتجلت كلمة صريحة نددت فيها بالنزعة الانفصالية ، وقلت لهم ان النزاع القائم لن يفيد منه الا المغامرين الدوليين من يهود وماركسيين . لكن صراحتي هذه اغضبت الحاضرين وتصدت لي جماعة منهم تريد مهاجمتي لولا ان احاطني رفاقي الشجعان بسواعدهم واخرجوني من القاعة .

وتكررت مداخلاتي منذ ذلك الوقت وازداد عدد المؤيدين والاصدقاء، ولكن الانفصاليين لم يتركونا وشأننا بل كانوا يعتدون على رفاقي بالضرب واللكم بشكل وحشي مؤسف .

وبعد قيام الحزب تبنى وجهة نظري وقام بالعبء الضخم الذي قمت به لوحدي في عام ١٩١٩ والاشهر الاولى من عام ١٩٢٠ ، معتمدا على وطنية المناصرين من ابناء بافاريا الذين بذلوا جهدهم لتنوير اذهان مواطنيهم، متحملين انواع الاذى وشتى انواع الاعتداءات .

ولما ازدادت حملة الحزب ضد الاتجاه الانفصالي عمد اليهود الى تكتيك جديد لتغطية لعبتهم الخطرة فزعموا ان الحركة التي افتعلوها تهدف الى انشاء دويلات الرايخ على اساس اتحاد فيدرالي ، بشرط ان تقطع بروسيا لمصلحة الدويلات المجاورة لها ، وهكذا افتضحت اللعبة الانفصالية الخطيرة وتسهلت بالتالي مهمتنا الى حد كبير ، وجاءت حادثة دورتن الانفصالي الريناني الخائن ، فأزالت الوهم العالق في اذهان المخدوعين من ابناء بافاريا وتبين لهم ان زعماء الحركة الانفصالية والفيدرالية مأجورون للاجنبي ويعملون لحساب انكلترا او فرنسا .

وقد لاحظنا ان الحملة التي استهدفت بروسيا انصبت على العناصر البروسية المحافظة دون غيرها ، باعتبار ان المحافظين رفضوا دستور فيمار الذي وضعه المان الجنوب واليهود ... وعندما شعر اليهود بتلاشي الحركة الانفصالية صرفوا الاذهان عن اعمالهم في السلب والنهب والايقاع

بين المحافظين البافاريين والمحافظين البروسيين .

اما الشعب فكان في غفلة عن دسائس اليهود ، وفي شتاء عام ١٩١٩ حاولنا تنوير الاذهان الى الخطر اليهودي المتفاقم لكن الناس استنكروا هذه الحملة ونعتونا بالمتعصبين . ولا بد من الاعتراف ان الفضل الاكبر في اثارة المسألة اليهودية يرجع الى « عصبة الدفاع والهجوم » التي نشأت في العام المذكور ، والتي تبنى فكرتها الحزب الوطني الاشتراكي وجعلها محور حركة شعبية واسعة النطاق لكن اليهود علموا بهذا الخطر الجديد فبادروا الى حماية انفسهم معتمدين طريقتهم التقليدية . فاثاروا القضايا المذهبية في ثلاث صحف ماجورة ووقفوا يتفرجون على الجدل المقيم بين الكاثوليك والبروتستانت ، وعلى ما نجم عن هذا الجدل من انقسام بين صفوف العنصريين القائمين بالحركة اللاسامية .

نسي الكاثوليك والبروتستانت عدوهم المشترك ليقاتلوا بعضهم البعض ، نسوا هذا الغريب ذا الشعر الاسود والانف الطويل الذي يعيش عالة عليهم ويدبر لهم المؤامرات ويلطخ دمهم الآري . نسوا ان اليهودي الوسخ هو عدو المسيحية لا فرق عنده بين كاثوليكي وبروتستانتي ، وهو الذي يتجاسر على هدر كرامة الآري النبيل حامل مشعل الحضارة عبر الاجيال .

نسوا كل هذا ليدخلوا في جدل عقيم حول قضايا بعيدة عن جوهر الدين بعد الارض عن السماء ، وقامت الصحافة الماركسية والملحدة لتزيد النار اشتعالا بنشرها اراء الطرفين السخيفة . وبدلا من ان يبادر العنصريون الى اخماد النار نزلوا الى المعترك وادخلوا الحركة العنصرية في النزاع الديني القائم . وفي هذه الاثناء كان اليهودي يتابع تلويث دم شعبنا وهدر كرامته وتحطيم مصالحه ، وكان اعداؤنا في الخارج يقسمون العالم فيما بينهم ساخرين من مشاكلنا الداخلية الحقيرة .

اضطر الحزب الوطني الاشتراكي الى تحديد موقفه من النزاع القائم بين الفدراليين وانصار الدولة الموحدة . فقد وجب عليه ابداء رأيه في هذا النزاع دون ان يتدخل تدخلا فعليا .

كان علينا ، والحالة هذه ، ان نحدد مفهومنا الدولة الاتحادية لان هذا التعبير قد اسيء فهمه حتى في عهد بسمارك .

فالدولة الاتحادية هي مجموعة دول مستقلة اتحدت فيما بينها وتنازلت لهذا الاتحاد عن بعض حقوقها كدول ذات سيادة . وهذا التعريف لم يطبق عمليا في الدول الاتحادية الموجودة ، فالولايات المتحدة الاميركية مثلا لم تنشأ عن اتفاق دول ذات سيادة باعتبار ان هذه الولايات التي تألف منها الاتحاد لم تكن دولا ذات سيادة اصلا ، حتى ان بعضها جاء نتيجة

الاتحاد نفسه كذلك الولايات لم تمارس اية سيادة لا قبل الاتحاد ولا بعده ، فهي تمارس الحقوق التي حددها لها الدستور واصبحت كامتيازات محلية .

كذلك لا ينطبق هذا التعريف على المانيا انطباقا تاما ، رغما عن كون الدول التي يتالف منها الاتحاد قد سبق قيامها انشاء الاتحاد . فالرايخ الالماني لم ينشأ عن اتفاق بين الدول الالمانية او نتيجة تعاون متساو بينها ، بل كان نتيجة تفوق احداها اي بروسيا .

فبروسيا كانت من حيث المساحة اكبر الدول الالمانية ، واكثرها عطاء ، فكان من البديهي ان تتزعم حركة تكوين الدولة الاتحادية ، يضاف الى ذلك ان سيادة الدويلات الالمانية كانت اسمية فقط ، وبذلك يمكن القول ان هذه الدويلات تنازلت للاتحاد عن حقوق لم تمارسها او ربما مارستها جزئيا .

ليس هناك مجال لبحث قضية هذه الدويلات ، وتكفي الاشارة الى ضعف تركيب هذه الدويلات ان نذكر ان انشاءها كان لاعتبارات سياسية محضة وفي اسوا العهود التي مرت بالرايخ ، اي عهود ضعفه وانهياره .

عندما انشا بسمارك الرايخ الالماني اخذ هذه الحقائق بعين الاعتبار ، فجعل تمثيل دول الاتحاد في مجلس « البوندسرات » متناسبا مع اهمية كل منها . وكان معتدلا في تعزيز سلطة الرايخ على حساب الدويلات التي يتالف منها ، فما اخذ منها الا ما كان الاتحاد بحاجة ماسة اليه ، كما حرص في نفس الوقت على احترام العادات والتقاليد المحلية . وقد شاء المستشار الحديدي مداراة الدويلات الالمانية تاركا للزمن اتمام ما بدا به هو، لان الطفرة غير مضمونة العواقب ، وبذلك برهن عن بعد نظره وسلامة تفكيره . وهكذا نما الرايخ نموا كبيرا على حساب الدويلات الالمانية .

اما بعد الحرب والهزيمة ، فكان من البديهي ان تفقد الدويلات الالمانية اهميتها بمجرد زوال الانظمة الملكية ، ورأينا الكثير من هذه «الدول الوهمية» تندمج في دول اخرى مجاورة لها او تتعلق بركابها .

وبالاضافة الى الضربة القاصمة التي وجهت الى نظام الرايخ الاتحادي نتيجة لانهيار النظام الملكي ، فقد اجهزت على هذا النظام الشروط والالتزامات التي فرضتها علينا معاهدة الصلح . اذ ان الرايخ جرد الدول الالمانية من صلاحياتها المالية عندما فرضت عليه التزامات مرهقة لا يتمكن من احتمالها بالاعتماد على الوسائل العادية المتوفرة لديه ، ولم يكن تاميم السكك الحديدية والبريد سوى نتيجة حتمية لسياسة التخاذل التي تبعها الرايخ حيال المنتصرين فقد اضطرته الحاجة الماسة الى المال ليقوم بالتزاماته الى ان يضع يده على موارد البلاد كلها .

فلو عرفت الاحزاب الالمانية كيف تنهي الحرب نهاية حسنة لما اضطر

الرايخ الى الاستئثار بالسلطة وتجريد الدول الالمانية من معالم سيادتها ارضاء للمنتصرين . لكن الاحزاب تجاهلت حقوق الرايخ ومصالحه ابان الحرب وذلك لتلتفت لخدمة مصالحها الخاصة .

ان الذين يبكون اليوم على السيادة الضائعة والحقوق السلبية هم من المنافقين الذين يحاولون تغطية مساوئهم . فهم ساهموا مساهمة مباشرة في القضاء على الاسس التي وضعها بسمارك للدولة الفدرالية ، وقاموا اليوم باتهام الرايخ بالانانية ليبرئوا انفسهم تجاه الناخبين . والادهى من ذلك ان الاحزاب تحاول ان تضع اللوم على الحكومة الاتحادية في برلين وتعتبرها المسؤولة عن اشراف الرايخ على مالية الدويلات الالمانية ، هذا الاشراف الذي اثار الحقد في الاوساط الشعبية .

ان الشعب الالماني لم ينقم على الرايخ لانه انتزع من الدويلات التي يتكون منها مقومات سيادتها ، بل هو نقم عليه لانه لم يعبر عن امانيه . وقد بقي الرايخ الحالي منقوما عليه من الالمان ، ولئن تكن القوانين الاستثنائية والتدابير الارهابية ضامنة لسلامة المؤسسات الجمهورية ، لكن هذه القوانين لن تنجح في تقريبها من قلوب الشعب .

كيف نطلب من الشعب ان يتعلق بالدولة ، حينما يشعر ان دولته خاضعة تمام الخضوع للقوى الدولية التي تسببت في خراب بلاده وجرتها الى هذه النهاية المؤسفة ، فقد كان الشعب فخورا بانتمائه الى الرايخ الالماني السابق وكان يجد فيه الطمانينة في الداخل كما يجد فيه مظاهر العظمة والقوة في الخارج . اما الجمهورية فتضطهد المواطن في الداخل بينما تتخاذل حيال الخارج .

ان الدولة القومية النشيطة ليست بحاجة الى سن القوانين العديدة في الداخل ، فالمواطنون يحترمونها ويؤيدونها وبالتالي يبعدون عن كل ما يسيء الى سمعتها . لكن الدولة ذات الطابع الدولي تسخر رعاياها بالقوة وتعاملهم معاملة العبيد ، لذلك فالنظام الحالي في المانيا لا يمكن ان يصف مواطنيه بانهم « مواطنون احرار » . فهذا كان شانهم ايام الرايخ السابق ، اما الان فالجمهورية تستعبد شعبها لخدمة الاجنبي وليس لديها مواطنين ولا هي تملك علما قوميا . اما الرمز الذي اختارته فقد احتقره الشعب ولم يعترف به .

تجد الدولة الحالية نفسها مضطرة الى تجاهل حقوق الدويلات الالمانية لا لاعتبارات مادية فحسب ، بل لاعتبارات سيكولوجية . فهي حين تتبع طريقة ارهاق الشعب بالضرائب والكبت والتضييق على الحريات تخشى انفجار النقمة الشعبية يوما ما وتتحول الى ثورة مكشوفة ، وهي تجنح تدريجيا الى الاستئثار بالسلطة كلها منتزعة من حكومات الدويلات

١

الالمانية البقية الباقية من معالم السيادة .

من الواضح ان دول العالم المتمدن تتجه الى المركزية ، والمانيا لن تشذ عن هذا التطور . فالتشبث بسيادة الدويلات في الرايخ الالماني هو السخف بعينه ، سيما والدويلات هذه قد فقدت اهميتها ومرتكزها الاساسي لسيادتها « الملكية » . فالنظام الفدرالي كان له ما يبرره حين كانت وسائل النقل والمواصلات بطيئة . اما اليوم فبفضل المخترعات الحديثة اختصرت المسافات الطويلة واصبح بالامكان الانتقال من ميونيخ الى برلين في ساعات معدودة .

اذن فالاتجاه نحو المركزية هو تطور لا بد منه .. اما نحن الوطنيين الاشتراكيين نجد انفسنا مجبرين على محاربة هذه المركزية حين تتم في الوقت الحاضر لمصلحة دولة تسيء استعمال سلطتها . فالرايخ الحالي لم يؤمم مثلا السكك الحديدية تمشيا مع نهج قومي واضح نبيل ، لكنه اعتمد التأميم لينفذ شروط المنتصرين وينزل عند رغباتهم .

لذلك وجد حزبنا نفسه معاديا للمركزية . وهناك سبب اخر لمعاداة المركزية ، فهي قد تؤدي الى تقوية نظام حكم مهين كان ولم يزل وبالا على الامة الالمانية . ولما كان هدفنا الرئيسي القضاء على النظام « الديمقراطي — اليهودي » واقامة دولة عنصرية يتوفر فيها الشعب جو العمل والابداع ؛ فقد قرنا والاحزاب البافارية ، التي بدأت تتبرم بازدياد صلاحيات الرايخ الجديد ، وتمادي المركزية . وقد حاولنا رفع القضية الى مستوى رفيع يجعل منها قضية قومية والمانية بعكس ما يريدها « حزب الشعب البافاري » قضية محلية ذات طابع خاص .

وهناك سببا اخرا لا يقل اهمية عن السببين السابقين ، فقد تجمع لدينا اكثر من دليل على ان اليهود هم وراء جنوح برلين نحو المركزية المطلقة ، وان ما يدعى « بالتأميم من اجل الرايخ الالماني » لم يكن في الحقيقة الا محاولة لسحب المشروعات الكبيرة من الدويلات ليتمكن اليهود والاحزاب التي يوجهونها من استثمار تلك المشاريع بانفسهم ولمصلحة مؤيديهم . فبعد تأميم البريد قامت السلطات بطرد موظفي الادارة القدامى وعينت مكانهم اشخاصا تثق بهم وبولائهم الى الجمهورية ، وعهدت بفريق من الخبراء اليهود لعملية الاشراف على الاستثمار ...

يجب ان لا تفسر محاربتنا للمركزية بأنها محاربة للمبدأ بحد ذاته ، فنحن من محبذي توسيع صلاحيات الرايخ ، لان الدولة نفسها ليست اكثر من شكل ، اما الجوهر الذي يحتويه هذا الشكل فهو الشعب . ومن الواضح ان مصلحة الدولة يجب ان تخضع لمصلحة الشعب وتنسجم معها . ولما كانت النزعات الخاصة لكل دويلة من الدويلات الالمانية تتعارض

ومصلحة الشعب الالماني . فنحن نكون ضد هذه النزعات ولا نعترف للدويلات بحقوق الدولة ذات السيادة ، ونطالب بمنعها من تبادل الممثلين الدبلوماسيين مع الخارج. باعتبار ان هذه النزعة الخاصة تكشف عن ضعف الرايخ في العواصم الاجنبية وتغري به الطامعين .

فالدولة القومية التي نطمح اليها انما هي دولة موحدة لن تعتبر المركزية كوسيلة للاستئثار بالمنافع ، ولن تعمل على القضاء على ميزات البافاريين وابناء الساكس والبروسيين وغيرهم ... فهي ستشجع مثلا بقاء ميونيخ عاصمة الفن الالماني الرفيع ، وليبزيغ عاصمة العلوم ، ولكنها بنفس الوقت لن تسمح بانه يكون لبافاريا جيش ذو طابع بافاري وللساكس جيش ذو لباس واعلام خاصة به ... فالجيش الالماني في الدولة القومية يجب ان يبقى بعيدا عن التيارات الخصوصية لان الدولة القومية ستجعل منه بوتقة تنصهر بها النزعات المختلفة ؛ فينسى الجندي البافاري انه له وطنين : بافاريا والرايخ ، فيعتز بانه ينتسب الى الامة الالمانية .

قلت ان الحزب الوطني الاشتراكي هو ضد المركزية التي تتم لمصلحة الرايخ الحالي . لكن الحزب يرحب بكل خطوة تخطوها الجمهورية لتنظيم الجيش واخضاعه للمركزية ... اليس من العار ان يبقى الجندي البافاري في ثكنة ميونيخ والجندي من وارتمبورغ في ثكنات شتوتغارت وابناء امارة فرنكوني في ثكنات نورمبرغ ؟ الا يكون افضل للبافاري ان يتاح له فرصة زيارة بلاده فيرى تباعا رينانياو وستفاليا ومنطقة بحر الشمال ؟ وان نتيح لابن هامبورغ رؤية الالب ولابن بروسيا الاقامة في ميونيخ لبعض الوقت ؟

ان الدولة التي ندعو لها بالمركزية هي التي تكمل ما بداه بسمارك دون ان تتعرض للطابع الخاص لكل جزء من اجزاء الوطن الالماني ، وهي التي تحمل هذه الاجزاء على التنازل بمحض ارادتها واختيارها عن اخر حق من حقوقها في السيادة .

هذه الدولة التي نطلب هي الدولة العنصرية التي تسود فيها العقيدة الوطنية الاشتراكية .

اخيرا يتهمنا الانفصاليون في بافاريا اننا نعمل لمصلحة برلين بينما يتهمنا الحمر باننا انعزاليون متعصبون ، كذلك تتهمنا برلين باننا نقف في طريق المركزية التي تريدها ..

ان الحركة القومية تسخر من الحدود المصطنعة والنزعات المفتعلة لانها تعمل على تحقيق الوحدة الالمانية الشاملة ، والسير بالامة الواحدة في طريق المجد والعظمة ..

- ١٧ -

هتلر والحركة النقابية

الدعاية والتنظيم

كان لعام ١٩٢١ معنى خاص بالنسبة لي شخصيا وبالنسبة الى الحركة الوطنية الاشتراكية . فبعد ان اصبحت عضوا في حزب العمال الالماني اضطلعت بمهمة تنظيم الدعاية للحزب والاشراف على توجيهها ؛ وذلك بعد مضي بضعة اشهر من انضمامي الى الحزب . وقد ادركت منذ اللحظة الاولى ان مسؤليتي ستتعدى التنظيم والاشراف من الناحية الادارية ، بل ستتعداها الى نشر الفكرة نفسها ؛ فالدعاية يجب ان تسبق التنظيم لتجمع حول الفكرة اكبر عدد ممكن من الناس . ولم ابدل رأيي هذا فيما بعد لاقتناعي ان الترتيبات المرتجلة لا يمكن ان تنبثق منها منظمة حية، لان المنظمات تستمد وجودها من كائن عضوي ينمو نموا طبيعيا مستمرا .

عندما يتبنى فريق من الناس فكرة ما نراهم يسارعون الى تنظيم جمعية او حزب ينضمون اليه ، وهذا التطور السريع له ميزته الكبرى ؛ ولكن في اغلب الاحزاب تبرز في هذه المنظمة او الحزب شخصية موهوبة تصلح للزعامة فتفرض نفسها والحركة لا تزال في بدايتها وتعمل على رسم سياستها وتوجيهها . لكن هذا الاستئثار قبل ان تنتشر الفكرة بشكل كاف يؤدي في اغلب الاحيان الى نتائج سيئة ويكون وبالا على الفكرة وعلى الحزب الذي يأخذ بها .

لذلك يجب العمل على نشر الفرة اولا، وحين تجمع حولها عددا ضخما من المؤيدين ، يمكن البحث عن الاشخاص المؤهلين الزعامة . ويخطىء من يعتقد أن العلوم النظرية تكفي للشخص بأن يصبح مؤهلا لاحتلال مركز الزعامة ، فالمفكرون لما يصلحون للتنظيم لان عظمة المفكر ومؤسس المنهج تقوم على المعرفة وسن القوانين لكن المنظم يجب أن يكون رجلا عمليا مطلعا على نفسية البشر ليعالج القضايا بشكل موضوعي ، ولا يسقط من حسابه، في محاولته انشاء منظمة حية ، الضعف البشري والنزوات الحيوانية .

من النادر ان نجد صاحب فكرة مؤهلا للزعامة . ولكن باستطاعتنا ايجاد زعماء بين صفوف المحرضين مثلا لانهم يكونون أعلم من غيرهم بنفسية الجماهير نتيجة احتكاكهم بها . فالمفكر دائما منطو على نفسه مستغرق في تأملاته بمعزل عن الناس . فالتوجيه والقيادة يعنيان تحريك الناس أو الشعب . اما موهبة خلق النظريات والمبادىء فانها لا تؤهل صاحبها للزعامة.

لقد اجهد فريق من المتناظرين انفسهم في نقاش طويل حول مسألة عقيمة هي : من يستحق شكر الانسانية : صاحب الفكرة ام منفذها ؟ وقد سهى عن بالهم ان اعظم الافكار تبقى بدون قيمة ان لم يخلق لها زعيم يتمكن من جذب الجمهور اليها ، كما ان اقدر الزعماء واذكاهم يبقى عاجزا عن توجيه حركة لا يضع اهدافها رجل مفكر . ولكن اذا اتفق واجتمعت في شخص واحد مواهب الفكر والتنظيم والزعامة ، وهذا نادر ، انبثق من هذا الاجتماع الرجل العظيم ـ الفوهرر ـ

قلت انني انصرفت الى تنظيم الدعاية وقد وضعت نصب عيني توفير نواة العتاد البشري الذي يمكن اعتماده كاساس للعمل المنظم . وبتوفر النواة تألفت العناصر الاولى للمنظمة ، فقسمناها الى قسمين : الانصار والاعضاء. واصبح من واجب الدعاية حشد الانصار ، ومن واجب المنظمة نفسها كسب الاعضاء اما الفرق بين الانصار . والاعضاء فهو ان الانصار تؤيد مبادىء الحركة واهدافها ، اما الاعضاء فهم الذين يجاهدون في سبيل هذه الحركة .

ان عمل الدعاية هو في كسب الانصار ، وعمل الاعضاء هو اختيار الانصار وجعل المناسب منهم عضوا في الحركة ولا يتطلب من الانصار اكثر من الاخذ بالفكرة ولكن العضو عليه ان يمثل هذه الفكرة ويدافع عنها وينشرها . لذلك كان الاعضاء قلة في المنظمة وكان الانصار اكثرية ساحقة .

كان على الدعاية التي عهد الي بتنظيمها وتوجيهها ان تجمع الانصار للفكرة ، وبعد ذلك تختار الحركة الاعضاء من بين هؤلاء الانصار ، ولم يكن على الدعاية ان تعرقل هؤلاء الانصار وتصنفهم حسب كفاءاتهم ومعارفهم ، فهذه الغربلة من اختصاص المنظمة نفسها التي يمكنها اختيار الاعضاء الصالحين لتوجيه الحركة والسير بها الى النصر .

★

تعمل الدعاية على نشر فكرة ما بين الشعب كله ، اما المنظمة فلا تدخل لديها الا الذين لا يستطيعون ، لاسباب سيكولوجية ، ان يقفوا حجر عثرة في طريق انتشار الفكرة .

★

تدخل الدعاية في ذهن الشعب فكرة من الافكار وتعمل على ترسيخها في اذهانهم معدة اياهم ليوم النصر . اما المنظمة فتكافح في سبيل النصر معتمدة على هؤلاء الانصار وخاصة على الذين يتصفون بالشجاعة والاقدام .

★

يتوقف انتصار الفكرة على مدى النجاح الذين تحرزه الدعاية في كسب الانصار . اما انتصارها فيبقى مرتبطا بتنظيم الهيئة التي يعهد اليها قيادة النضال .

تظل الحركة بحاجة الى العديد من الانصار مهما بلغ عددهم ، ومتى تمكنت الدعاية من اقناع شعبا كاملا تتمكن بالتالي المنظمة من استغلال هذا النجاح بقبضة من الرجال . لذلك فان كل خطوة موفقة تقوم بها الدعاية تخفض من عدد الاعضاء العاملين ، اما وبحال فشلت الدعايات المنظمة فان الحركة ستحتاج الى جهاز اكبر من الموظفين والاعضاء . لذلك يمكن القول ان عدد الانصار يزداد نتيجة فشل الدعاية وينقص نتيجة نجاحها .

*

اول مهمات الدعاية اجتذاب الناس الى الحركة ، واول مهمات المنظمة كسب هؤلاء الناس ليتابعوا الدعاية وثاني المهمات الدعائية هي اثارة النقمة على الاوضاع السائدة واقناع الناس باعتناق العقيدة الجديدة . اما مهمة المنظمة الثانية فهي الجهاد من اجل القوة لاستخدامها في تهديم اسس الاوضاع السائدة ونصرة العقيدة الجديدة .

*

يضمن النجاح لحركة ثورية جديدة اذا مهد لها بتعليم الشعب كله مفهوما جديدا للكون والحياة ؛ او حتى بفرض هذا المفهوم فرضا عند اللزوم . ففي كل حركة ذات اهداف انقلابية يجب على الدعاية ان تقوم بنشر مبادىء تلك الحركة وتشرحها وترسخها في عقول الناس ، او على الاقل تسعى لزعزعة العقائد القديمة . والدعاية بحاجة الى مرتكز قوي يمكن توفيره بواسطة قوة المنظمة التي تعتبر كمرتكز للدعاية وعلى المنظمة ان تختار اعضاءها من بين الانصار التي استمالتهم الدعاية الى صفوف الحركة الجديدة . وتشتد قوة المنظمة حين يقبل الناس على اعتناق الفكرة كما يتسع نشاط الدعاية حين يكون وراءها منظمة قوية .

*

على المنظمة ان تسعى دائما لمنع ظهور اي خلافات بين اعضائها ، تلك الخلافات التي من شأنها احداث شقاق يؤدي الى اضعاف الحركة ، وبالتالي عليها ان تسهر على الابقاء على روح الكفاح مشتعلة لتقوى وتزداد يوما بعد يوم . ولتحقيق هذا الفرض المزدوج لا تحتاج المنظمة الى زيادة مطردة في عدد اعضائها ، لان الحزم والشجاعة هما من صفات القلة المختارة ، وفي التاريخ اكثر من دليل على ما آلت اليه الحركات التي نمت بسرعة من ضعف وتفكك ، لانها فتحت ذراعيها بعد نجاحها الذين رفضوا الاعتراف بها ومساعدتها قبل ان تبلغ هذا النجاح .

ان الحزب ذو الاهداف الانقلابية سيفقد طابعه الثوري حين يزداد عدد اعضائه بصورة غير طبيعية على اثر احرازه انتصارا حاسما . لان الجبناء والانانيين الذين وقفوا موقفا لا مباليا من الحركة اثناء كفاحها الاول لا بد

لهم بعد انتصارها من التزلف لها وخطب ودها . فاذا هي قبلت بهم وادخلتهم في منظمتها فسرعان ما يحولوها عن اهدافها الحقيقية ويسخروها لخدمة مصالحهم الخاصة .

لذلك كان علي اقناع رفاقي بوجوب اقفال الباب في وجه الجمهور حين نحرز اول انتصار حاسم لنا ، لنتمكن من المحافظة على النواة السليمة والخيرة التي اوكلنا اليها مهمة القيادة والتوجيه والسعي لتحقيق اهداف الحركة .

*

باشرت باعداد الافكار الجديدة للحركة الوطنية الاشتراكية ، بصفتي مديرا للدعاية في الحزب ، وحرصت في نفس الوقت على تصفية العناصر المائعة والمترددة والخائفة واقصائها عن اللجان التنفيذية والهيئات العاملة . وقد اقر لي المئات من الانصار انهم مع كونهم مخلصين للحركة كأعضاء عاملين وذلك لاعتبارات شخصية او خوفا من المتاعب التي هم بغنى عنها . فلو فتحنا مجال الدخول لعضوية الحزب امام هذا النوع من الانصار المترددين لكنا قضينا على الحركة في مهدها ولاصبحت حركتنا حركة اخاء وحب وتقوى .

وقد ترتب علي اعطاء الشكل النضالي الحي لحركة الدعاية التي تسلمتها ، ترتب على ذلك اظهار الحركة الوطنية الاشتراكية بمظهر التطرف ، مما اقصى عنها الاتكاليين والوصوليين والانتهازيين وضعفاء النفوس ، وجعل عضويتها وقفا على المتصفين بالجراة والاقدام .

في صيف عام ١٩٢١ لجأ فريق من العنصريين النظريين الى الاتفاق مع رئيس الحزب لوضع ايديهم على الحركة والانحراف بها عن غايتها . لكننا احبطنا المحاولة وانتخبتني الجمعية العومية رئيسا للحركة واعطتني صلاحيات مطلقة للعمل . وفي نفس الوقت وافقت الجمعية العمومية على مشروع نظام يخول الرئيس المنتخب صلاحيات جديدة ويحد بالتالي من صلاحيات اللجان والهيئة المركزية اي مكتب الحزب . وقد بدأت عهدي الجديد باعادة تنظيم الحزب لان الحركة كانت قد تبنت الانظمة التقليدية ووزعت السلطة بشكل ضاعت معه المسؤوليات .

ففي عامي ١٩١٩ ـــ ١٩٢٠ قامت بادارة الحركة لجنة انتخبتها مجالس الاعضاء . وكانت هذه اللجنة تتألف من رئيس ورئيس ثان وامين صندوق وامين ثان وامين سر ومعاون ، يضاف اليهم جميعهم لجنة من الاعضاء ورئيس الشؤون الدعاية وغيرهم وغيرهم ...

وكانت هذه اللجنة المنتدبة صورة مصغرة لما كانت الحركة تحاربه اي النظام البرلماني . وكانت اجتماعات اللجنة صورة طبق الاصل عن

جلسات البرلمان ، فالقرارات تتخذ بالاغلبية والمسؤولية تائهة ضائعة وكذلك المؤهلات .

وكان للجنة امناء سر وامناء صندوق وهيئة لتنشئة الاعضاء الجدد وهيئة للدعاية وغير ذلك .. وكان هؤلاء يشتركون جميعهم في درس القضايا المعلقة ويصوتون عليها . وهكذا كان الرجل المختص في شؤون الدعاية والتنظيم .

لقد انتقدت هذه الفوضى حين كنت عضوا عاديا ، وبعد ان كلفت بشؤون الدعاية انقطعت عن حضور الاجتماعات ، ومنعت اعضاء اللجنة من التدخل في الحقل الذي افردته الحركة لنشاطي .

وما ان انتخبت رئيسا وخولت الصلاحيات الكاملة بموجب النظام الجديد حتى باشرت بوضع حد للفوضى السائدة ، وحصرت المسؤوليات بي شخصيا . وابتداء من شهر ايلول ١٩٢١ اصبح الرئيس الاول هو المسؤول الوحيد عن الحركة : فهو الذي يكلف اعضاء اللجنة بمهماتها ، ويختار معاونيه وبوجهه ويعتبر كلا منهم مسؤولا تجاهه عن المهمة التي كلف بها ، وسرعان ما الفت الحركة مبدا المسؤولية المطلقة . اما الاقلية التي لم ترق لها الاوضاع الجديدة فقد طردتها من الحزب وبلغت جميع الفروع بوجوب طرد كل عضو يحن الى مبدا الاكثرية ، لان الحركة التي اخذت على عاتقها محاربة النظم البرلمانية يجب ان تحرر نفسها من تلك النظم قبل تحرير البلاد . وقلت في خطابي الذي القيته في الجمعية العمومية ان الحركة التي تقوم في زمن طغى فيه مبدا الاكثرية على مبدا مسؤولية الفوهرر ، هي الحركة المؤهلة لتغيير الاوضاع القائمة وانشاء نظام جديد يصلح ما افسدته الانظمة القديمة .

عندما انضممت الى الحزب في خريف ١٩١٩ ، كان عدد الاطباء المؤسسين ستة فقط . ولم يكن للحزب مكتب ولا موظفون حتى ولا ادوات للكتابة ، وكانت اللجنة المؤسسة تعقد اجتماعاتها في المقاهي او الحانات . ولكن منذ ان انضممت الى الحزب حاولت ان اجد مكانا يصلح لعقد الاجتماعات . وكان علي ان اراعي حالة الحزب المالية فلا ارهق ميزانيته في المصاريف ، فوجدت في حانة ستربنكر في شال «تال» حجرة كانت ملتقى مستشاري «الامبراطورية المقدسة » في بافاريا كلما ارادوا عقد اجتماع سري .

كانت الغرفة مظلمة تطل نافذتها الوحيدة على زقاق ضيق ، حتى اننا كنا نلاقي صعوبة في تبين طريقنا الى الباب» في النهار . ولم يكن باستطاعتنا استئجار مكان انسب منه باعتبار ان وضع صندوق الحزب لا يسمح بذلك . ومع هذا كان ما حققناه في هذا المضمار يعتبر خطوة لا بأس بها . ولم تمض مدة طويلة حتى اوصلنا الكهرباء الى الغرفة المظلمة وكذلك حصلنا على هاتف

خاص كما تبرع بعض الرفاق المقتدرين بشراء مكتب وبضعة كراسي وخزانة صغيرة . ولما لم يكن للحزب موظفون للاعمال الروتينية فقد اقترحت تعيين امين سر للحزب فوقع اختيارنا على احد اصدقائي القدامى وهو جندي قديم يدعى شوسلر الذي اضطلع باعباء المهمة دون ان ينفك عن عمله . فكان يعمل في المكتب ساعتين يوميا من السادسة صباحا حتى الثامنة ، ثم ازدادت مسؤولياته كأمين سر وذلك بازدياد نشاط الحزب واتساع نطاق عمله فترك عمله الخاص وحصر نشاطه في خدمة الحزب ، واستجلب آلة ناسخة كان يمتلكها ووضعها في المكتب لتساعده في عمله ، ولكن الحزب اشتراها منه بأموال التبرعات ؛ كما اشترى صندوقا حديديا لحفظ الملفات والوثائق الهامة .

في نهاية عام ١٩٢٠ انتقلنا الى مكتب جديد في شارع كورينوس مؤلف من ثلاث غرف وقاعدة كبيرة . وفي شهر كانون الاول من العام نفسه عمل الحزب الوطني الاشتراكي على اصدار جريدة ، فأخذ على عهدته اصدار جريدة « فولكيشر بيوباختر » التي كانت تمطق على النزعة العنصرية فبدأنا باصدارها نصف اسبوعية الى أن اصدرناها في مطلع عام ١٩٢٣ يومية وبحجم كبير . لكنها كانت الجريدة الوحيدة ذات الميول العنصرية في بلد تتلاعب بعقول سكانه الصحافة اليهودية المضللة . وقد شعرت في اللحظة الاولى لانتقال الجريدة الى الحزب انها اضعف من ان تثبت ضد حملات الصحف المادية وان تنافسها من حيث الانتشار والرواج . اما سبب الضعف فيعود الى قلة الامكانات المالية وقصر نظر القائمين على ادارة الصحيفة . فقد اعتقد هؤلاء أن جريدة الحزب يجب ان تكتفي بمواردها الخاصة ؛ أي بما تجنيه من أجور اشتراكات واعلانات ومبيعات . اما انا فقد اعتبرت الجريدة مشروعا تجاريا وقد ناقشت اللجنة المركزية مرارا الى ان اقنعتها وحملتها على الاخذ بوجهة نظري ، فعملت بعد ذلك على اختيار مدير تجاري لجريدة الفولكيشر بيوباختر . وشاءت الظروف ان يضع في طريقي احد الرؤساء في خط النار « ماكس أمان » وهو رجل يتمتع بمواهب تنظيمية خارقة ، وكان الحزب في ذلك الوقت يجتاز مرحلة دقيقة ويعاني ازمة مالية خانقة . فناشدته ان يدير شؤون الحزب المالية والتجارية ، فوافق بعد تمنع كثير بسبب مشاغله الكثيرة الناجحة التي كانت تأخذ كل وقته . لكنه اشترط للاضطلاع بهذه المهمة ان تطلق يده في العمل ؛ فلا تتدخل اللجنة في عمله ضمن الحزب .

وقد تولى ماكس امان الاشراف على الجريدة من الناحية المالية ، ولم تمض ثلاثة اشهر حتى كانت مالية الحزب منتظمة على اساس تغطية النفقات العادية بالعائدات العادية ، وانفاق المداخيل الاستثنائية في الوجوه

الاستثنائية . وقد نظم ماكس العمل في الحزب كأنه ينظم عملا تجاريا ، فابعد العناصر التي تنقصها الكفاءة من الوظائف في الحزب وفي الجريدة . واستعان في بعض الحقول بأشخاص لهم من الكفاءات والمؤهلات ما ينسجم والمصلحة المالية ، رغما عن كونهم غرباء عن الحزب . وقد عارض المسؤولون هذا الاسلوب ، لكن ماكس لم يلتفت لمعارضتهم هذه باعتبار ان الانتساب للحزب لا يؤهل المنتسب لاداء مهام هو غير كفوء لها . الا ان هذا لم يمنعه من الاستغناء عن خدمات الغرباء حين يجد بين الاعضاء من تتوفر فيه الشروط المطلوبة .

وبفضل حزم المدير الجديد للحركة استطاع الحزب ان يتخطى الازمة المالية بسلام ، فازدهرت جريدة « الفولكيشر بيوباختر » وتصدرت مكانها اللائق بين الجرائد الرئيسية في بافاريا ، وبعد ان انتخبت رئيسا للحزب تخلص ماكس نهائيا من مداخلات اللجنة لان النظام الجديد وزع الاختصاص توزيعا دقيقا انتفى معه تعارض الصلاحيات ، واصبح كل عضو مسؤولا عن الحقل الذي تعود اليه ادارته . وعندما حلت السلطات الحزب يوم التاسع من ايلول عام ١٩٢٣ وصادرت امواله وممتلكاته بما فيها جريدة « فولكيشر بيوباختر » بلغت قيمة هذه الممتلكات ١٧٠ الف مارك ذهبي .

*

- ١٨ -

الحركة النقابية

في عام ١٩٢٢ اضطرنا نمو الحركة الى تحديد موقفنا من قضية لم تظفر حتى يومنا هذا بحل نهائي .

فحين كنا نبحث عن الوسائل التي تمكننا من غزو قلوب الشعب كنا نصطدم باعتراض لا سبيل الى انكار اهميته : لا يتمكن العامل او اي شخص كادح آخر ، ان ينذر نفسه للحركة التي ندعو اليها طالما ان مصالحه الاقتصادية ممثلة في اشخاص تختلف آراؤهم السياسية عن آرائنا .

ذلك ان اي عامل او ذي حرفة لا يتمكن من ممارسة اي عمل خارج النطاق النقابي ، فضمن نطاق النقابة يشعر بالاطمئنان الى وجود حماية له ولحرفته . وعند ظهور حركتنا كان هناك ثمانين بالمئة من العمال واصحاب الحرف منتظمين في نقابات وجمعيات تعاونية ناضلت طويلا في سبيل رفع الاجور وتخفيض ساعات العمل .

وقد وقف البورجوازيون ، احزابا وافرادا ، من الحركة النقابية موقف المتفرج اللامبالي ، ولكن ما ان اشتد ساعد النقابات وسيطرت عليها الماركسية حتى وقف البورجوازيون لمحاربتها على الصعيد النظري البحت ، عوضا عن معالجة هذه القضية بروح ايجابية محاولين استمالة هذه الحركة الجديدة

الى جانبهم ليستخدموها في مكافحة الماركسية .

وقد دافعت ، في فصل سابق ، عن الحركة النقابية واعترفت بحق الطبقات العمالية في التحالف والتكتل والدفاع عن مصالحهم وحقوقهم ما دام هناك ارباب عمل انانيون لا يهمهم الا الكسب المادي ومراعاة مصالحهم الخاصة . ولم تتغير وجهة نظري مذ ذاك لان عقلية ارباب العمل لم تتغير ، لذلك وجب على الحزب ان يحدد رايه وموقفه من هذه القضية قبل ان يحاول استمالة العمال الى صفوفه لا سيما النقابيين .

فان علينا ان نفصل في القضايا التالية :

١ ـ هل من الضرورة قيام النقابات ؟

٢ ـ اينبغي للحزب النازي ان يعتبر نفسه هيئة تعاونية ام يجوز له ان يعمل على ادخال اعضائه في اطار نقابي معين ؟

٣ ـ اذا انشأ الحزب نقابة نازية محضة ، فما هي اهداف تلك النقابة وما هي واجباتها ؟

اظن انني وضحت رايي في المسألة الاولى ، حين اعترفت بضرورة قيام النقابات في الاوضاع الراهنة . لان المؤسسات النقابية تاتي في طليعة المؤسسات ذات الاثر في حياة الامة اجتماعيا واقتصاديا لان شعبا يؤمن لسواده حاجاته الحيوية ضمن نطاق مؤسسة نقابية معترف بها ، لهو شعب قادر على الانتصار في معركة البقاء بفضل تمتعه بقوى روحية ومادية ضخمة .

ولا ننسى اهمية النقابات في البرلمان الاقتصادي الذي يجب ان تؤلفه الغرف التجارية والاقتصادية في الدولة العنصرية .

ان الاعتراف بضرورة قيام الحركة النقابية يجعل المسألة الثانية سهلة الحل . فالحركة النازية (وقد اسميناها كذلك منذ عام ١٩٢٣) التي تهدف الى انشاء الدولة العنصرية لن تسمح بوجود مؤسسات على هامش الدولة ، بل ستحرص على قيامها جميعا من صميم الدولة . لكن حركتنا لن تقع في الخطا الذي وقع فيه سواها ، فتحاول اعادة تنظيم الاجهزة قبل ان تحصل على العناصر المؤهلة للتنظيم ، لان القيام بخطوة حاسمة في هذا السبيل يجب ان يسبقه اختيار رجال مشبعين بالفكرة مؤمنين بها . نعم ، من الممكن فرض مبادىء زعيم او دكتاتور على جهاز اجتماعي ما ، لكن هذا المبادىء تبقى ضعيفة اذا لم يأخذ بها جيش بشري منتخب وقادر على تحقيق فكرة الفوهرر .

لن تقع النازية في الاخطاء التي وقعت بها الاحزاب في العهد الجديد ـ العهد الجمهوري ـ فقد اعتقدت تلك الاحزاب ان مجرد سنها دستورا جديدا للبلاد سيضمن لها الاستقرار والبقاء . وقد رايناها ترتجل دستور « فيمار » وتقدمه هدية الى الشعب الالماني ، ثم وجدناها تهدم المؤسسات

القائمة وتشيد على انقاضها مؤسسات جديدة تتوكأ عليها الدولة كأسس لسلطتها .

سيكون للدولة النازية مؤسساتها ، ولكنها لن ترتجل هذه المؤسسات لان الحركة الوطنية الاشتراكية لن تبنى على الرمال ، ولكنها تنظم نفسها منذ الان كما لو انها دولة بكل ما في هذه الكلمة من معنى . وكل مؤسسة نازية تقوم الان تكون بمثابة النواة لان تصبح فيما بعد احدى دعائم الدولة النازية ، وهكذا تصبح حركتنا بمنظماتها ومبادئها ومفاهيمها المؤسسة الكبرى التي نعتبر تحقيقها المبرر الوحيد لقيام حزبنا .

لذلك وجب على الحركة النازية ان تنظم نفسها على اساس التعاون ، او ان تؤسس تعاونيات نازية صرفة ، كما ينبغي للحركة النازية ان تربي العمال واصحاب العمل تربية نازية مسهلة للطرفين سبيل التعاون ضمن اطار المصلحة المشتركة ، فبغير هذا التقارب يبقى الجهد المبذول في سبيل بعث الجماعة الشعبية حبرا على ورق ...

بقيت لدينا المسالة الثالثة :

لن تكون الحركة النقابية النازية كجهاز للنضال الطبقي ، بل ستكون جهازا للتمثيل الحرفي . فالدولة النازية لاتعترف بالطبقات ولكنها تعترف من الناحية السياسية فقط بوجود بورجوازيين متساوين في الحقوق والواجبات العامة ، وكذلك بوجود رعايا لا يتمتعون من الوجهة السياسية بالحقوق المعترف بها للمواطنين .

فالتعاونية لا تعني بالنسبة للحزب الوطني الاشتراكي او النازي اداة للنضال ، لكنها تعني ذلك بالنسبة للماركسية التي سخرتها في الصراع الطبقي كأداة لتفكيك روابط الجماعة الشعبية ، كما استخدمتها اليهودية العالمية في الوقت نفسه كأداة لهدم اسس الاقتصاد القومي لكل دولة مستقلة ليتسنى لها استعباد الشعوب الحرة .

لن يكون الاضراب بالنسبة للنقابات النازية ، وسيلة لتخريب الانتاج القومي وتقويض اسسه ، بل سيكون الاضراب وسيلة من وسائل الازدهار لهذا الانتاج ، فبفضل جهاد النازية وكفاحها ضد العوامل المصطنعة التي تفوت على الاقتصاد القومي فرصة الافادة من نشاط السواد ستبعث بذلك الازدهار والنمو للانتاج القومي .

يجب علينا ان نرسخ في عقل العامل النازي ان ازدهار الاقتصاد القومي ، يفسح له الفرصة للتمتع بالبحبوحة المادية .

يجب علينا ان نفهم رب العمل النازي ان ازدهار مشاريعه تتوقف على اطمئنان عماله الى مستوى معيشتهم وارتياحهم الى وضعهم .

في الدولة النازية يمثل ارباب العمل والعمال الشعب الالماني في الميدان

الذي يعملون فيه ؛ ويتمتعون بقدر كاف من الحرية الشخصية ، لان انتاج الفرد يزداد بحال اعطيت له حرية العمل ضمن الحدود التي ترسمها المصلحة العامة .

لكن حق الاضراب تنكره قطعا الدولة النازية على النقابات اذا كانت اسباب الرفاهية والطمأنينة متوفرة للعامل . ويوم تتجاهل الدولة ـ سواء كانت نازية او غير نازية ـ حقوق العمال والكادحين وتعتبر نفسها حامية لمصالح ارباب العمل ، يصبح عندئذ الاضراب واجبا مقدسا بل من اقدس الواجبات للتعاونيات النازية .

ان المنازعات القائمة اليوم بين ملايين البشر يجب ان توجد لهاتسويات عادلة بواسطة الهيئات الحرفية والبرلمان الاقتصادي المركزي الذي سيضم في كنف الدولة النازية ، ممثلين عن الصناعيين والتجار كما يضم ممثلين عن النقابات . وبقيام هذه المؤسسات يجب ان يزول التنازع بينالبروليتاريا وارباب العمل ، وبالتالي سيمتنع العمال عن المطالبة برفع الاجور وتخفيض ساعات العمل ، كي يتمكن ممثليهم في البرلمان الاقتصادي من حل هذه المشاكل بالاتفاق مع ممثلي الفريق الاخر وذلك لمصلحة الطرفين التي لا تتعارض مع مصالح الدولة .

ولكن كيف يمكننا انشاء هذه التعاونيات التي تتوفر فيها الشروط المذكورة .

ان وضع الاسس في ارض بكر اسهل من وضعه في ارض سبقاستعمالها للغرض نفسه . وليس هناك اسهل من فتح دكان في منطقةخالية منالدكاكين ولكن فتح الدكان هذا في منطقة تشكو تضخما في الدكاكين لهو مغامرة كبرى، لا سيما اذا كان الدكان يبيع نفس البضاعةالموجودة في الدكاكين القديمة ، ففي هذه الحالة يتوجب على الجديد أن يضاعف جهوده ليتمكن من الثبات، كما يتوجب عليه السعي لازالة المزاحمين من طريقه . وهذا ينطبق على النقابات تماما ، فقيام نقابة نازية الى جانب نقابات اخرى لن تعطي ثمارها لان هذه النقابات لن تتسامح مع النقابات الاخرى ولو كانت هذه النقابات صديقة ، ولا تدخر وسعا في سبيل القضاء عليها ليخلو لها الجو ، لذلك فقد وجدت حركتنا نفسها امام امرين :

١ ـ انشاء تعاونية نازية ومحاربة النقابات الماركسية القائمة .

٢ ـ التسلل داخل النقابات الماركسية ونشر مبادىءحركتنا في صفوف النقابيين لكسبهم جنودا لمثلنا .

لم يكن حزبنا في وضع مالي يمكنه من اعتماد الطريقة الاولى ، وكان تدهور النقد الالماني بشكل مطرد من الاسباب التي لم تشجع الحزب على الاغراء بالفوائد المادية للذين تمكن دعوتهم الى الانتظام في تعاونية وطنية

اشتراكية صرفة . يضاف الى هذا العامل الرئيسي عاملا اخرا لا يقل عنه اهمية هو افتقار حركتنا الى شخصيات قوية يمكن الاتكال عليها في امور تنظيم الحركة النقابية الوطنية الاشتراكية . ولو وجدت هذه الشخصية وقدر لها نشر فكرة التعاونية النازية والقضاء على النقابات الماركسية . لو وجدت هذه الشخصية لوجب علينا رفعها الى مرتبة العظماء الالمان وان نقيم لها تمثالا في كل مدينة وقرية . .

ان الذين يسيطرون على مقدرات النقابات الماركسية ليسوا افذاذا ، وحتى الذين انشأوا هذه النقابات ورسموا لها اهدافها لم يكونوا نوابغ ، علما ان هذه النقابات حين تم انشاؤها لم يكن عليها ان تزيل المنافسين من طريقها ، لذلك كانت مهمة الذين انشأوها سهلة لكن الحركة النازية اليوم تواجه عملاقا قويا ثابت القدم متأكدا من مقدرته على الكفاح الطويل .

ان قلعة التعاونية الماركسية يمكن ان يدير شؤنها رجل عادي اليوم ؛ ولكن لا يمكن اقتحام اسوارها بحملة من الهجوم العادي ، ولكن يجب علينا للوصول الى هذا الغرض ، ان نسلم القيادة الى رجل عبقري يتصف بالجرأة والحزم . فاذا لم نجد رجلا كهذا فلا لزوم لنا ان نجهد انفسنا ونحاول قلب الاوضاع الراهنة .

الا يكون افضلا التخلي عن مشروع ما بدلا من تحقيقه بشكل ناقص لعدم وجود الامكانيات ؟

كان وراء تخلينا عن اعتماد الطريقة الاولى اسبابا اخرى منها اقتناعنا التام بان ادخال الاقتصاد في نشاطنا النضالي من شأنه اضعاف هذا النشاط . اذ يكفي ان تقول الدعاية انه بوسع الفرد الالماني ان يبني بيتا اذا هو اقتصد قليلا ، يكفي هذا القول ليتحول الفرد الالماني بكل اهتمامه الى هذه الناحية وينصرف عن السياسة انصرافا كليا ، ويرفض ان يمد يد المعونة الى الذين يناضلون في سبيل القضاء على اللصوص الذين يسلبون المواطنين اموالهم التي وفروها .

وكان رأيي في الاجتماعات الحزبية ان حركتنا لا تزال فتية وطريق الكفاح امامها لا يزال طويلا ، فعليها قبل ان تجابه الحركات النقابيةالماركسية وغيرها من الذين يدورون في فلكها على الصعيد الاجتماعي الاقتصادي ان تعمل اولا على نشر مبادئها ودعوة الشعب الى اعتناق هذه المبادىء ، ولن تتمكن الوطنية الاشتراكية من النجاح الا بعد ان تجند جميع قواها لهذه المهمة ، اما اذا وزعت قواها واعتنت بالاقتصاد والسياسة معا ، فانها ستخسر المعركة في الميدانين .

بقيت الطريقة الثانية وهي ذات اتجاهين : فاما ان ندعو الوطنيين الاشتراكيين الى ترك التعاونيات التي هم اعضاء فيها ، او نطلب منهم البقاء

فيها ليحاولوا بنشاطهم هدمها . وقد اقترحت الاتجاه الثاني ، وكان رأيي دائما ان الاعتناء بالحركة التعاونية سابق لاوانه ، اما حل المشاكل الاقتصادية والاجتماعية فيجب ان يقوم بها الحزب بعد وصوله الى الحكم. وعندما اصر بعض الرفاق على وجوب انشاء هذه التعاونيات النازية ودعمت الاكثرية هذا الاقتراح حدث الانقلاب في الحزب وانتخبت انا رئيسا له ، فاستبعدت الفكرة نهائيا واوضحت في نشرة دورية ان تعاونية نازية تكون مهمتها الوحيدة منافسة التعاونيات الماركسية لن تفيد حركتنا شيئا ، كما ان الحزب بوضعه المالي الراهن لا يتحمل اعباء مالية جديدة لانشاء تعاونيات تصلح للوقوف في وجه الحركة النقابية اليسارية ، لانه يفتقر الى المغريات ولان انصاره من الكادحين لم يتشبعوا بالفكرة الوطنية الاشتراكية بشكل كاف ، بحيث يمكنهم فهم رسالتهم ، كنقابيين نازيين ، بانها كفاح مرير لا ضد النقابات الماركسية كنقابات فحسب ، بل كعقيدة يجب القضاء عليها .

واوضحت في نشرة لاحقة ان خصوم الحركة يقولون ان الحزب النازي يناصب الحركة النقابية العداء لانه ذو ميول راسمالية ، وقلت ان الحركة النازية لم تكن موجهة ضد النقابات من حيث انها مؤسسات ترعى مصالح العمال ، ولكنها ضد النزاع الطبقي وتحارب كل تجمع نقابي يقوم على هذا الاساس .

*

ان الاحزاب التي قامت بعد الحرب لم تكن تدري بهذه الحقائق التي عرضتها فحاولت ان تقلد الماركسيين في الحقل النقابي ، وانشأت بين ١٩١٩ ـ ١٩٢٢ ست نقابات يمينية ونقابتان مستقلتان ، احداهما نقابة عمال الصناعات الخفيفة . لكن جميع هذه المؤسسات لم تدم طويلا ، لانها كانت بحاجة الى التنظيم والى المثالية ، ولان الذين انشأوها كأداة لمحاربة الماركسيين لم يحسنوا تقدير قوة خصمهم الذي سحقهم سحقا حين تحرشوا به ، ولم تقم لهم قائمة بعد ذلك .

*

– ١٩ –

سياسة المحالفات

لم يكن لحكومات الرايخ اي نهج تسلكه في سياستها الخارجية ، لم يكن لديها مبادىء ترتكز عليها سياسة المحالفات التي تنسجم ومصالح البلاد . اما الثورة فلم تفعل شيئا بل تركت الفوضى تدب في الصفوف ، لانه لم يكن

من اهداف الماركسيين واليهود في وقت من الاوقات النهوض بالدولة الالمانية وتقويتها في الداخل والخارج باتخاذ سياسة بناءة مستوحاة من مصالح الشعب الالماني ، بل كان اول اهداف مجرمي تشرين الثاني ١٩١٨ القضاء على الانتاج في المانيا واخضاع البلاد لسيطرة الرساميل الدولية . ولم يسهى عن بال رجال الثورة ان تخلص الرايخ من القيود التي فرضها عليه المنتصرون يعني زوال نجمهم هم ، لان تحرر البلاد من السيطرة الاجنبية يفسح امامها طريق الحرية لتتمكن من اعادة الامور الى مواضعها وذلك بطرد الخونة والمغامرين الدوليين .

ذلك ان الشعب الناهض لتحرير نفسه ينمو فيه الشعور الوطني نموا عجيبا وتستيقظ حواسه الى كل نشاط للعناصر الغير قومية ، فيحاربها دون هوادة . والشعوب تنتفض دائما هذه الانتفاضة كلما واجهت ضغطا اجنبيا يؤدي الى تفجير الاحقاد الداخلية ، فيصب الرأي العام جام غضبه على الفئات الموالية للاجنبي او التي تقف في سبيل نهضته القومية .

وقد ادركت الطفيليات التي استغلت حوادث تشرين الثاني ان سياسة المحالفات ان كانت رشيدة فستقوي الشعور الوطني وتعيد الثقة الى نفوس الالمان فيعيدونها الى القعر الذي خرجت منه ويخلصون البلاد من آثامها . وهذا ما يبين لنا سبب تخبط السياسة الخارجية الالمانية بعد الحرب وسلوكها السبيل الاعوج ، وسوء الادارة الداخلية وتجاهلها لمصالح الامة الحيوية .

لم تكن الحكومات مسؤولة لوحدها عن هذا الوضع الشاذ ، فقد شجعها على تجاهل مصالح البلاد البرلمان المؤلف من اكثرية لا قومية ، والشعب الذي ضرب رقما قياسيا في الصبر وطول البال . ولا بد من الاقرار ان حزبنا لم يهتم بالسياسة الخارجية اهتماما كبيرا وهو بعد حركة ناشئة تحاول ان تثبت وجودها . وكانت حجتنا أن كسر القيود التي فرضها الاجنبي لا يتم الا بعد القضاء على الضعف الداخلي والاطاحة بالذين يستغلون هذا الضعف . لذلك ركزنا الاهتمام على الاصلاح الداخلي اولا والشؤون الخارجية ثانيا .

وعندما قويت الحركة وازداد عدد انصارها وجدت نفسها مضطرة الى تحديد موقفها من المسائل التي كانت تثيرها معاهدات الصلح ، وهي لم تكتف بهذا القدر ، بل عمدت الى وضع الاسس التي يجب ان تتمشى عليها السياسة الخارجية الالمانية ، دون ان تبتعد عن المخطط العام الذي ترتكز عليه مفاهيمنا العقائدية .

كان على حركتنا ان تثقف الشعب وتدل المسؤولين الى الطرق الواجب اتخاذها ليتمكن شعبنا من استخلاص حقوقه واستقلاله . وقد وضعنا

امامنا المبدأ الاساسي التالي :

السياسة الخارجية هي الواسطة لبلوغ غاية سامية . والغاية هي خدمة مصالح الشعب . فكل مسألة من مسائل السياسة الخارجية يجب ان تراعي بحلولها مصلحة الشعب في حاضره ومستقبله وان تنبذ كل حل يعود بالضرر على هذه المصلحة .

هذا هو الاعتبار الوحيد الذي يجب علينا ان نقف عنده والذي تسهل امامه جميع الاعتبارات الاخرى من دينية وانسانية وغيرها . . .

❋

قبل الحرب كان على السياسة الخارجية ان تهتم بتوفير الغذاء لشعبنا بتمهيد السبل الموصلة الى هذه الغاية ؛ وان تؤمن للرايخ قوة اضافية باعتمادها نظام محالفات مستوحى من الاختبارات . وقد بقيت هذه المهمة عينها بعد الحرب مع فارق واحد ، فقبل عام ١٩١٤ كان على المانيا ان تحافظ على كيان الشعب وتؤمن له مسببات البقاء ، معتمدة على دولة قوية ومستقلة ، اما اليوم فعلينا ان نعيد الى شعبنا المقدرة على بعث الدولة القوية الحرة ، فبدون هذه الدولة القوية لا يمكن ممارسة سياسة خارجية قادرة على صون كيان الشعب وتأمين غذائه واسباب نموه .

ومجمل القول : يترتب على سياسة المانيا الخارجية في الوقت الحاضر ان تهيىء للشعب الالماني السبل التي يجب عليه ان يعتمدها ليستخلص استقلاله ويسترد اعتباره وحريته . ولا يسهى عن بال الذين يثبطون العزائم بآرائهم السخيفة ان توحيد اراضي الدولة ليس بالشرط الاساسي لنجاح الثورة التحررية ، فيكفي ان يحصل على الحرية جزء صغير من الدولة ليتولى اعداد العدة للكفاح واسترداد حقوق الشعب المسلوبة .

وعندي ان شعبا يفضل العبودية على رؤية بلاده مجزأة هو شعب لا يستحق الحرية ؛ وافضل منه الف مرة شعب ينهض القسم المتحرر منه لتحطيم الاستعمار وقيادة معركة الخلاص التي تزيح الكابوس عن الشعب كله . ولا يكفي ان يعلن القسم الحر الطليق ان الشعب متحد اتحادا روحيا وثقافيا ، بل عليه ان يتخذ الاجراءات الكفيلة بدعم بقية الشعب الذي يرزح تحت وطأة الظلم فيمده بالسلاح ويدربه على استعماله ويحثه على العمل المشترك لجمع شتات الامة .

وعندما يكون الامر متعلقا بدولة اضاعت جزءا من ارضها ، يتوجب على الوطن الام ان يبدأ باسترداد اعتباره واستعادة قدرته السياسية قبل ان يفكر باسترداد الجزء الذي اضاعته . وبكلمة اخرى ان مصالح الاراضي المفقودة يجب ان يضحى بها في مثل هذه الاحوال وذلك للالتفات الى ناحية اهم وهي تحرير الوطن الام . ذلك ان تمنيات الجزء المغتصب ومعارضة

الاجزاء المتمتعة بالحرية لن تفيد شيئا ولا تؤدي بالتالي الى تحرير المناطق الخاضعة لسيطرة الاجنبي ؛ فمهمة التحرير مناطة بالاجزاء المتحررة، ولكي تتمكن هذه الاجزاء من القيام بهذه المهمة ينبغي لها ان تقوي نفسها وتزيد من امكانياتها ليصبح في مقدورها يوما ما ان تحمل السلاح في وجه العدو المستعمر وتجبره على الرحيل .

ان صناعة سلاح الانتقام والتحرير يجب ان تقوم به سياسة الحكومة الداخلية . كما ان مهمة السياسة الخارجية فتكون في تمكين صانع السيف من العمل في جو يسوده السلام والطمأنينة .

*

في الجزء الاول من الكتاب شرحت العوامل التي انحرفت بسياسة المانيا الخارجية عن اهدافها قبل الحرب . لقد كان هناك اربع وسائل بامكاننا اعتمادها كلها او احداها في محاولاتنا الحفاظ على كيان شعبنا وتأمين الغذاء له . وقد اختارت السلطة في ذاك الوقت احدى الوسائل فنهجت سياسة استعمارية وتجارية ظنا منها ان هذه السياسة لن تشكل خطرا على المانيا ولن تضطرها بالتالي الى مسلك السلاح . ولكن النتيجة كانت اندلاع الحرب العالمية وهزيمة الرايخ .

كان على الرايخ ان يلجأ الى وسيلة غير التي اتبعها : فكان بامكانه التوسع في اوروبا نفسها وعلى حساب اوروبا نفسها ومن ثم يفكر بنهج سياسة الاستعمار . اما التوسع في اوروبا فيجب ان يسبقه تفاهم بين المانيا وانكلترا او تخصيص موارد الدولة كلها على تعزيز الجيش بحيث تزداد قوتها العسكرية وتنمو على حساب نشاطها في بقية الحقول ولا سيما الحقل الفكري . لكن الرايخ لم يقدم على هذه الخطوة ؛ وقد سهى عن بال المسؤولين ان النهضة الفكرية هي بنت الاستقلال السياسي ، وان الامة التي تنتابها الهواجس ويستبد بها القلق على مستقبلها لن تتمكن من تقديم نتاجا فكريا ذا قيمة . فالتضحيات مهما كانت قيمتها فانها تهون في سبيل حرية الامة ، ومتى توفر لدى الامة قوة عسكرية ضخمة وذهب عنها الخوف امكنها عند ذلك ان تعوض عن ما فاتها في ميادين الثقافة . فالنهضةالفكرية في عصر بيركليس جاءت بعد حروب طاحنة بين الاغريق والفرس . وقد رأينا الجمهورية الرومانية تنصرف الى العلوم والفنون وغيرها من ميادين التثقيف حالما تحررت من المخاوف والهموم التي سببتها الحروب .

ولكن هل كان منتظرا من الاكثرية الجاهلة او البرلمانيين الثرثارين والساسة الانتهازيين ان يقدموا الاهم على المهم وان ينشئوا الاعداد العسكري الكافي ، مضحين في هذا السبيل بما يعتبره الشعب الجاهل مصالح هامة .

كل هذا كان ممكنا تحقيقه على يد رجل مثل فردريك الكبير الذي كان شغله الشاغل تقوية الرايخ ، عسكريا وسياسيا . اما الذين كانوا يأملون من النظام البرلماني الديموقراطي اليهودي خطوة كهذه فقد كانوا اغبياء حقا ؛ لان تقوية الرايخ عسكريا وسياسيا هي اخر ما يفكر به البرلمانيون الذين باعوا انفسهم للشيطان .

دخلت المانيا الحرب العالمية دون ان تكون مستعدة لها ، وعندما شعر المسؤولون بالضعف كان الاوان قد فات فاضطروا ، والحالة هذه ، الى البحث عن حلفاء يعتمدون عليهم ليسدوا هذا النقص ولكنهم بدلا من ان يحالفوا الانكليز ليتوسعوا في الشرق او يحالفوا الروس ليأمنوا شرهم ويتفرغوا لمقارعة الاعداء في الغرب ، اغضبوا الروس والانكليز معا ، ولم يجدوا من يحالفوه الا آل هابسبورغ .

*

هكذا كانت سياسة المانيا الخارجية قبل الحرب العالمية . اما سياستنا الخارجية في هذا العهد فهي تتخبط في دياجير الفوضى ولا يعرف لها نهج ولا هدف .

اذا قمنا بدرس اوضاع الشعوب الاوروبية من حيث قوة كل شعب منها نطلع بالحقائق التالية :

ان ابرز ما نجده في تاريخ اوروبا منذ منتصف القرن السابع عشر الى اليوم هو سياسة توازن القوى التي اتبعتها انكلترا ، فهي توقع بين دول القارة الاوروبية من وقت لاخر لتتمكن من تحقيق اهدافها الاستعمارية دون عناء . ومنذ ان تولت الملكة اليزابيث تميزت الدبلوماسية الانكليزية بطابع تقليدي لا يزال لاصقا بها وهو التصدي بجميع الوسائل لقيام دولة اوروبية قوية تستطيع اخضاع اوروبا لسيطرتها او الوصول الى مركز مرموق بين مجموعة الدول الاوروبية .

ولتنفيذ هذه السياسة اعتادت انكلترا اللجوء الى وسائل عديدة ، ولكن بعزم وقوة ارادة لم تخذلانها ابدا ؛ فكانت تقوى وتتوسع بعد كل نزاع يدمي اوروبا ويستنفد قواها . وعندما انفصلت عنها مستعمراتها في اميركا الشمالية حرصت على حماية ظهرها ، فبدأت بتصفية حساب هولندا واسبانيا باعتبارهما دولتان بحريتان ، وبعد ذلك تفرغت للوقوف في وجه فرنسا ومنعها من السيطرة على القارة . وقد تم لها ذلك حين غاب نجم نابليون .

اما بالنسبة لالمانيا ومطامحها التي كانت تنمو ببطء لان الشعوب الالمانية لم تكن موحدة الكلمة ، ولا تشكل بالتالي اي خطر او عقبة تعترض مشاريع الدبلوماسية الانكليزية واهدافها البعيدة . يضاف الى هذا ان السلطات

البريطانية تحرص دائما على اعداد الافكار للخطوة التي يعتزمون القيام بها ، حتى لا يفاجأ الرأي العام بهذا الاتجاه الجديد في السياسة ، وكي لا يلقى الحكام عناء كبيرا في تبريره ، اما هذا الاعداد فيستغرق بعض الوقت، لكن الدعاية تتولاه ببراعة .

حددت انكلترا موقفها من المانيا تحديدا صريحا بعد الحرب السبعينية مباشرة ، اما ساستنا فقد ضيعوا فرصا ثمينة في ذلك الوقت للتفاهم مع بريطانيا التي كانت تبحث عن حليف قوي يعتمد عليه في مواجهة روسيا الآخذة بالنمو ، واميركا التي اقضت بنشاطها الصناعي مضاجع رجال الاعمال في العالم المتمدن . وعندما سحقت قواتنا الجيش الفرنسي في سيدان بعد ان تقدمت الصناعة في بلادنا بشكل جعلها تنافس بريطانيا ، واينا لندن تنظر الينا بغضب وتخطط من جديد لسياستها الاوروبية جاعلة هدفها الجديد وضع حد لنمو المانيا الاقتصادي ومنعها من غزو العالم اقتصاديا . . . وقد تكتلت الدول ذات القوة العسكرية ضدنا بتحريض من انكلترا تحت ستار المحافظة على السلم وحالفتها لانها كانت مقتنعة ان هذه الدول لن تتمكن من الوقوف منفردة في وجه الجبار الالماني . اما الذين عابوا على انكلترا لجوءها الى الخداع وتشويه الحقائق لحمل الدول الاوروبية على معاداتنا ، فقد فاتهم ان كل وسيلة تصبح مشروعة عندما يكون الامر متعلقا بصون كيان الشعب وضمان مستقبله ، وان الترفع عن الخداع في مثل هذه الاحوال هو تقصير في الواجب ان لم نقل خيانة له .

وجاءت الثورة الالمانية لتضع حدا للقلق الذي راود انكلترا وهي تتابع نمونا المطرد فلم يعد لها من مصلحة في ان ترى بلادنا تتمرغ في الحضيض بعد ان حطمت الحرب اضلاعها وقصمت ظهرها . وقد فوجئت انكلترا ، بعد الانهيار الالماني ، الذي أدى الى اختلال التوازن الاوروبي بشكل افسد عليها خططها ومشاريعها البعيدة المدى ، فهي قد عملت وناضلت طوال اربع سنوات لهذه اللحظة واستعدت الدول الكبرى على المانيا لتقلع الشوكة التي كانت تضايقها وها قد انهارت المانيا التي كانت تهدد بالسيطرة على اوروبا كلها ، ولكن في هذه اللحظة برزت لها شوكة جديدة هي فرنسا .

لم يكن في وسع الدبلوماسية الانكليزية ان تفتح صفحة جديدة عندما فوجئت بهذا الواقع ، ولا يمكنها تحويل الراي العام ، الذي اعدته الدعاية للوقوف ضد المانيا ، لا يمكنها توجيه وجهة معاكسة بين ليلة وضحاها . . . يضاف الى ذلك ان انكلترا خرجت من الحرب مثخنة بالجراح هي الاخرى، ولم يكن من الحكمة مناصبة فرنسا العداء في وقت كانت فيه فرنسا قد اخذت مكان الصدارة وراحت تفرض مشيئتها في مفاوضات الصلح وفي المؤتمرات الدولية ، تساعدها في ذلك دويلات اعتادت السير في ركاب

القوي .

كانت المانيا الدولة الاوروبية الوحيدة التي يمكن لانكلترا ان تعتمد عليها في مواجهة فرنسا والحد من مطامعها ، لكن المانيا كانت في ذلك الوقت فريسة الحرب الاهلية ، وكان ساستها يتسابقون الى ارضاء فرنسامسلمين بكل ما يطلب من بلادهم . ولما لم تجد انكلترا من تعتمد عليه اضطرت الى العمل مع فرنسا يدا بيد كيلا يفوتها القطار ويستقل الفرنسيون في العمل لوحدهم .

عندما اشتدت حدة التوتر قبيل الحرب ، كانت بلادنا من الناحية العسكرية في وضع لا تحسد عليه ، فقد كان في اوروبا دولتان بريتان قادرتان على سحق المانيا بتفوقهما العسكري هما فرنسا وروسيا ، فكيف اذا تعاونتا مع انكلترا الدولة البحرية الاولى ؟ ان مركز فرنسا اليوم هو غير مركز المانيا قبل الحرب ويختلف عنه اختلافا كبيرا ، ففرنسا اليوم الدولة العسكرية الاولى في القارة الاوروبية وليس لها اي منافس قوي في هذا الحقل ، ويحمي ظهرها من الجنوب حدود طبيعية تتحطم عليها كل محاولة يمكن ان تحاولها اسبانيا او ايطاليا ، وقد اطمأنت فرنسا الى جانب المانيا بعد ان سقطت هذه مكسورة الجناح ، فضلا عن ان فرنسا تشرف من سواحلها الغربية على المرافق الحيوية في الجزر البريطانية التي تمسي تحت رحمة المدافع البعيدة المدى وفي متناول السلاح الجوي بحال تشوب حرب مع انكلترا . ويمكن ايضا للغواصات الفرنسية ان تضرب المواصلات البحرية البريطانية ضربات قاصمة من قواعدها المنتشرة على شواطيء المحيط الاطلسي والبحر المتوسط .

بذلك تكون انكلترا قد جنت على نفسها . فهي حين سعت الى القضاء على المانيا ، اتاحت الفرصة لفرنسا في بسط سيطرتها على القارة الاوروبية، وفي نفس الوقت اضطرت الى مسايرة الولايات المتحدة الاميركية اذ اعتبرتها ندا لها باعتبارها دولة بحرية . اما في الحقل الاقتصادي فقد تنازلت لحلفائها عن مناطق كانت لها فيها مصالح حيوية ضخمة .

ومما يذكر ان اهداف الدبلوماسية الفرنسية كانت تتعارض والاهداف الدبلوماسية الانكليزية . فالانكليز يترصدون ميزان القوى في القارة حتى اذا ظهر لهم ان هناك دولة ستبدل من هذا النظام في ميزان القوى عمدت فورا الى اضعافها كي لا تتمكن هذه الدولة من الظهور على مسرح السياسة العالمية .

اما الفرنسيون فيسلكون نفس المسلك لكن على نطاق اضيق ، فالمهم عندهم ان يمنعوا المانيا من الوقوف على قدميها ، فقد علمتهم التجارب ان

المانيا الموحدة تشكل قوة ضخمة لا يمكن التغلب عليها ، لذلك اعتمدت الدبلوماسية الفرنسية اضعاف بلادنا بشتى الوسائل ، متوسلة الى ذلك بتشجيع الحركات الانفصالية وافتعال تيار يكون في مصلحة النظام الاتحادي على اساس اللامركزية ، وهكذا يقوم بين الدويلات الالمانية توازن يشبه التوازن الاوروبي الذي تهتم به انكلترا .

*

نتيجة لما تقدم لست ارى اي طريق لالمانيا ان تسلكه في بحثها عن اصدقاء ، افضل من التقرب الى انكلترا وكسب صداقتها . انا لا انكر ان سياسة الحرب التي اتبعتها انكلترا قد جرت علينا الويلات ، ولكن ماذا سيفيدنا الحقد على دولة لم يعد لها اي مصلحة في القضاء علينا نهائيا بعد ان وجدت هذه الدولة نفسها تجاه خطر جديد محدق بها هو خطر المطامع الاستعمارية الفرنسية التي تجاوزت كل حد ؟

ان مصالح الشعبين الانكليزي والالماني يمكن ان تلتقي ما دام العدو مشتركا . ولكني احذر الساسة المسؤولين من مغبة التعلق في الاوهام ؛ فقد تعود ساستنا ان يستسلموا للاحلام السعيدة كلما لمسوا عطفا من زعيم اجنبي على القضية الالمانية . فليفهم الذين يتوهمون ان الانصاف لن يأتي من رجل دولة اجنبي ، ان الانكليزي يبقى انكليزيا قبل كل شيء وكذلك الاميركي والايطالي ، لذلك من السخف التفكير باعتماد عطف رجال الدولة الاجانب كأساس للمحالفات فالشرط الاساسي لربط مصير شعبين هو الفائدة التي يمكنه ان يجنيها كل شعب منهما نتيجة لهذا الارتباط . ان رجل الدولة الانكليزي مثلا يمكنه ان يعتمد سياسة انكليزية بحتة تعود بالخير والنفع على الشعبين الانكليزي والالماني معا ، دون ان يكون ملزما باعتماد سياسة تكون في مصلحة الشعب الالماني لوحده .

ان في اوروبا دولا يقلقها بقاء المانيا مكسورة الجناح في حين ان فرنسا تنمو وتشتد ويبرز تفوقها العسكري والاقتصادي . ونحن الالمان لا نعرف لنا عدوا لدودا ، عدوا مميتا لا يرحم سوى فرنسا وسواء حكم هذه الدولة البوربون ام اليعقوبيون ، آل بونابرت ام الديموقراطيون البورجوازيون الجمهوريون المعتدلون ام الماركسيون ، فهدفهم سيبقى كما هو لا يتغير : احتلال رينانيا وتجزئة المانيا بحيث لا تقوم لها قائمة .

تكره انكلترا ان ترى المانيا تتقدم وتنمو وتزدهر اما فرنسا فتريد ان تزيل المانيا من خريطة اوروبا والعالم . والفرق بين ما تكرهه انكلترا وبين ما تريده فرنسا هو شاسع جدا . واليوم لا نناضل في سبيل استرداد

مكانتنا كدولة عظمى ، بل علينا ان نعمل ما في وسعنا في سبيل ضمان كيان الوطن ووحدة الامة واطعام اولادنا . واذا استعرضنا الحلفاء الذين يمكننا الاعتماد عليهم في اوروبا فلا نجد امامنا الا انكلترا وايطاليا . فانكلترا لا تريد لفرنسا ان تشتد وتقوى كي لا تهدد مصالحها وتعرقل لها مشاريعها وتفسد عليها خططها . ولا يعقل ان تقف انكلترا موقفا لا مباليا من استيلاء فرنسا على مناجم الحديد والفحم في اوروبا الغربية ، لعلمها ان حليفة الامس تستطيع بفضل هذه المناجم الغنية ان تلعب دورا بارزا في توجيه الاقتصاد العالمي . كما لا يعقل ان تقف انكلترا موقف المتفرج ازاء تزايد نفوذ فرنسا في القارة ومحاولتها تسيير دفة السياسة العالمية .

كذلك تراقب ايطاليا النفوذ الفرنسي في اوروبا بمزيد من القلق . فالايطاليون يتطلعون الى حوض البحر المتوسط ويطمحون الى التوسع على حساب البلاد المجاورة لممتلكاتهم الافريقية . فايطاليا لم تدخل الحرب لتشارك في اعلاء شأن فرنسا ، بل دخلتها وفي نيتها توجيه ضربة قاضية الى جارتها النمسا دون ان تنسيها رفقة السلاح ان في فرنسا منافسا خطيرا لا يقل خطورة عن جارتها الشرقية .

بناء لما تقدم يمكننا اعتبار انكلترا وايطاليا الدولتان الوحيدتان اللتان لا تمانعان في قيام امة المانية موحدة باعتبار ان توحيد المانيا لن يمس بمصالحهما ، بل ربما كان قيام هذه الامة القوية والموحدة لصالح الدولتين .

عند دراستنا لمسألة العلاقات التي يمكن ان تقوم بيننا وبين الانكليز والايطاليين ، ينبغي ان نأخذ بعين الاعتبار عوامل ثلاثة يتعلق اولها بناء مباشرة اما العاملان الباقيان فانهما يتعلقان بانكلترا وايطاليا .

هل ستقدم دولة ما على التحالف مع المانيا في وضعها الحاضر ؟ هل يعقل ان تجازف دولة ذات اهداف هجومية بالتحالف مع دولة يحكمها منذ سنوات حكام غير اكفاء وتعمي بصائر الكثرة الساحقة من ابنائها المبادىء الديموقراطية والتعاليم الماركسية فيخونون شعبهم ووطنهم ؟ واي منفعة ستجنيها دولة قوية من التحالف مع دولة خانعة لا تتحرك للدفاع عن كيانها ولا تفعل شيئا للتحرر من الاعباء الضخمة التي فرضت عليها ، لان امكاناتها اصبحت في قبضة حكام خونة غير صالحين ، ولان ايادي المغامرين الدوليين امتدت لتسرق مقدرات البلاد ؟

ان دولة تحترم نفسها وتعتبر التحالف اكثر واهم من صفقة تعقد مع برلمانيين يطمعون في الربح . ان دولة كهذه لا تقدم على التحالف مع المانيا في وضعها الحاضر ...

كما لا يخفى ان اجهزة الدعاية في كل من انكلترا وايطاليا اعطت فكرة جد

نشمة عنا اثناء الحرب ، وليس في تصرفنا اليوم ما يسهل مهمة هذه الاجهزة اذا هي حاولت تغيير منهاجها واقناع الراي العام ان عدو الامس يمكن ان يصبح اليوم حليفا يعتمد عليه .

ولا ننسى ان اليهودية العالمية ترحب ببقاء المانيا دولة ضعيفة وتعتبر هذا الواقع منسجما ومصالحها وموافقا لمخططاتها . ولم يعد خافيا على الجميع ان سياسة انكلترا التقليدية تتعارض وسياسة المؤسسات المالية الخاضعة لسيطرة اليهود ، فاليهود يريدون هدم اسس الاقتصاد والسياسة في المانيا ، وقد رايناهم يعملون بكل قواهم ودهائهم على بلشفة المانيا ليتسنى لهم وضع ايديهم على مفاتيح الاقتصاد القومي ، ولما احسوا بعجز الماركسية الالمانية عن تقويض اسس الدولة القومية في المانيا ، اشعلوا نار الحرب العالمية وبذروا بذور الثورة الحمراء داخل المانيا واستغلوا الكارثة في الوقت المناسب استغلالا بارعا .

لقد اختارت اليهودية العالمية بلادنا مسرحا لدسائسها وهدفا لمؤامراتها لان بلشفة البلاد وتخريب الوجدان القومي الالماني يخضع الانتاج القومي لاشراف المؤسسات المصرفية اليهودية ، مما يجعل من هذا الاشراف خطوة واسعة نحو اخضاع العالم باجمعه للسيطرة اليهودية . ويستفاد من مضمون احد وثائق « بروتوكولات حكماء صهيون » وهو دستور الحركة اليهودية ، ان محور النضال اليهودي يجب ان يكون في المانيا لتحقيق حلمهم في السيطرة العالمية ، فاذا تمكن « الشعب المختار » من اخضاع المانيا يكون قد تخلص من اهم العقبات الرئيسية التي تعترض طريقه .

واليهودية العالمية تتقلب حسب كل حال وحسب كل وضع ، فهي حين تسعى الى خداع الراي العام وتسميم افكار الامم والشعوب ، تعتمد طرقا واساليب كثيرة ومختلفة ، فتخاطب كل امة بطريقة خاصة تترك اثرا عميقا في نفسها ففي المانيا حيث تكثر الاختلاطات الدموية ، ينشر اليهود مبادىء خاصة مستخرجة من المثالية السلمية فيزعمون انهم امميو النزعة. اما في فرنسا فتستغل اليهودية النزعة الفردية والنفور من الاجانب ، وفي انكلترا تضرب على وتر المصالح الاقتصادية واعتبارات السياسة العالمية .

ولئن يكن التناقض واضحا بين مفاهيم السياسة القومية ومطالح اليهودية العالمية في كل من انكلترا وايطاليا ، فالتفاهم والانسجام موجود في فرنسا بين القوميين وملوك البورصة الممثلين باليهود ، وهذا التفاهم يشكل خطرا كبيرا جدا على المانيا ، ويشكل من فرنسا عدوا مميتا لا يجب ان نسهى عنه او نسقطه من حسابنا لحظة واحدة . فالشعب الفرنسي الذي يهبط تدريجيا بمستواه الى مستوى الزنوج ، يعرض كيان الجنس

الابيض في القارة الاوروبية لخطر الزوال والانقراض بمسايرته مشاريع اليهودية العالمية الطامعة في السيطرة على العالم .

ولا تظلم الفرنسيين حين نقول ان لهم يدا في تلويث الدم الالماني في رينانيا ، لان هذا الشعب المتهتك لا يختلف عن اليهود برغبته في القضاء على حيوية شعبنا حين يشجع الاجناس المنحطة على تلقيح الالمان بدمها النجس . .

ان الدور الذي تلعبه فرنسا ، بدافع من الحقد وبتحريض من اليهود، هو اجرام بحق الجنس الابيض ، وسيأتي اليوم الذي تتكاتف فيه الشعوب الاوروبية وتلقن هذا الشعب المجرم درسا لن ينساه وتنزل به العقاب الصارم الذي يستحق .

يجب على المانيا أن تتناسى احقادها وتمد يدها الى انكلترا وايطاليا معا ، هاتين الدولتين اللتين تراقبان بكثير من القلق تزايد النفوذ وتضخيم المطامع الفرنسية .

*

من تتبع المراحل التي مرت بها السياسة الخارجية الالمانية منذ قيام الثورة ، ومن راقب خاصة نشاط رجال الدولة ، لن يتمالك نفسه من اليأس . فمنذ تشرين الثاني ١٩١٨ حتى اليوم لم يفعل هؤلاء الرجال اكثر من ترضية فرنسا والخضوع لها باعتبارها « الامة العظمى »، والمبالغة في اكرام ممثليها لكسب عطفهم . وهذه السياسة المبنية على تقديرات خاطئة كانت تلاقي تشجيعا من جانب الممسكين بالخيوط من وراء الستار لعلمهم ان خضوع المانيا واستسلامها يتفقان والخطط اليهودية ، وان تقرب المانيا من فرنسا يؤدي قطعا الى ازالة كل سياسة تحالف تتفق مع مصلحة الشعب الالماني .

وفي نفس الوقت تطوعت الصحافة الالمانية الخاضعة لنفوذ اليهود لزرع بذور الحقد في نفوس الشعب على انكلترا ، كما حاولت تخويف انكلترا وتحريك هواجسها حين دعت السلطات الى اعادة تكوين الاسطول الالماني ، والمطالبة بالمستعمرات قبل تحرير البلاد وتقوية مركزها في القارة الاوروبية .

لقد اجاد اليهود تمثيل ادوارهم واتقنوا لعبتهم بشكل لائق : فهم يلهون شعبنا الطيب القلب السليم النية بمسائل ثانوية جدا ، ويدفعونه الى التظاهر والاحتجاج ، في حين تمعن فرنسا في تقطيع الجسم الالماني وتضع الالغام تحت مرتكزات استقلالنا . ألم تتطوع الصحافة اليهودية في

اثارة مسألة « التيرول » الجنوبي ، لتلهي الشعب الالماني ، الم تثر هذه القضية وتدعو الشعب الى السير في مظاهرة سلمية صامتة وتطيير برقيات الاحتجاج الى عصبة الامم ؟

و « التيرول » الجنوبي الذي يبكيه البرلمانيون اليوم ، كنت انا في عداد المدافعين عنه والمقاتلين في سبيله ابان الحرب العالمية ، في حين كان المتباكون يلغمون الجبهة من الداخل ، ويحرضون العمال في المصانع على الاضراب ليطعنوا الجيش في ظهره ويلحقوا الأذى والعار بالقضية القومية في الرايخ .

عندما كان « التيرول » الجنوبي ميدانا للمعارك الدامية لم يكن بالامكان استعادته الا بالسلاح . وقد ابلت الجيوش الالمانية في هذا القطاع بلاء حسنا وبقيت صامدة الى ان فوجئت بانهيار الجبهة الداخلية وانقطعت عنها الامدادات . فالذين سببوا الانهيار في الجبهة الداخلية قد خانوا التيرول وخانوا بقية الاراضي والاجزاء الالمانية ، والذين يعتقدون اليوم انه بالامكان حل مسألة التيرول الجنوبي بالاحتجاجات والتظاهرات السلمية .. هم اما مصابون في عقولهم او سذج يصدقون كل ما يقال لهم . متى يفهم المواطنون ان استرداد الاراضي السليبة لا يتم بالدعاء والابتهال الى الله تعالى ولا بتطيير برقيات الاحتجاج الى عصبة الامم . ان استعادة الاراضي السليبة يكون على ايدينا حين نصبح قادرين على مجابهة اعدائنا.
والادهى من ذلك ان الذين يبجحون اليوم بان خسارة « التيرول » الجنوبي كانت غلطة جسيمة وخيانة وطنية ، لم يفعلوا للحفاظ عليه سوى ذرف دموع التماسيح والتشدق بثرثرات فارغة . ولو طلبنا منهم اليوم حمل السلاح لاسترداد الاراضي السليبة ، لقبعوا في جحورهم يرتعدون خوفا ...

ان المتباكين على مصير التيرول الجنوبي من حملة الاقلام واسياد المنابر ، الذين يطالبون باعادته الى الوطن الام ، هم انفسهم الذين يدعون في خطاباتهم الى الكف عن ازعاج المنتصرين ، خاصة فرنسا ، بمطالب لا يمكن تلبيتها . وقد رايناهم بالامس يدافعون عن معاهدة فرساي ويشجبون اعمال « كتائب التحرير » في نسف الجسور في الروهر . ولكن الاعيب هؤلاء افتضحت ، فهم طلعوا بنغمة التيرول حين شعر اليهود واذنابهم بان الشعب راغب في قيام تحالف مع ايطاليا وخاصة بين الاوساط التي تنظر بعين المصلحة الى البعيد . ومن الطبيعي ان يعمد اليهود وانصار آل هابسبورغ الى قطع الطريق امام كل محاولة تهدف الى تقوية مركز المانيا الدولي .

وبدافع مـن الحقـد على كل ما هـو الماني صميم ، وانسجاما مـع طبيعة « الشعب المختار » الضليع في فن الكذب والتلفيق ، راح المتباكون على مصير « التيرول » الجنوبي يكيلون التهم للقوميين الاقحاح ويصفونهم بالخونة ويقولون ان العسكريين البروسيين هـم السبب في خسارة هـذا الجزء الهام من الوطـن الالماني ، فلهؤلاء المنافقـين المتجنين على المخلصين اقـول :

ان كل الماني قادر على حمل السلاح ولكنه امضى سنوات الحرب قابعا وراء مكتبه ولم يقدم خدماته الى وطنه هو خائن ...

وكل الماني لم يشارك خـلال سنوات الحرب في تقوية المقدرة علـى النضال والثبات في نفوس الشعب الذي كان يواجه اعداء متفوقين عليـه هو خائـن ...

وكل الماني ساهم في ثورة تشرين الثاني ان بالافعال او بالسكوت عن المجرمين ، محطما بسكوته السلاح الذي كان بامكانه انقاذ التيرول الجنوبي هو ايضا خائن ... لم يخن التيرول الجنوبي فقط بل خان الوطـن الالماني كلـه ...

كذلك الاحـزاب وممثلوا الاحـزاب الذين وقعوا معاهدتي فرساي وسان جرمان هم خونة بحق الوطن والامة .

وللشعب الالماني اتوجه بالقول : ان استرداد الاراضي السليبة لا يتم بالخطب النارية يتفوه بها من يتقن صناعة الكلام ، فتحرير الوطن لا يتطلب السنة حادة بل يتطلب سلاحا حادا . وليس معنى هذا انني اطلب اشعال الحرب لاستعادة التيرول الجنوبي ، فانا لا اوافق على هدر دماء الشعبـين الالماني والايطالي في سبيل تحرير مئتي الف مواطن، في وقت يرزح فيه سبعة ملايين من اخواننا تحت نير الاحتلال الاجنبي في رينانيا .

فاذا كانت المانيا مصممة على تغيير هذا الوضع الذي من شأنه في حال استمراره ان يزيلها من خريطة اوروبا ، عليها ان تتجنب الوقوع في الخطأ الذي وقعت فيه قبل الحرب عندما استعدت العالم كله لانها لم تعرف كيف تختار اصدقائها . لذلك عليها ان تعـرف من هو عدوها الالـد وتتفرغ له لتضربه بكل قواها ، وتغض الطرف عـن اعدائها الثانويين ولو كلفها ذلـك بعض التضحيـات .

يجب علينا نحن الوطنيين الاشتراكيين ان ننادي بالفكرة القائلة انـه يجب اولا استخلاص حرية الوطن واستقلاله قبل البدء باسترداد الاراضي المغتصبة ، وان ندعو دائما الى وجوب نهج سياسة محالفات مستوحاة من الواقع الالماني والاوروبي معـا . فقد حكمنا عواطفنا حـين تحالفنا مع آل

هابسبورغ فأصبنا بالهزيمة الشنعاء . لذلك لن تسمح حركتنا لمحترفي السياسة في هذا العهد ان ينهجوا على صعيد السياسة الخارجية نهجا يتعارض ومصلحة الامة الالمانية .

* *

أنتقل الآن الى مناقشة الاعتراضات ضد المسائل الثلاث التي عرضتها في سياق هذا البحث :

١ ـ هل تقدم الدول على التحالف مع المانيا وهي بوضعها الحاضر؟

٢ ـ هل يصبح اعداء الامس في وضع يمكنهم من تغيير اتجاههم بحيث يحالفون اليوم الامة التي اعطوا عنها بالامس ابشع صورة ؟

٣ ـ هل تتغلب النزعة القومية عند بعض الدول التي تتناسب مصالحها مع مصالح المانيا ، على النفوذ اليهودي الذي يناهض قيام هذا التحالف ؟

من البديهي ان ما من دولة تحترم نفسها وتغار على مصلحتها تقدم على التحالف مع المانيا بوضعها الراهن ، وليس هناك من دولة تغامر في ربط مصيرها بمصير دولة لا توحي أي نوع من الثقة .

يحاول بعض السطحيين ان يجد عذرا للحكومات وتفسيرا لمسلكها الشائن في تدهور الشعب خلقيا وتدني معنوياته . لا انكر ان معنويات شعبنا اليوم تفرح العدو ، وهو مستسلم منذ سنوات لمشيئة القدر لا يحرك ساكنا في الحقل الايجابي ، ولكن لا ننس ان هذا الشعب نفسه كان لسنوات خلت مضرب المثل في الشجاعة والنبل وعلو المقام . فهو الذي أذهل العالم منذ عام ١٩١٤ الى ان القى السلاح ، هذا الشعب الذي ادهش العالم بثباته وفضائله الانسانية . ولا اعتقد ان هناك من يذهب في التجني علينا الى حد الزعم بأن الواقع المخجل الذي صرنا اليه اليوم هو نتيجة ما فطر عليه هذا الشعب من ميوعه واستسلام .

ان ما يجري حولنا ، وما نكابده في قرارة نفوسنا ، وما يدفع اعداءنا واصدقاءنا على اساءة الظن بنا ، كل هذا ناجم عن جريمة التاسع من تشرين الثاني عام ١٩١٨ ، وقد صدق القول القائل « لا يتولد من الشر الا الشر » ومع ذلك يمكن القول ان السجايا التي يتحلى بها شعبنا لم تموت ، انها الان ترقد في اعماق ضمائرنا ، وتظهر في بعض الاحيان بشكل التماعات خاطفة تشق الفضاء المتشح بالسواد ، وستذكر المانيا ان هذه الالتماعات تبشر بدخول المانيا دور النقاهة . وانا لنجد اليوم آلافا من الشباب على

اتم الاستعداد لتقديم ارواحهم في ميادين التضحية في سبيل الوطن العزيز على قلوبهم ، كما نجد ملايين من الالمان منصرفين الى العمل البناء كأنه لم تكن هناك ثورة ولا خراب ، فالحداد منهمك في عمله امام عدته ، والفلاح وراء محراثه ، والعالم وراء مكتبه ، والجميع يقومون بواجباتهم بكل اخلاص ونشاط . اما ما يعاب على الشعب الالماني من تخاذل واستسلام ، فمسؤول عنه الحكام الذين حكموا البلاد منذ عام ١٩١٨ . وعلى الذين يرثون الى حال امتنا اليوم ان يتساءلوا : هل جرب الحكام رفع معنويات الشعب ، وهل حاولوا ان يوقظوا هممه فما استجاب لهم الشعب ؟ وماذا فعلت الحكومات الالمانية منذ عام ١٩١٨ الى اليوم من اجل تقوية الشعور الوطني ، وهل اقدمت على خطوة من شانها اثارة كبرياء الالمان وتفجير ما يختزن في صدور الشعب من احقاد ؟

عندما فرض المنتصرون معاهدة الصلح عام ١٩١٩ اتاحوا للشعب الالماني الذي ضعضعته الهزيمة فرصة ذهبية للخروج من ذهوله ، ذلك أن معاهدات الصلح التي تفرض على الشعوب قيودا ثقيلة تفعل في نفوس الشعوب فعل قرع الطبول في نفوس الجنود وهم يهمون بالانقضاض على مراكز العدو . لكن شعبنا كان بحاجة الى من ينبهه ويفتح عينيه لكن الحكومة الالمانية كانت في شاغل عن هذا الواجب الوطني ، بصرفها عن اهتمامها بتاميم المرافق الحيوية في البلاد وعصر الشعب لتقدم للمنتصرين ما فرضوه من ضرائب ...

لو كان هناك دعاية منظمة لاتخذت من معاهدة الصلح المرهقة اداة لاثارة نقمة الجمهور ، بابرازها تدابير الاعداء الوحشية واساليبهم البربرية . لكان بامكانها ، لو كان هناك دعاية منظمة ، ان تحول عدم الاكتراث عند الشعب الى استنكار ثائر ، ولو غذته في الوقت المناسب فسيتحول الى نقمة جارفة تنضح في صدور ستين مليونا من الرجال والنساء فتستيقظ السلطات على صراخهم « سلحونا » فنحن امة لا تنام على الضيم » .

نعم ، فقد كان ممكنا اعتبار معاهدة الصلح النقطة الاخيرة التي تطفح بها الكأس ، ولكن هذا يعني تسخير كل مطبوعة وكل كتيب يوضع بين ايدي التلاميذ حتى ارقى جريدة ، كما يعني ايضا تسخير السينما والمسرح في تنوير الجمهور ورفع معنوياته ، فيمتنع عن الابتهال الى الله صباحا ومساء: « اللهم اعد الينا حريتنا » ليقول : « ايها الرب القدير : بارك اسلحتنا ، وشدد من عزائمنا ، واجعل لنا النصر على مضطهدينا ! » .

ان الشعب الالماني ملوم، ولكن أكثر اللوم يجب ان يكون على الحكومات الالمانية التي تظهر الدولة الى العالم الخارجي بصورة بشعة بتصرفاتها

المسيبة وباستسلامها الذي يكشف عن ضعف في الارادة . ولكي يصبح شعبنا مؤهلا لمحالفة الشعوب التي تماشي مصالحه مصالحها يجب عليه ان يسترد اعتباره ، ولن يتمكن من ذلك الا بعد ان تقوم في المانيا سلطة حاكمة ، تظهر من الشعب وتحس بأحاسيسه لكي تعبر عن ما يختلج في صدوره فتستند على ارادة شعبية تطلب الحرية .

لست انكر انه من الصعب جعل اعداء الامس اصدقاء اليوم بين ليلة وضحاها . فقد اجهدت الدعاية نفسها اثناء الحرب في تلطيخ سمعة الامة الالمانية وتشويه تاريخها . ولن يزول بسهولة هذا الشعور بالكراهية نحو كل ما هو الماني اذا لم يسترد الرايخ الالماني بفضل الوعي القومي معالم الدولة القادرة على تمثيل دورها في القارة الاوروبية ، وعندئذ فقط تطمئن الدول الى سلامة اوضاعنا فتمهد الطريق امام التحالف وايانا بحملة من الدعاية تعد النفوس لتقبل الخطوة الجديدة . لكن هذا الاعداد يتطلب وقتا طويلا ، لذلك وجب التمهل في كسب ود اعداء الامس ، لئلا يترتب على استعجال الامور افساد المخطط الذي ترسمه الدعايات في البلد الآخر للحصول على النتيجة المبتغاة .

قلت واكرر القول انه لا يحق لالمانيا النظر الى ما وراء حدودها قبل ان يبرهن الالمان ، حكومة وشعبا ، على انهم امة حية مستعدة للتضحية بل قادرة عليها في سبيل استعادة حريتها السليبة .

وهناك نقطة هامة لا يجوز ان نهملها : فقد يمر وقت طويل قبل ان يدرك الشعب المطلوب اعداده لتقبل الفكرة الجديدة عن عدو الامس، اهداف حكومته وذلك اما لان الحكومة تفضل اخفاء هذه الاهداف او لان الرأي العام نفسه بطيء الفهم لنقص في تنشئته الوطنية ، وفي هذه الحالة يقوم بين المطلمين من يحارب هذه الفكرة الجديدة ويحمل الشعب على اتباعه ؛ ولما كان شعبنا ميالا الى الثرثرة الفارغة وكانت احزابنا ومنظماتنا تمارس السياسة في المقاهي والاندية ، فان كل خطأ يرتكب يضع سلاحا في ايدي خصوم التقارب من الجانب الآخر ليستخدموه في نسف المحاولات المبذولة .

ولا شك في ان العقلاء من المواطنين استخفوا الدعوة الى تحرير التيرول الجنوبي وانشاء الاسطول الالماني والمطالبة بالمستعمرات ، وقد لفتت حركتنا الانظار الى الاثر السيء الذي تتركه هذه الدعوة في نفوس الانكليز والايطاليين والى العراقيل التي تضعها مثل هذه الدعوات في طريق الداعين الى نسيان الماضي واقامة العلاقات بين الشعب الالماني والشعبين الانكليزي والايطالي على اسس جديدة .

كانت الدعايات اليهودية تستغل اخطائنا في الحقل الخارجي ،

وثرثراتنا التي لا فائدة منها ، واليوم يدفعنا اليهود الى ترديد النغمة التي تغضب الذين يفترض فينا كسب ودهم ، لذلك يجب ان نضع حداً لهوس المهووسين ودسائس الدساسين قبل ان يعود اعداء الامس الى التجمع ضدنا ، ولا يسهى عن بالنا اننا خسرنا الحرب لاننا اغضبنا الله والناس اجمعين وقد كان علينا ان نراعي الاقربين والابعدين لنتمكن من حصر جهودنا في جهة واحدة .

اما اذا جارينا الداعين الى معاداة انكلترا لانها سلبتنا مستعمراتنا ، والى مقاطعة ايطاليا لانها تحتل التيرول الجنوبي . واذا جارينا الناقمين على بولونيا وتشيكوسلوفاكيا لانهما بولونيا وتشيكوسلوفاكيا ، فلن يبقى عندنا من حليف نحالف الا فرنسا ، التي نسي غلاة « المواطنين » انها هي الاخرى سلبتنا الالزاس واللورين .

ان فرنسا هي عدوتنا الحقيقية في اوروبا . لكن انكلترا وبقية الدول الاوروبية ، لم تكن عداوتها لنا الا عداوة مؤقتة ، لذلك يمكننا ان نحولها الى دول صديقة حين نبهر شعوبها بنهضتنا وحيويتنا ونجعل من المانيا حليفاً ثميناً يتراكض عليه الباحثون عن حلفاء .

* *

بقيت المسألة الثالثة وهي مقدرة ممثلي المصالح القومية في الدول التي تتناسب مصالحها مع مصالح شعبنا على تحدي اليهود والتخلص من سيطرتهم والقضاء على نفوذهم .

ان الحملة التي تشنها ايطاليا الفاشيستية للقضاء على الاسلحة الرئيسية الثلاثة لليهودية العالمية هي احسن دليل على ما يمكن للحركات القومية المنظمة ان تفعله في هذا المضمار . اما التدابير التي تنادي باتخاذها فهي : حل الجمعيات السرية كالمحافل الماسونية وغيرها، وملاحقة الصحافة الماركسية بعد القضاء على الاحزاب اليسارية ، وتثبيت المفهوم الفاشستي للدولة . هذه التدابير ستدعم من مركز الحكومة الايطالية قومياً ودولياً وستتمكن بالتالي من حماية مصالح شعبها سواء احب اليهود ذلك ام لا ...

لكن الحال في انكلترا يختلف عن ايطاليا . ففي انكلترا حيث يمارس اليهودي دكتاتورية مطلقة ، تقوم المنازعات المتواصلة بين ممثلي المصالح القومية اي مصالح الدولة الانكليزية وبين دعاة الدكتاتورية العالمية التي يمارسها اليهود . وقد رأينا هذا النزاع يتفاقم بعد انتهاء الحرب العالمية حين تعارضت وجهات النظر بين الحكومة من جهة وبين الصحافة الخاضعة للنفوذ اليهودي من جهة أخرى ، حول كيفية العلاقات بين انكلترا واليابان .

بعد انتهاء الحرب العالمية مباشرة عاد الى الظهور خلاف او عداء تقليدي بين اميركا واليابان . ومن الطبيعي ان لا تقف الدول الاوروبية موقف المتفرج من هذا العداء الذي يهدد السلام . وكان على انكلترا ان تراعي ارتباطاتها مع اميركا والصلات الاخرى العرقية التي كانت تربطها بأميركا ، كان عليها مراعاة هذه الارتباطات قبل ان تحدد موقفها من الدولتين المتنازعتين ، لكنها ترددت في الانحياز نحو اميركا باعتبار ان نمو هذه الدولة وتقدمها الهائل اصبح مصدر قلق لانكلترا ، وكيف لا يقلقهم تطور المستعمرة السابقة تطورا هائلا يمكنها من سيادة العالم في سنوات معدودة ؟

بحثت انكلترا عن حليف يمكنها الاعتماد عليه في الاوقات العصيبة يوم تضطر الى الدفاع عن مركزها الدولي وسيادتها البحرية ، فلم تجد انسب من اليابان لهذه المهمة باعتبار ان العداء القائم بين طوكيو وواشنطن سيجعل من اليابان حليفا ثمينا يمكن الاعتماد عليه في تقوية مركز الامبراطورية تجاه المطامع الاميركية ...

وفي الوقت الذي كانت فيه الحكومة الانكليزية تسعى جاهدة للابقاء على الروابط التي تشدها الى الحليفة الآسيوية كانت الصحافة اليهودية في انكلترا وفرنسا تهاجم هذه السياسة . فاليهود بعد ان صفو حساب المانيا بطريقة تتفق ومصالحهم كشعب يقاوم كل نزعة قومية في بلد متمدن ، وجدوا أن اليابان الدولة الآسيوية العظمى لا يمكن ان تخضع لسيطرتهم الا بعد ان يصفوا حسابها في ميدان القتال ، واليهود اذكى من ان يحاولوا افساد الدم الياباني بمثل السهولة التي افسدوا بها الدم الفرنسي والانكليزي والاميركي . لذلك يجب اضعاف اليابان بطريقة اخرى هي الحرب ، لان بقاء اليابان دولة قومية وحيدة وسط مجموعة دول كبرى جردتها الدسائس اليهودية من معالم قوميتها تسهيلا لاستبعادها يشكل خطرا على مشاريع اليهود الذين يحلمون ببلشفة العالم . فحلم اليهود لا يتحقق ما دام هناك دولة قادرة على سحق الطغيان بقوى الفكرة القومية .

ان الصحافة اليهودية في العالم وخاصة في انكلترا تحاول الان ان تستعدي اليابان كما سبق ان استعدتها على المانيا ، وقد بدأت تضعف مقاومة الحكومة الانكليزية للذين يقفون ضد التحالف الانكليزي الياباني ، وسيأتي اليوم الذي تتزعم فيه انكلترا حملة صليبية ضد الدولة الصفراء اقتناعا منها بأن النزعة القومية في اليابان تشكل خطرا على السلام العالمي .

ان الحركة الوطنية الاشتراكية ستسعى جهدها لتنبيه الشعوب الآرية حتى الشعوب المعادية لنا ، الى ما يبيته اليهود لنا ولها ، وستخطط

للشعب الالماني سبل الخلاص بحيث يكون كفاح شعبنا في سبيل التحرر من سيطرة اليهود المشعل الذي يضيء الطريق امام الشعوب الاخرى الراغبة في التخلص من جرثومة اليهود .

- ٢٠ -

الاتجاه نحو الشرق

يدفعني الى بحث موضوع العلاقات الالمانية الروسية سببان هما :

اولا : اثارة هذا الموضوع في الصحف الماركسية في معرض حديثها عن عقد محالفات يقوى بها ساعد المانيا .

ثانيا : الاستخفاف الذي يعالج به المثقفون قضايانا الخارجية .

ان حركتنا لا تجد صعوبة في ازالة ما يعلق في اذهان اليساريين من جراء الدعايات الماركسية ، لان هذا الفريق من المواطنين لم يأخذ بوجهة نظر الماركسيين الا لانه لم يجد من يوجهه ويرشده الى الطريق القويم فيما يجب ان تكون عليه سياسة المانيا الخارجية . وقد وجد آلاف اليساريين في حركتنا المشعل الذي اضاء امامهم ظلام الطريق . وقد وجدنا بقية باقية لديهم من الوعي القومي وغريزة حب البقاء مما سهل مهمتنا في ارشادهم .

لكن هذه المهمة لم تكن سهلة لدى المثقفين . فقد كان علينا اقناع رجال خدرت وعيهم القومي مثاليات مضطربة ، فضحوا على مذبح الموضوعية آخر ما تبقى لهم من عزة قومية وغريزة حب البقاء . وقد حاول هذا الفريق من المواطنين الانحراف بسياسة المانيا الخارجية نحو المزالق الخطرة. لذلك وجدت انه من الواجب علي ان اشرح لاعضاء الحزب وانصاره اخطر قضية تواجهها الدولة العنصرية في الحقل الخارجي : موقف الرايخ من روسيا . وقبل ان ادخل في صلب الموضوع اوضحت في اكثر من خطاب ومحاضرة ومقال ان السياسة الخارجية للدولة العنصرية يجب ان تسعى الى ايجاد مقومات البقاء للشعب وذلك باقامة نسبة عادلة ، ملائمة لقانون الطبيعة ، بين عدد السكان وزيادته المطردة من جهة ، وبين مساحة الارض وقيمتها من جهة اخرى .

وقد سبق لي وشرحت في فصل سابق ان اقوى ضمانة لحرية الشعب وبقائه هو في حصوله على المدى الحيوي الكافي ، على ان تحافظ على سلامة هذا المدى دولة قادرة سياسيا وعسكريا ضمن اطار جغرافي ملائم ، على الدفاع عن كيانها وحماية مصالح شعبها الحيوية .

حين ينظر الشعب الالماني الى المستقبل ، عليه ان يعتبر ان بلاده هي دولة عظمى مدعوة الى تمثيل دورها على المسرح العالمي . فقد مثلت المانيا هذا الدور طيلة قرون ، وكان نشاط شعبنا جزءا لا يتجزأ من التاريخ العالمي . فالحرب الاخيرة التي خضنا غمارها والتي كانت بالنسبة لنا صراعا من اجل البقاء ، هذه الحرب قد اطلق عليها الاعداء اسم « الحرب العالمية » معترفين بأهمية الدور العالمي الذي يمثله شعبنا .

لقد خاض الشعب الالماني الحرب بصفته قوة عالمية مزعومة . اقول «مزعومة» لان المانيا عام ١٩١٤ لم تكن قوة عالمية ، فقد حملت السلاح وهي غير مهيأة للحرب ، فقد كانت تنقصها المواد الاحتياطية التي تدفعها الى الثبات مدة طويلة ، لان الاراضي الالمانية ضاقت بالسكان وبات جهد الشعب مقصورا على استنباط تربة الوطن الخيرة ، لكن عطاءها قصر ، مع مرور الايام ،عن سد حاجة السكان الاخذ عددهم في الازدياد .

والمانيا اليوم لا تعتبر قوة عالمية ، ولن تصبح كذلك حتى في حال بعث الجيش الالماني ، لان المانع الذي كان قائما قبل الحرب لا يزال كما هو ، بل على العكس فقد ازداد وضعنا تدهورا بخسارتنا لاجزاء هامة من الوطن الالماني ، فقد ترتب على فقدان هذه الاجزاء مشاكل جديدة ، فقد اصبح على ستين مليونا من المواطنين والرعايا ان يتدبروا خبزهم اليومي في مساحة من الارض لا تزيد على نصف مليون كيلو متر مربع .

واذا نظرنا الى المانيا من حيث مساحة الارض ، نجد انها في وضعها الحاضر ، اي بمساحتها الحاضرة ، دولة متوسطة عاجزة عن الوصول الى مستوى الدول الكبرى ، ولا يجوز الاستشهاد بصغر المساحة الارضية الذي تشغله انكلترا للتدليل على خطأ هذه النظرية . فالواقع ان انكلترا تعتبر العاصمة الكبرى للامبراطورية الانكليزية المترامية الاطراف .

ويمكننا ان نعتبر دولا عظمى كالولايات المتحدة الاميركية وروسيا والصين . فمساحة كل واحدة منها تبلغ عشرة اضعاف مساحةالمانيابوضعها الحالي . وكذلك فرنسا يمكن اعتبارها من الدول العظمى لانها تملك اقوى جيش في العالم وتعززه باستمرار ، بفضل مواردها الخاصة وموارد امبراطوريتها الواسعة . كما انها تسد النقص في المواليد باختلاطات عرقية ودموية ان لم يوضع لها حد نجم عن استمرارها لمدن قرن اخر قيام دولة افريقية ــ اوروبية مكان فرنسا اليوم .

لقد تنبهت الحركة الوطنية الاشتراكية لهذه الحقائق وندبت نفسها للقيام بجمع شتات الشعب الالماني وصهر شتى عناصره في بوتقة القومية

الصافية ، ثم الخروج به من الدائرة الضيقة ليضرب في افاق جديدة واسعة، لان بقاءه في مكانه يعني له الانقراض او الخضوع لنير الاستعباد .

ان الحركة الوطنية الاشتراكية لن تقبل ان يعيش ستون مليون الماني في بقعة من الارض لا تزيد مساحتها على نصف مليون كيلو متر مربع ، وترى ان من اقدس واجباتها ازالة هذا الواقع الاليم وسد الثغرة التي احدثتها السياسة الخارجية في العهد الاخير بين ماضينا التاريخي المجيد وحاضرنا الاليم .

ستعلم حركتنا الشعب الالماني كيف يعتني بنفسه كعنصر متفوق في الاصل ، وتنبهه الى وجوب الاعتناء بدمه لكي لا يدعه عرضة للاختلاطات المميتة ، وتوجهه اتجاها يجعله جديرا بحمل المشعل الذي حمله اجدادنا .

* *

ان سياسة المانيا الخارجية خلال السنين العشر التي سبقت اندلاع الحرب العالمية لم تكن بافضل من سياستها الحاضرة التي تحملها اخطاء جسيمة ارتكبتها لانها عاجزة عن الوقوف حيث يملي عليها الواجب . فقد كانت لنا امبراطورية واسعة وكنا اقوياء نسبيا ، لكن قوة الدولة يجب ان تقاس بمقياس قوة باقي الدول ، والمانيا قبل الحرب ظلت مقصرة عن بلوغ مستوى الدول المنافسة لها . لقد كنا نتقدم الى الامام ببطء شديد بينما كان الاخرون يسرعون الخطى . ولئن تكون التضحيات الكبيرة التي قام بها شعبنا والتي ذهبت سدى ، فسبب ذلك يعود الى عدم معرفة الحاكمين لاستعمال الطاقة الشعبية التي وجدت في متناولهم .

واذا رجعنا الى تاريخ المانيا واستعرضنا مآتيها العسكرية ودرسنا نتائج هذه المآتي النهائية كما تظهر لنا اليوم ، نجد اننا تجاه واقع ناطق بمهارة الذين تولوا مقدرات شعبنا في ذلك العهد الذهبي. فبفضل سياستهم الحكيمة توصلوا الى النتائج التالية :

١ ـ استعمار المناطق التي تعتبر الباب المؤدي الى الشرق .

٢ ـ احتلال المناطق الواقعة شرقي نهر الالب .

٣ ـ نجاح آل هوهنزولرن في انشاء نواة الامبراطورية حين تم لهم انشاء الدولة البروسية .

لقد شدد المؤرخون الالمان على اهمية النتيجة الثالثة اي انشاء الدولة البروسية ولم يحفلوا كثيرا بالنتائج الاولى والثانية ، مع العلم ان التوسع في الشرق كان خطوة عظيمة بل من اعظم الانجازات التي قام بها الاجداد ، ولو انهم لم يفعلوا ذلك لكنا اليوم مقاطعة تدين بالولاء لروسيا في الشرق ،

او لفرنسا في الغرب . فبفضل الزحف شرقا ، الذي يعتبر المحاولة الوحيدة الناجحة من هذا النوع ، امكن تحقيق الانسجام المطلوب بين عدد السكان المتزايد وبين المدى الحيوي اللازم .

ولا يعتقد ان تشديدي على اهمية الزحف شرقا واعتباري لها كخطوة موفقة قام بها اجدادنا ، لا يعتقد انني لا اقدر اهمية الخطوة الثالثة ، اي انشاء الدولة البروسية وما تلاها من قيام الجيش الالماني رمز وحدة الامة. فبفضل الحدث التاريخي العظيم شعر كل الماني ان ما كان يشغله في الدفاع الفردي قد زال وحل محله الدفاع عن الامة كلها في محيط المؤسسة العسكرية التي تمثلت فيها جميع عناصر الامة .

وهكذا اصبح للشعب الالماني نظام جديد يجمع شمله ويوحد كلمته ويوفر له التنظيم الذي كان ينقصه .. ذلك ان التضامن الفطري القائم بين بقية الشعوب ، والذي لا نجده في مجتمعنا نحن قد ساد الى حد ما صفوف امتنا بفضل التدريب العسكري . لذلك كان الغاء الخدمة العسكرية الاجبارية وخيم العواقب في بلادنا التي لم تتخل بعد عن النزعة الفردية نهائيا ، والتي يساهم في تفريق كلمة ابنائها تعدد العناصر وانتشار المفاهيم الفلسفية المتناقضة .

من المؤسف القول ان اعداءنا يقدرون ويفهمون اكثر منا اهمية انتصاراتنا السياسية الحقيقية التي احرزها شعبنا خلال الف عام من النضال الشاق والكفاح المرير . لذلك وجب على حركتنا ان تعلم شعبنا كيف يميز بين الانتصارات السياسية الحقيقية وبين الحالات التي اهدرت فيها دماؤنا بدون طائل . ويمكننا القول دون ان نتجنى على الحقيقة ودون ان نغمط حقوق ساستنا : ان المانيا لم تكسب شيئا من الخطوات التي خطتها منذ قرن الى اليوم في ميدان السياسة الخارجية ، لان المدى الحيوي لم يكن هدف هذه السياسة .

*

ما اكثر المتشدقين في ايامنا هذه وما اكثر الزاعمين ان سياسة المانيا الخارجية يجب ان تقتصر نشاطها على محو عار عام ١٩١٨ مقيمة بذلك الادلة على زهدها في التوسع تطمينا للجيران . اما انا فاقول ان التفكير في اعادة الرايخ الى الحدود التي كانت له سنة ١٩١٤ هو جريمة بحق الوطن. ولا انكر ان حدود ما قبل الحرب لم تكن معقولة من الوجهة الاستراتيجية ولا منصفة من الوجهة الانسانية لان ملايين من الالمان كانوا يعيشون خارج تلك الحدود . واذهب اكثر من ذلك فاقول ان حدود الرايخ لم تكن نتيجة

عمل سياسي مدروس . انها كانت مؤقتة بانتظار انتهاء من نزاع لا يزال قائما . ولكن المطالبة باعادة هذه الحدود من شأنها اليوم اعادة الارتباط بين الحلفاء ، لان اكثر ما يخافه هؤلاء هو بعث « الخطر الالماني » حسب قولهم الماثل في وحدة الامة والتفاف ابنائها جميعهم حول رايتها .

لقد تناسى اعداؤنا عام ١٩١٤ ما بينهم من اسباب النزاع والقطيعة ليعقدوا العزم على محاربة المانيا القوية ، ثم وجدوا بعد ذلك ان تقسيم المانيا هو الضمانة الوحيدة لمنع الرايخ من النهوض مرة اخرى ، فعندما يعلن ساستنا البورجوازيون ان سياستنا الخارجية يجب ان تقصر همها على اعادة حدود ١٩١٤ ، يقدمون الى الاعداء السبب المطلوب للابقاء على التضامن فيما بينهم ، لعلمهم ان المانيا القوية تخافهم مجتمعين ولكنها لن تتردد في الانقضاض عليهم حين يصبحوا متفرقين .

ان شعار عالمنا البورجوازي في اعادة حدود ١٩١٤ هو والحالة على ما ذكرت شعار في غير محله بالاضافة الى ان وسائل تحقيقه غير متوفرة ، وانه في حاجة تحقيقه لا يستأهل منا هدر دماء ابنائنا في سبيله ، باعتبار ان حدود ما قبل الحرب لا قيمة لها في حساب الذين ينظرون الى ابعد من انوفهم . فهي لم تكن غطاء صالحا في الماضي ، ولا يمكن أن تشكل قوة في المستقبل ، فهذه الحدود لم تحفظ لشعبنا وحدته الداخلية ولم توفر له قط اسباب العيش . اما من الناحية العسكرية فليس لتلك الحدود من قيمة دفاعية .

ليس باعادة حدود ١٩١٤ يمكن لالمانيا ان تستعيد مكانتها السابقة . ونحن الوطنيين الاشتراكيين مقتنعون ببطلان كل تخطيط لسياستنا الخارجية لا يتضمن اعطاء الشعب الالماني الارض التي يجب ان تعود اليه في هذا العالم . وبلوغ هذا الهدف يبرر هدر دمنا الالماني لان احفادنا الذين سيتوالدون على الارض الجديدة سيغفرون لنا ارسال آباءهم الى الموت في سبيل تأمين مداهم الحيوي .

يعترض بعض الكتاب العنصريين على هذا النوع من التوسع زاعمين انه يشكل اعتداء على حقوق البشر المقدسة . لا اعلم من اين استخلص هؤلاء نظريتهم السخيفة ، ولكني متاكد بأن انتشار هذه النظرية لن تفيد اعدائنا في الداخل والخارج . ويتناسى اعداء التوسع ان ما من شعب في هذا العالم تمكن من امتلاك شبر واحد من الارض بفضل احترامه لحقوق الاخرين وتقيده بالقوانين المنزلة او الموضوعة .

ان حدود الدول هي من صنع البشر وتبديلها يتم على ايدي البشر ،

وحدود المانيا الحالية ليست سوى نتيجة لنضال طويل لم ينته بعد وكذلك حدود فرنسا وبولونيا وايطاليا وغيرها ..

ان حصول شعب من الشعوب على اراضي مترامية الاطراف ، لا يعني بشكل من الاشكال ان الشعوب المحرومة لا يحق لها منازعته ملكية هذه الاراضي . وان ما يقاسيه شعبنا اليوم من شظف العيش وما يعانيه من ضيق ضمن الاطار الارضي الصغير ، ليس من صنع القدر ، كما يزعم الاتكاليون ، وليس الكفاح في سبيل تغيير هذا الوضع تمردا على هذا القدر . فاجدادنا لم يتلقوا الارض التي نعيش عليها هبة من السماء ، لكنهم احرزوها بقوة السيف بعد ان سقوا تربتها بدمائهم الزكية . والمدى الحيوي الذي نفتقر اليه اليوم لن نتمكن من الحصول عليه بنعمة « العنصرية » ، فسبيلنا الوحيد اليه هو القوة .

ان تصفية حساب فرنسا خطوة ضرورية اولى لا بد لكل الماني مخلص من اقرارها . لكن تظل خطوة عقيمة ان نحن اكتفينا بهذا القدر . فازالة الشوكة التي تهدد ظهرنا في الغرب يجب أن تكون بداية الانطلاق نحو توسيع مساحة الارض التي نعيش عليها . وقد اوضحت في جزء سابق ان توسعنا خارج اوروبا لا يقضي على المشكلة ، فليس المطلوب اخضاع بعض الشعوب الملونة للسيطرة الالمانية ، انما المطلوب الحصول على اراض اوروبية تتسع بها رقعة الوطن الام . وطبعا هذا التوسع سيكون على حساب الشعوب الاخرى ، ونحن الالمان اذ نفكر ان هذا التوسع على حساب الاخرين عمل غير مشروع نكون قد ابتعدنا عن المنطق وكذبنا التاريخ . ان حق الشعب بالاستيلاء على اراض جديدة يصبح حقا مقدسا عندما يضيق الوطن بمن فيه ويوشك ابناؤه على الهلاك اختناقا .

فاما ان تصبح لالمانيا قوة عالمية او لا تكون . والشرط الاساسي للوصول الى مستوى الدول العظمى هو في احرازها المدى الحيوي الذي يؤمن لشعبها مقومات البقاء .

*

يجب علينا نحن الوطنيين الاشتراكيين ان نسعى لتبديل سياسة المانيا الخارجية وان نبدا حيث انتهى اجدادنا منذ ستماية سنة . يجب ان نعمل على وقف الزحف الجرماني نحو الجنوب ونحو الغرب لنتجه بأنظارنا نحو الشرق .

اجل ان حركتنا ستسعى الى الحد نهائيا من السياسة الاستعمارية

والتجارية لتؤمن لشعبنا مداه الحيوي في اوروبا نفسها ، ونحن اذ نهدف الى ذلك لا يفوتنا ان اتساع الارض التي نعيش عليها لن يتم الا بالتوسع على حساب روسيا والبلدان المجاورة لها .

ان القدر نفسه يشير باصبعه الى روسيا ، فهو حين رمى بها في احضان البلشفية قد انتزع من الشعب الروسي تلك الفئة من المفكرين الذين اقاموا صرح الدولة وتولوا مقدراتها . ذلك ان تنظيم الدولة الروسية لم يكن بفضل جهود الصقالبة ومقدرتهم على الخلق والابداع ، بل كان ثمرة جهود العنصر الجرماني المتمتع بعبقريات منظمة حيثما وجد واين ما حل . لكن روسيا لم تعرف كيف تحافظ على النواة الجرمانية التي خلقت الدولة ، لذلك اضمحلت هذه النواة مع مرور الايام ، وظهر الى حيز الوجود اليهودي في الوقت المناسب ليأخذ محلها .

قد تحاول روسيا التخلص من الكابوس اليهودي لكنها لن تقوى على التخلص منه بأساليبها الخاصة . ولا يفوتنا ان اليهود اضعف من ان يستمروا باخضاع دولة كبيرة لسيطرتهم لمدة طويلة ، لانهم عنصر مخرب لا يحب النظام والبناء . لهذا فنحن نعتقد ان الدولة الجبارة في الشرق تقف على شفير الهاوية ، وان نهاية السيطرة اليهودية على روسيا تعني نهاية روسيا نفسها كدولة . وقد اختارنا القدر لنشهد هذه الكارثة التي تعتبر احسن دليل على صحة نظرياتنا العنصرية فيما يتعلق بموضوع الاعراق البشرية .

* *

من البديهي ان يعارض اليهود هذه السياسة بكل ما لديهم من قوة ونفوذ لانها تتنافى ومبادئهم وخططهم ودسائسهم . ويكفي ان يقف اليهود في وجه هذه السياسة الحكيمة لنقنع الذين يشعرون بالقضايا القومية بفائدة هذا الاتجاه الجديد الذي وضعته حركتنا . ولكن مع الاسف ، لم تختمر فكرة الاتجاه والزحف نحو الشرق في اذهان الكثيرين من القوميين الالمان وبعض « العنصريين » النظريين . فهم يستشهدون ، كلما اعوزتهم الحجة وخانهم المنطق ، بالاتجاه الذي رسمه بسمارك الذي حرص دائما على قيام علاقات ودية بين المانيا وروسيا . وكان حرصه في محله وينسى الذين يستشهدون بما فعله بسمارك انه كان يعلق اهمية كبرى على صداقته مع ايطاليا لكي يفرض ارادته على النمسا وهي في شبه عزلة . فلم لا ينادي المعجبون بسياسة بسمارك بنهج المنهج الذي اعتمده المستشار الحديدي تجاه ايطاليا الحالية ؟ سيقولون ان ايطاليا اليوم ليست ايطاليا القرن التاسع عشر . ونحن نجيب ان روسيا اليوم ليست روسيا التي حرص

بسمارك على كتب صداقتها . اذن فالقضية ليست : ماذا فعل بسمارك ؟ بل القضية هي : ترى لو كان بسمارك حيا فما هي الخطة التي سيتبعها ؟ لا شك ان هذا الرجل البعيد النظر ما كان يمد يده الى روسيا البلشفية المشرفة على الموت .

لا يسهى عنا ان بسمارك تبنى الراي القائل بالاستعمار وغزو الاسواق العالمية كما ان قضية التنظيم الداخلي كانت شغله الشاغل . فمن الطبيعي والحالة هذه ان يعتبر وقوف روسيا على الحياد في خصامه ضد الغرب انتصارا كبيرا لسياسته . ولكن ما كان صالحا في ذلك الوقت لالمانيا هو اليوم في غير مصلحتها .

في عام ١٩٢١ جرت محاولات لخلق الروابط بين حركتنا التحررية وبين بقية الحركات التحررية في البلدان الاخرى ، واقترح الوسطاء انشاء « عصبة الامم المضطهدة » وقد اجتمعت عدة مرات مع رجال ادعوا انهم ممثلين عن بعض الدول البلقانية والهند ومصر ، فأعربوا لي عن رغبتهم في ايجاد تعاون وثيق بين الحركات الاستقلالية في بلادهم وبين الحركة الوطنية الاشتراكية ، ولكني لم التفت الى اقوالهم ولم اهتم بها ، لانهم تكشفوا لي عن كونهم ثرثارين وادعياء لا يفقهون ما يريدون .

الا ان هؤلاء « الاستقلاليين » وجدوا من يسمع لهم ويتحمس لآرائهم في صفوف القوميين الالمان الذين اعتقدوا محدثيهم من تلاميذ هنود ومصريين، بانهم الممثلين الحقيقيين لمصر والهند . وقد فاتهم ان هؤلاء التلاميذ لا يمثلون الا انفسهم وبالتالي فالحديث معهم والدخول معهم في مفاوضات يعتبر مضيعة للوقت .. وحتى لو كان هؤلاء معتمدين رسميا من قبل بلادهم فالمشروع بحد ذاته لا قيمة له ويعود بالتالي على القومية الالمانية باضرار فادحة .

لقد جربت المانيا التعاون مع دول لا قيمة عسكرية لها حين قامت بالتحالف مع تركيا والنمسا لتواجه اقوى الدول عسكريا وصناعيا ، فكانت النتيجة الكارثة التي لا نزال نقاسي من ذيولها .

ويبدو ان هذا الدرس القاسي لم يكن كافيا بدليل تحمس المهووسين من المواطنين لمشروع « عصبة الامم المضطهدة » اقتناعا منهم ان هذه العصبة ستجرد المنتصرين الاقوياء من سلاحهم .

لقد قاومت هذه الفكرة وبينت سخف هذا المشروع لانهما يحولان شعبنا عن امكاناته الحقيقية ويحملانه على الاستسلام الى الاوهام والاحلام.

ما اقرب الشبه بين الالماني اليوم وانسان مجهول مشرف على الغرق، فهو يتشبث بعود من الكبريت يجده طافيا على الماء لكي يتفادى الموت غرقا. وهكذا وضعنا اليوم فاننا نجد في اوساط المثقفين انفسهم اشخاصا يتحمسون

لمشاريع وهمية كمشروع «عصبة الامم المضطهدة» و « عصبة الامم المضطهدة» و «عصبة الامم » وما شابهها .

واذكر حادثات شغلت منظماتنا « المنصرية » لعدة اشهر . فقد جاء الى اوروبا عام ١٩٢١ طائفة من الهند واستطاعوا اقناع الناس بأن الامبراطورية البريطانية مشرفة على الانهيار لان الهند ، وهي حجر الزاوية في هذه الامبراطورية على ابواب ثورة هائلة . وقد وقف « المنصريون » في المانيا بانتظار انهيار الامبراطورية ، شأنهم شأن الاطفال في عيد الميلاد ... فبرهنوا بذلك عن قصر شديد في النظر وجهل فاضح لتاريخ الفتح الانكليزي.

ان استمرار خضوع الهند للسيطرة الانكليزية هو امر حيوي بالنسبة لهذه الدولة . فلا يعقل والحالة هذه أن تتخلى انكلترا عن الهند او تترك « جوهرة التاج » تفلت من ايديها . وهذا لن يصير الا اذا ادرك الانكليز الانحلال العنصري وهذا غير محتمل — او اذا قضي على انكلترا بضربة قاصمة من عدو اقوى منها اما الزعم بأن قيام الهنود بثورة سيسبب انهيار الامبراطورية ، فهذا زعم باطل ويجوز ان يصدقه ابناء اميركا الجنوبية مثلا ، ولكن لا يجوز ان يصدقه الالمان الذين اختبروا مقدرة الانكليز وتأكدوا انها امة قوية شديدة المراس .

ولم يكن « المنصريون » الذين تأملوا الخير من الحركة الاستقلالية في مصر اعقل من الذين قعدوا ينتظرون انهيار بريطانيا لان الهنود ارادوا القيام بثورة فالحركات الاستقلالية في مصر قد تزعج بريطانيا ولكن لن تتمكن هذه الحركات من زحزحة الكابوس البريطاني ، ولن يقدموا على التضحية بانفسهم وارواحهم في سبيل « اخوانهم » الالمان كما يعتقد الخياليون من المواطنين .

ان المؤمنين بالصفاح المشترك اي الكفاح الالماني المصري الهندي لم ينظروا الى حاضرهم الاليم . فهل من المعقول لحلف يضم ثلاثة مقعدين من مهاجمة عملاق يقظ لا يتورع عن استعمال اشد الاساليب للدفاع عن كيانه والحفاظ على ممتلكاته وانا كمنصري اتخذ من الاعراق ميزانا ازن به القيمة البشرية ، لا اسمح لنفسي ولو بالتفكير بربط مصير شعب كالشعب الالماني بمصير شعوب تحتل ، من حيث التسلسل العنصري ، مرتبة وضيعة .

لا يمكننا ايضا الاعتماد على روسيا في كفاحنا من اجل تحرير امتنا . فهي ايضا ينطبق عليها ما سبق وقلته في « الشعوب المضطهدة » خاصة بعد ان اصبحت الامور بين ايدي جملة من المغامرين الدوليين . ولو تم هذا الحلف فلن تفيد المانيا منه شيئا ، من الناحية العسكرية ، لان القتال سيدور ضمن الاراضي الالمانية دون ان نتلقى اية معاونة مهمة من روسيا ضد اوروبا

الغربية ، باعتبار ان بولونيا تقف في طريق الجيش الروسي حين يزحف نحو الغرب لان بولونيا اليوم هي حليفة ثمينة لفرنسا . فيتوجب بالتالي على روسيا لتتمكن من نقل قواتها الى ارض المعركة الرئيسية ان تصفي حساب بولونيا اولا .

هذا مع العلم ان المانيا ستكون بحاجة ماسة الى الوسائل التكتيكية اكثر من حاجتها الى الرجال ، في حال نشوب الحرب بينها وبين الدول الغربية . وقد سبق لالمانيا ان تحملت وحدها عبء الحرب التكتيكية اثناء الحرب العالمية لانها لم تحسن اختيار حلفائها . لذلك لن تتمكن من مقابلة الدولة الغربية المجهزة بوسائل تكتيكية ممتازة ستقرر مصير الحرب ، مع العلم ان روسيا لا يعتمد عليها من هذه الناحية لافتقارها الى تلك الوسائل. كذلك يمكن القول بالنسبة لالمانيا التي لا تملك المعدات التكتيكية اللازمة خاصة وان امكاناتها محدودة جدا . وخلاصة القول ان دخولنا الحرب معتمدين على روسيا سيعني الخسارة المحتمة . . .

يقول مؤيدي التحالف مع روسيا لا يعني بالتالي ضرورة قيام الحرب. فيمكننا عقد الاتفاق اليوم ومن ثم الاستعداد والتجهيز للغد . فالى هؤلاء اقول ان هذا الحلف الذي يدعون اليه لا قيمة له . لاننا اذا رضينا واقمنا التحالف مع روسيا وابتدأنا تجهيز انفسنا منذ اليوم الى الحرب التي قد تنشب ، فالإعداء الذين يتطلعون ويراقبون نشاطاتنا لن يعطونا الفرصة الكافية لاستكمال هذا التجهيز والاستعداد للحرب . فسرعان ما يستدرجونا الى ميدان الصراع ونحن لم تكمل بعد استعداداتنا ومن ثم يحملونا مسؤولية النزاع كما حدث سابقا .

بالاضافة الى كل هذا هناك حقيقتان هامتان :

١ ـ ان نظرة الحكام الحاليين في روسيا الى المعاهدات والاتفاقات لا قيمة لها ولا هم يقيمون لها اي وزن .

ان حكام روسيا الحاليين هم مجرمون لا تزال ايديهم مخضبة بالدماء. انهم حثالة البشر التي استغلت غفلة القدر لتنقض على دولة جبارة كبيرة وتصرعها وتفتك بالملايين من ابناء الطبقات الموجهة لتبني على الانقاض دكتاتوريتها المطلقة . فحكام روسيا اليوم هم ابناء الشعب الذي اتقن النفاق والكذب ، ابناء الشعب الذي يدعي انه سيسيطر على العالم ، ان حكام روسيا اليوم هم اليهود واذنابهم . فاليهودي الذي يملك زمام الامور في روسيا لن ينظر الى المانيا كدولة حليفة يمكن التعاون معها ، بل ينظر اليها كضحية جديدة سينقض عليها حين تسنح له الفرصة المقبلة . فكيف يمكننا

والحالة هذه ان نحالف شريكا تقوم مصالحه على خرابنا ؟ وكيف يريد البعض ان نعقد الاتفاقات مع شعب شماره الكذب والتلفيق والسرقة ؟

٢ ـ ان المرض الخبيث الذي قضى على روسيا اليوم، هو نفس المرض الذي يهدد المانيا بالذات ، وليثق الذين يتغاضون عن هذا الخطر الداهم ان بلشفة روسيا هي خطوة اولى نحو اخضاع العالم لسيطرة اليهود . فاليهود ، كالانكلو ساكسون ، قد يتحولون عن اهدافهم لفترة محـــدودة ولكنهم لا يتخلون عن هذه الاهداف .

ان المانيا هي ضحية البلشفية المقبلة ، ولن تتمكن من الخلاص من براثنها الا بواسطة فكرة قوية تجمع حولها المخلصون وتؤدي بالتالي الى النهوض بشعبنا . والقول ان المانيا بحاجة الى من تستند اليه في سعيها الى تحرير نفسها وان روسيا هي الحليف الصالح ، هذا القول يدل على جهل وقصر في النظر الى الامور او يدل على سوء النية . فكيف يجوز لنا الاعتماد على دولة يحكمها اعداؤنا الالداء ؟

ان مكافحة البلشفية تتناقض والتفاهم مع روسيا السوفياتية ، فاذا تحالفنا مع السوفيات نكون قد تحالفنا مع ابليس انطرد به الشيطان .

ذكرت في فصل سابق انه كان على الحكام في المانيا قبل عام ١٩١٤ ان يحالفوا انكلترا ليتمكنوا من التوسع شرقا وهم مطمئنون ، او ان يتحالفوا مع روسيا ليأمنوا شرها ولكي لا يضطروا الى الحرب على جبهتين . اما اليوم فالتحالف مع روسيا اصبح لا قيمة له ، بعد ان رسمت حركتنا لالمانيا سياسة خارجية مستوحاة من الواقع ومتفقة مع مصالح امتنا وهي تأمل ان يتمكن الحكام من الحفاظ على هذه المصالح والتقيد بالسياسة المرسومة التي تصلح ان تكون وصية سياسية .

اما الخطوط الرئيسية لهذه السياسة فهي التالية :

لا تسمحوا ابدا بقيام دولتين بريتين كبيرتين في القارة الاوروبية ،وفي كل محاولة لانشاء دولة كبرى قريبة من الحدود الالمانية تكمن محاولة خبيثة لتهديد بلادنا ، ويجب عليكم اعتبار اية محاولة من هذا النوع كاعتداء مباشر على حدودنا كما يجب عليكم ان تمنعوا قيامها بكل الامكانيات والوسائل التي تملكون . واحرصوا على ان يكون مصدر قوة المانيا في اوروبا ضمن الاراضي الالمانية ، ولا تطمئنوا الى وضع الرايخ ومصيره قبل ان توفروا للشعب الالماني المدى الحيوي الذي يحتاج اليه .

* *

اعود الى موضوع التحالف بيننا وبين انكلترا وايطاليا لاركز على اهمية هذا التحالف من الوجهة العسكرية .

فالتحالف مع انكلترا وايطاليا يعطي نتائج عسكرية هامة ، عكس ما يعطيه التحالف مع روسيا . فتحالفنا مع انكلترا وايطاليا لن يؤدي الى نشوب الحرب . فالدولة الوحيدة التي تعارض هذا الحلف هي فرنسا . وهي لن تتمكن من افتعال الحرب لانها تعلم بأنها اضعف من ان تحارب هذه الدول الثلاث . يضاف الى ذلك ان التحالف مع الانكليز والايطاليين يعطينا الوقت الكافي للتأهب والاستعداد لمركة الثار التي يجب ان نخوضها ضد فرنسا بعد ان تتمكن الدبلوماسية الالمانية من عزل فرنسا وانتزاع المبادرة منها عسكريا وسياسيا .

وهناك اهمية تكنيكية للحلف الثلاثي هذا . فالمانيا لن ترهق نفسها باعباء الحرب ومتطلباتها ، باعتبار ان حليفتيها قادرتان على تجهيز انفسهما تكنيكيا بفضل اقتصادهما المنظم ومواردهما الضخمة .

اشرت في جزء سابق الى العقبات التي تعترض تحقيق هذا المشروع ، ولكن هذه العقبات يمكن تذليلها . فقد قام تحالف ودي بين فرنسا وانكلترا ايام ادوار السابع بالرغم من العداء والنفور المستحكمين بين الدولتين المذكورتين . ونحن بامكاننا الخروج من هذه الحلقة التي ندور فيها منذ عشرات السنين ، يوم نتحرر من اوهامنا وننهج في الحقل الخارجي سياسة حكيمة تطلق ايدينا في الشرق ، بعد ان نكون قد قلمنا اظافر فرنسا في الغرب .

وليعلم الحاقدون ان الاستمرار في معاداة اعداء الامس سيزيدهم تكتلا وقوة فالنسبة الالمانية لا يمكن ان تكسب الا من تفريق كلمتهم . لذلك يجب ان نفهم ان كل دولة لا ترضى عن تزايد نفوذ فرنسا في القارة الاوروبية هي حليفة طبيعية لالمانيا ، وانه لا يجوز لنا ان نحجم عن استمالة هذه الدولة خاصة وان كان هذا التفاهم او التحالف يمكنا من سحق فرنسا التي تريد ابادتنا .

* *

- ٢١ -

حق الدفاع المشروع

هناك اكثر من دليل تاريخي على ان الشعوب التي تلقي السلاح وهي لا تزال قادرة على الجهاد ، تفضل بالتالي ان تتلقى الصفعات والاهانات والذل على معاودة القتال .

والظاهر ان الموجهين لسياسة المانيا ، من وراء الستار ، يحاولون منذ تشرين الثاني عام ١٩١٨ التدني بشعبنا الى المصير المحتوم الذي يصير اليه كل شعب يقبل بالاهانات والذل وهو مطاطىء الراس لا يجسر على الدفاع.

وقد تركت دعوات الخضوع والاستسلام التام للمنتصرين التي يبثها بكل خبث الخونة والعملاء ، اثرا سيئا في عقلية الساسة وفي تصرفات الشعب . ولما كان اليهودي وراء سياسة المانيا الخارجية منذ عام ١٩١٨ فمعنى ذلك ان الاخطاء التي تتخبط بها في حقل السياسة الخارجية ليست دائما وليدة قصر النظر او الجهل والارتجال ... فالمؤامرات التي يحيكها اليهود هي التي تتلاعب بمقدرات شعبنا وتحاول منذ عدة سنوات اهلاك الامة . لذلك يمكننا التاكيد بان جميع الخطوات الغير موفقة التي خطتها بلادنا منذ عام ١٩١٨ حتى الان لم تكن وليدة الاهمال او الخطأ ، بل كانت نتيجة حتمية للخطط التي رسمها اليهود .

عندما دحرت جيوش نابليون بروسيا عام ١٨٠٦ اعتقد الجميع انه لن تقوم اية قائمة لدولة بروسيا بعد تلك الهزيمة . لكن بروسيا استعادت قوتها خلال سبع سنوات وشهرت السلاح في وجه الاعداء .

اما المانيا فقد ازدادت ضعفا خلال السبع سنوات التي مضت منذ هدنة تشرين الثاني ١٩١٨ . والدليل على ذلك انها قبلت بالامس القريب احكام معاهدة لوركارنو الظالمة ؟

لقد القت المانيا سلاحها وهي لا تزال قادرة على الدفاع . وقبلنا بشروط المنتصر وضعفت عزائمنا واصبحنا عاجزين عن المقاومة . فقام الاعداء بسلسلة تدابير قاسية لاذلالنا وتعذيبنا ولم نكن في وضع يدفعنا الى مقاومة هذه التدابير . وقد عرف هؤلاء الاعداء كيف يخدرون عزة نفسنا وكبرياء شعبنا الالماني العريق فقاموا بفرض تلك التدابيرببطء وحذر لعلمهم ان هذه الطريقة اسلم عاقبة فاستطاعوا ان يحققوا اهدافهم دون ان يضطروا الى استفزاز شعورنا واستثارة نقمتنا وكان نصيرهم في ذلك حكومتنا المستسلمة .

وهكذا استدرجنا المتصرون الى التوقيع على معاهدات الصلح والرضوخ لشروط وتسويات مرهقة جردتنا من الكرامة ومن اسباب البقاء . وقد بلغ بنا الاستسلام حدا كبيرا جعل البعض يعتقد ان مشروع دايفز هو حدث بارز ومعاهدة لوكارنو نصر مبين .

* *

ظهرت نيات فرنسا الحقيقية بوضوح في شتاء عام ١٩٢٢ – ١٩٢٣ بعد ان حاولت كتمانها عن حلفائها في المؤتمرات التي عقدت قبل الحرب العالمية وبعدها مباشرة . فقد ظهرت المقاصد الخفية لفرنسا التي جازفت بمقدراتها وخاضت حربا قاسية طيلة اربع سنوات ونيف ، وبانت الحقيقة بأن فرنسا لم تكن تطمح بالحصول على مليارات الماركات لتعوض بها خسائر الحرب والدمار او لتقتطع الالزاس واللورين وتضمهما الى اراضيها . كلا ، فقد قامت فرنسا بهذه المجازفة الخطرة التي تعتبر من اخطر المجازفات في تاريخها لان اليهودية العالمية التي توجه سياسة فرنسا الخارجية ارادت انسجاما مع مخططها ان تقسم المانيا لتجعلها مقدونيا ثانية .

لقد تاملت فرنسا ان تبلغ هدفها بتقسيم المانيا اثناء الحرب وحاولت ان تنقل المعركة الى داخل الاراضي الالمانية لكي يسهل على الحلفاء تقسيم البلاد وانشاء دويلات متضاربة الاتجاهات مختلفة الاهداف ، بحيث لا تقوم اية قائمة لالمانيا الموحدة .

ولو قدر للفرنسيين ان ينجحوا في محاولاتهم هذه وتمكنوا من نقل المعركة الى الروهرر والراين والالب بالقرب من هانوفر ولايبزغ ونورمبرغ وغيرها ، لما كانت هناك اية صعوبة لدى الحلفاء لتنفيذ مخطط فرنسا في تقطيع اوصال الرايخ الحديث العهد بالنظام الفدرالي .. لكن جيشنا الباسل صمد في حصونه ، واستمرت حرب الخنادق طيلة الاربع سنوات في الفلاندر وامام فرصوفيا وريغا وكوفنو . ويعود الفضل بنجاة بلادنا من ويلات الحرب ومن مؤامرات فرنسا واليهود الى الجيش الالماني الباسل وحده ، لهذا يمكننا القول ان دم جنودنا الذين سقطوا في ميادين الشرف لم يذهب هباء ...

كانت جيوشنا قد احتلت ، بعد انهيار المانيا ، قطعا كبيرة جدا من اراضي الاعداء ، لذلك كان اهتمام فرنسا منصبا على جلاء جيوشنا عن اراضيها وعن الاراضي البلجيكية ، وما ان تم لهم ذلك حتى باشروا بتنفيذ مخططهم الاساسي وهو تقسيم الرايخ الالماني الكبير الى دويلات صغيرة

مجزاة ، لكن انكلترا اعترضت على هذا المشروع واكتفت بالنصر الذي حققته. لان همها الوحيد كان ازالة المانيا الاستعمارية من طريقها والحد من منافستها لها في الميادين التجارية . فانكلترا لم تفكر قط بالقضاء على المانيا قضاء مبرما ، لان في ذلك ما يتعارض ومصالحها وسياستها التقليدية في منع قيام اية دولة اوروبية قادرة على اخضاع القارة لسيطرتها .

وكانت معارضة الحلفاء كافية لايقاف فرنسا عند حدها ، فتراجعت عن موقفها مرغمة ، ولكن كليمنصو عبر عن افكار مواطنيه بكلمته « السلم بالنسبة لنا هو استمرار الحرب » ... وقد عمل الفرنسيون منذ ذلك الحين على اضعاف بلادنا مستعملين شتى الوسائل والطرق الممكنة ، فتارة كانوا يحاولون الضغط علينا وتارة اخرى يلجأون الى تشجيع النزعات الانفصالية في بعض المناطق . وكانت هذه السياسة التي لجأوا اليها ذات اثر فعال في الوصول الى النتيجة التي توختها فرنسا ، اذا استمرت بضع سنوات اخرى .

ادرك المخلصون خطورة ما تهدف اليه فرنسا وايقنوا انها ستصل الى هدفها ان لم تقف الارادة الالمانية في وجهها وتمنعها من تنفيذ مخططها هذا . وقد ادرك المخلصون ايضا ان التصدي في وجه فرنسا يجب ان يسبقه نسف الحلف الذي مكن فرنسا من النصر ، والا سيكون هذا التصدي ضربا من ضروب الانتحار .

وقد حاولت انا في خطاباتي المتكررة ان اركز على هذه الناحية بالذات، وقلت ان فرنسا لن تغير في مخططاتها تجاهنا لانها تعلم ان بقاءها كدولة مرهون ببقاءنا نحن امة ضعيفة مفككة الاوصال . ولو كنت انا فرنسيا لنظرت الى المانيا النظرة ذاتها .

يقول البعض ان الحل يكمن في قيام حكومة فرنسية معتدلة . وانا اقول ان هذا الراي هو كالمخدر لاعصابنا المريضة ، ومن يعتقد ذلك يكون موجها من قبل اعداء المانيا الداخليون من يهود وديموقراطيين . فكل فرنسي مخلص هو كليمنصو او بوانكاري . ولن نفيد نحن شيئا من السلبية التي ينادي بها بعض « المنصريين » القائلين باللاعنف ، لان عدونا المتربص بنا لن تخيفه احتجاجاتنا وشكاوينا .

لن يخلصنا من فرنسا الا ساعدنا القوي وتفكيرنا السليم ، وحين نستطيع ان نتفاهم مع حلفاءها بالامس ، يمكننابالتالي عزلهاجانبا ومناقشتها الحساب على انفراد .. لكن القضاء على فرنسا لن يكون اكثر وسيلة لبلوغ

غاية لا حياة لنا بدونها : يجب علينا بعض القضاء على فرنسا ، التي تهددنا بظهرنا ، ان نتوسع في الشرق لنؤمن لانفسنا المدى الحيوي الذي يجعل من المانيا دولة كبرى وقوة عالمية ضخمة .

* *

في كانون الاول من عام ١٩٢٢ قامت فرنسا باحتلال حوض الروهر امعانا منها في اذلالنا وتحطيمنا اقتصاديا ومعنويا ؛ لكن هذا الاحتلال الذي ضرب المانيا ضربة قاصمة ؛ كان عاملا رئيسيا في اذكاء الشعور الوطني . كما ان هذا الاحتلال قد اثار غضب انكلترا حكومة وشعبا لان هذه المنطقة غنية بمناجم الفحم والحديد . واستيلاء الفرنسيين عليها يعني تفوق فرنسا سياسيا وعسكريا واقتصاديا جاعلا منها الدولة الاوروبية الاولى ، فتتمكن من منافسة انكلترا في جميع الميادين . و قد ذكرت احدى الصحف الانكليزية الشبه رسمية ان احتلال فرنسا للروهر قد انتزع من انكلترا كل مكاسبها.

كان لاحتلال فرنسا للروهر صدى غير مستحب في ايطاليا والولايات المتحدة الاميركية . وبدا على حلفاء الامس التذمر الشديد مما فسح المجال لنشوب الخلافات وتفريق الشمل . لكن اذا كان حلفاء الامس لم يتحولوا الى اعداء اليوم كما حدث بعد الحرب البلقانية الثانية ، فمرد ذلك الى افتقار بلادنا الى رجل كانور باشا ، الذي يعرف كيف يستغل الخلافات الناشبة بين اعداء بلاده .

عندما دخل الفرنسيون منطقة الروهر اتجهت الانظار الى السلطات الالمانية وكان التساؤل يدور حول ردة الفعل المترقبة من الحكومة الالمانية. فكل شيء كان متوقفا على قرار الحكومة ونتيجته في داخل البلاد وخارجها. ولم يكن ثمة مجال للتردد ، فالاعتداء الذي قامت به فرنسا يشكل خرقا فاضحا لمعاهدة فرساي ، بالاضافة الى النقمة التي اثارها هذا الاعتداء لدى الراي العام الانكليزي والايطالي ، وقد حملت حكومة لندن على هذا الاعتداء السافر وصرح مجلس العموم البريطاني بان حكومة فرنسا لم تراع شعور حلفائها ولا مصالحهم باحتلالها منطقة المناجم في المانيا السفلى .

كان على حكومة المانيا ان تستغل هذا الخلاف بين الحلفاء وتوسعه بشكل يضمن لها عدم قيام تعاون جديد بين هؤلاء الحلفاء اذا قاومت المانيا هذا الغزو الفرنسي . كان على حكومتنا ان تجعل الروهر ما كانت موسكو بالنسبة الى نابليون ، معتمدة على الشعور الوطني الذي اثاره العدوان الفرنسي

لم يكن باستطاعتنا وقف الزحف الفرنسي على الروهر باللجوء الى التدابير العسكرية . ولم تكن المفاوضات لتجدي نفعا . فبقي لنا اللجوء الى كسب الوقت والهاء القوات الغازية باصطدامات بسيطة تقوم بها العصابات ريثما ننظف الجبهة الداخلية من الخونة ، ونضمن في الخارج تأييد الانكليز والايطاليين .

لكن حكومة المستشار « العبقري » كونو لجأت الى حل آخر ، فقد اكتشف هذا المستشار ان احتلال فرنسا لمنطقة الروهر لم يكن الا لان المنطقة غنية بالفحم وبالتالي تريد فرنسا الاستيلاء على هذا الفحم . لذلك فقد قرر هذا « العبقري » ان الوسيلة الوحيدة لاخراج المحتلين من الروهر هي اعلان الاضراب العام في المنطقة ، فتكون النتيجة توقف حركة العمل لاستخراج الفحم . وبذلك لا يتمكن الفرنسيون من الاستيلاء على الغنيمة فيجلون عن المنطقة يجرون اذيال الخيبة .

وقد نالت هذه الخطة اعجاب الاحزاب البورجوازية ، ولكنها وجدت ان الاضراب لن يعطي نتائج حسنة الا بوجود الماركسيين ، اساتذة التحريض والاضرابات ، فوافق البورجوازيون على ضم الحمر الى « الجبهة الوطنية » . ومد المستشار كونو يده الى التعاون مع المغامرين الدوليين الذين باركوا هذه الخطوة التي تعتبر بمثابة اشتراكهم في الحكم حين تتسلم « الجبهة الوطنية » مقاليد الحكم .

وهكذا واجه المستشار كونو الفرنسيين بحلف ضم الثرثارين والمحتالين الذين فتحت لهم الدولة طريق العمل لاشاعة الفوضى وتخريب الاقتصاد القومي .

لقد سعى المستشار كونو الى تحرير الشعب الالماني بتشجيعه على التقاعس والكسل . ولكن بدلا من دعوة الناس الى الاضراب العام ، كان عليه ان يدعوهم الى العمل لمدة ساعتين اضافيتين يوميا لتزويد الشبيبة المتحمسة بالعتاد اللازم . وبذلك تتمكن المانيا من كسب افضل النتائج في الداخل والخارج وتكسب لقضيتها عطف العالم الخارجي الذي وقف يرقب مدى الانتفاضة الالمانية .

اما النتيجة فكانت معروفة مسبقا فالمقاومة السلبية لم تصمد طويلا ، والاضراب لم يمنع الفرنسيين من احتلال الروهر وتثبيت اقدامهم فيه .

اما موقفنا نحن الوطنيين الاشتراكيين فكان معروفا وواضحا من المقاومة السلبية و « الجبهة الوطنية » . فقد سفهنا الاولى وحاربنا الثانية . وقد اثبتت الحوادث صحة نظريتنا . فقد قررت العناصر الوطنية في البلاد بعد اسابيع من اعلان الاضراب العام في منطقة الروهر تنظيم حركة مقاومة

فعلية ضد الغزاة كما دعت المضربين الى التعاون معها . فقام بعض العمال المخلصين وقرروا الانضمام الى المناضلين وحملوا السلاح وساهموا في حرب العصابات . اما الماركسيون فكان جوابهم على ذلك انسحابهم من « الجبهة الوطنية » . ولم يلبثوا ان خضعوا لمشيئة الغزاة بعد ان خربوا مصالح البلاد والاقتصاد القومي تحت ستار المساهمة في المقاومة السلبية .

وادى انهيار « الجبهة الوطنية » الى تسليم السلطة بشروط الفرنسيين . ونبهت هذه الخيانة ملايين الالمان الى اهمية الحركة الوطنية الاشتراكية واهدافها الوطنية الصميمة وتحقق لديهم ان مصير المانيا مرتبط بنجاح هذه الحركة وبنمو مبادئها العنصرية .

... وانتهت الحوادث البغيضة التي ادت الى حل الحزب الوطني الاشتراكي بعد اعتقال اركانه واعضائه والكثير من مؤيديه وانصاره . وهنا لا بد لي من القول ان ما قمنا به لم يكن بسبب رغبتنا بالحكم كما اراد اعداء حركتنا القول ، قد اثبتت حوادث ٨ تشرين الثاني ١٩٢٣ عما كان يجيش في صدور ملايين الالمان . وهنا اذكر كلمتي التي ختمت بها دفاعي في اليوم الاخير لمحاكمة حزبنا . فقد قلت متوجها بكلمتي الى القضاة :

« يمكنكم ايها القضاة ادانتنا من اجل ما فعلناه . ولكن التاريخ سيمزق ذات يوم هذا الحكم ، ويحلنا جميعا من خطيئة لم نرتكبها ... » .

سيذكر الجميع هؤلاء الرجال الذين سلكوا طريق الموت ليمهدوا لوطنهم طريق الخلاص ...

انتهى

يسر دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع ص.ب. ٣٨٧٤ بيروت ـ لبنان بأن تقدم للقارىء العربي روائع القصص العالمية بأسعار شعبية :

ـ آنا كرنينا	ليوتولستوي
ـ اغلال الحب	لسومرست موم
ـ اوليفرتويت	شارل ديكنز
ـ دافيد كوبر فيلد	شارل ديكنز
ـ الآمال الكبيرة	شارل ديكنز
ـ نهر الحب	ارنست همنغواي
ـ غانية الاسكندرية	بيار لويس
ـ بائعة الخبز	كزافية مونبان
ـ وداعا ايها السلاح	ارنست همنغواي
ـ جميع كتب	نجيب محفوظ
ـ جميع كتب	احسان عبد القدوس
ـ الزنبقة السوداء	الكسندر دوماس